الدكتور محمد عبد العزيز ابراهيم داود

جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة
بالزقازيق

التبصرة
في
فقه الدعوة والداعيه

الأستاذ الدكتور
محمد عبد العزيز داود
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

مقدمة

الحمد لله بفضله تتم الصالحات وبتوفيقه تزكى الأعمال وبهدية يوفق المنطق فى المقال وبإرادته ترفع الدرجات .

قال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات »

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل أشرف عمل وأسمى هدف وأنبل رسالة هى الدعوة إلى الله قال تعالى :

« ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين » .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين وداعى رب العالمين إلى الدين القويم والصراط المستقيم .

اللهم صلى وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد ... ،

فهذه دراسات فى مادة الدعوة إلى الله . لطلاب كليات أصول الدين والدعوة لصياغة هؤلاء الطلاب صياغة تربوية : نظرية وعملية تؤهلهم لحمل أعظم أمانة وأشرف رسالة .

ولن يتم ذلك إلا بالإيمان العميق بالدعوة والتكوين الدقيق للدعاة هذا وإذا كانت ساحة الدعوة تبدوا الآن شاغره وأقسامها تلقى صدوداً وإعراضاً من الكثيرين وهذا يرجع إلى عوامل كثيرة سنذكرها إن شاء الله بين ثنايا هذا الكتاب .

وإن ما يجب التنبيه عليه والتعريف به أن طالب الأزهر عامة وطالب

أصول الدين والدعوة خاصة منذ أن انخرط فى سلك الأزهر أصبح داعياً إلى الله أراد ذلك أم أبى . وغدت الدعوة إلى الله تعالى فرض عين عليه والتقاعس والانصراف عنها خيانة عظمى وذنب لا يغتفر مهما كانت الأسباب والأعذار .

يقول ﷺ إن الله سائل كل راع عما إسترعاه حفظ أم ضيع »

وابن الأزهر أيا كان موضعه أو تخصصه هو جندى من جنود الإسلام يرفع لواءه ويدفع عنه الهجمات الشرسة التى تحاول تطويقه وخنقه وسيسأل أمام الله كل من يقف من الدعوة موقفاً سلبياً .

قال تعالى : « فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » [1]

ولن يتقبل الله أعذار القاعدين والمتخلفين عن تبليغ الدعوة كما لم يقبل الله عذر من تخلفوا عن الجهاد فى سبيل الله .

قال تعالى : « يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » [2]

أما من ينخرط فى سلك الدعاة عن إيمان صادق وعقل واع وعاطفة جياشة فإنه ينال سعادة الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة الزخرف آيه ٤٣ ، ٤٤

(٢) سورة التوبة ٩٤ .

قال تعالى [1] : « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين »

فالله أسأل أن ينتفع أبناؤنا الطلاب بهذه الدراسة فى مضمار الدعوة إلى الله إن ربى سميع الدعاء .

هذا وبالله التوفيق ... ،

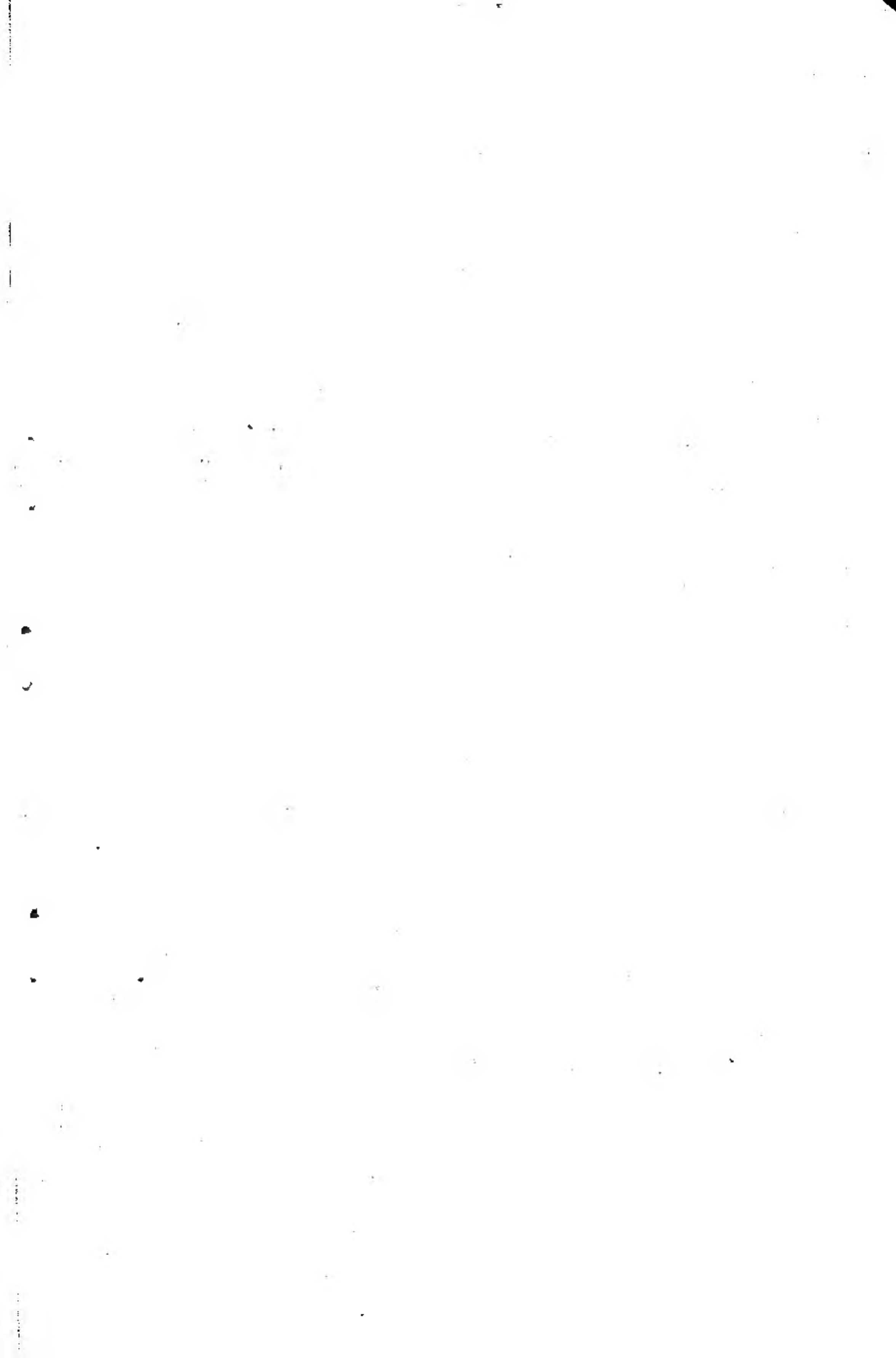
أ/ د. محمد عبد العزيز داود

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

---

(١) سورة فصلت آيه ٣٣ .





التمهيد لموضـوع الكتاب

رأيت أن أمهد للكتاب بمبحثين :

المبحث الأول : التأريخ للدعوة والدعاة .

المبحث الثانى : دراسة موجزة للحركات الإسلامية ، التى لها دور فى اليقظة الإسلامية .

وقبل أن أستطرد فى مبحثى التمهيد ، أرجع إلى كلمة الدعوة والدعاة فى معاجم اللغة العربية ، شارحا لمفرداتها مبينا معناها .

أصل كلمة الدعوة لغة :

(١)- جاء فى دائرة معارف القرن العشرين [١] ما يلى :-

- « دعاه » يدعوه دعاء ودعوى ناداه وصاح به .
- « دعا له » طلب له الخير من الله تعالى .
- « دعا عليه » طلب له الشر من الله تعالى .
- « تداعى الناس » دعا بعضهم بعضا .

(٢)- وجاء فى لسان العرب [٢] من معانى كلمة الدعوة ما يأتى :-

- « الدعوة » المرة الواحدة من الدعاء .

« والدعاة » قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، وأحدهم داع ، ورجل داعية

---

(١) المجلد (٤ صـ٤٦) .

(٢) جـ (١٨ صـ٢٨١) .

إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين ، وأدخلت فيه الهاء للمبالغة .

وبهذا يتضح أن كلمة دعا ومشتقاتها تدور بين الداعي وما يدعو إليه من خير أو شر .

الدعوة اصطلاحا :

عرفت الدعوة فى الاصطلاح بعدة تعريفات أذكر منها ما يلى :ـــ

١ – « حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل »[١] . الدنيا والآخرة

٢ – « هى قيام العلماء المستنيرين فى الدين بتعليم الجمهور من العامة ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم على قدر الطاقة »[٢] .

٣ – « إنقاذ الناس من شر واقع ، وتحذيرهم من أمر يخشى عليهم الوقوع فى بأسه »[٣] .

والمختار من هذه التعريفات هو الأول ؛ لأنه جامع شامل للدعوة بشقيها : الترغيب والترهيب، وموضح لآثار الدعوة فى الدنيا والآخرة .

أما التعريف الثانى فقد قصر الدعوة على العلماء فقط ، وأسقط من حسابه جماعة المسلمين من غير العلماء ، مع ملاحظة أن الدعوة إلى الله هى رسالة الأمة بأسرها كما سيأتى إن شاء الله .

والتعريف الثالث : اقتصر من الدعوة على جانب الترهيب فقط ، علما بأن دعوة الأنبياء جميعا تجمع بين التبشير والإنذار والترغيب والترهيب ، قال تعالى موضحا أسس دعوة محمد ﷺ :

الدليل

« يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا »[٤] .

---

(١) هداية المرشدين:الشيخ على محفوظ ص (١٨) .

(٢) الدعوة إلى الإسلام:د . أبوبكر ذكرى صـ (٨) .

(٣) الدعوة إلى الإصلاح:الشيخ محمد الخضر حسين ص (١٧) .

(٤) سورة الأحزاب:آية ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

والدعوة إلى الله رسالة الأنبياء جميعا ، ولكن هذه الأمة شرفت دون سائر الأمم بحمل أمانة الدعوة إلى الله ، وقيادة البشرية إلى طريق الهدى والرشاد . قال تعالى :ـــ

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(١) .

حكم تبليغ الدعوة :

الوجوب العينى على الأنبياء والعلماء الذين فقهوا دين الله ، والوجوب الكفائى بالنسبة لمجموع الأمة ، ومن أدلة الوجوب من القرآن الكريم ما يلى :ـــ

١ ـ ما أمر به ﷺ فى قوله تعالى :

« يأيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر »(٢)

٢ ـ قوله تعالى :

« يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك »(٣) .

٣ ـ قال تعالى :

« فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين »(٤) .

٤ ـ وقال تعالى :

« وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم »(٥) .

وما أمر به أئمة الإسلام فى قوله تعالى :ـــ

٥ ـ « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »(٦) .

وما ينبغى أن تكون عليه أمة الدعوة اقتداء بقوله تعالى :ـــ

٦ ـ « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »(٧) .

---

(١) سورة آل عمران:آية ١١٠
(٢) سورة المدثر:آية (١ ، ٢ ، ٣)
(٣) سورة المائدة:آية ٦٧
(٤) سورة الحجر:آية ٩٤
(٥) سورة الحج:آية ٦٧
(٦) سورة آل عمران:آية ١٠٤
(٧) سورة التوبة:آية ٧١

أدلة الوجوب من السنة :

١ - عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان »[١]

٢ - عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :
« والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكرأو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »[٢] .

٣ - عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :
« بلغوا عنى ولو آية »[٣] .

٤ - ومن فوق جبل عرفات وقبل انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى بثلاثة وثمانين يوما قال قولته الآمرة الخالدة :
« ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

٥ - وكان ﷺ يأخذ العهد على أصحابه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فعن جابر بن عبد الله قال :
« بايعت النبى ﷺ على النصح لكل مسلم »[٤] .

« هذه بعض الأدلة من القرآن والسنة على وجوب تبليغ الدعوة إلى الله .

الإجماع على وجوب تبليغ الدعوة :

انعقد إجماع المسلمين على وجوب تبليغ الدعوة الإسلامية ، وهذا الإجماع ، انعقد خلال عصر الصحابة والتابعين ، ولا ينقض هذا الإجماع بتخاذل المسلمين فى هذا العصر عن الدعوة إلى الإسلام . غير أن العلماء قد اختلفوا فى نوعية هذا الوجوب . هل الدعوة إلى الله فرض عين على كل فرد من أفراد الأمة ؟ أم هى فرض كفاية يقوم به البعض دون الكل ؟

---

(١) رواه مسلم
(٢) رواه الترمذى بإسناد حسن
(٣) رواه البخارى
(٤) رواه مسلم جزء ٢ صـ ١٦

ومرجع هذا الاختلاف تفسير قول الله سبحانه وتعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »[٥] .

فعلى القول بأن (من) بيانية يكون المعنى :-

ولتكونوا أيها المسلمون جميعا أمة داعية إلى الخير آمرة بالمعروف وناهية عن المنكر .

وهذا التفسير يتفق مع قوله تعالى :ـــ

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

وعلى القول بأن (من) تبعيضية يكون المعنى :

ليكن بعضكم متخصصا فى الدعوة إلى الله ، ويكون هذا المعنى متناسقا مع قوله تعالى :

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون[٢] » .

وإننى أرجح الرأى القائل :

بأن (من) فى قوله تعالى :

﴿ ولتكن منكم أمة ﴾ بيانية ، وعلى هذا يكون تبليغ الدعوة هو رسالة الأمة جميعها .

وهذا الرأى وإن كان وجيها مختارا لدىّ ، غير أنه يرد عليه الاعتراض التالى :ـــ

« إن مقومات الدعوة لا تتأتى من الناس جميعا ، ففيهم جاهلون لا يعرفون الأحكام ، ولا يعقل أن يدعو مسلم إلى الإسلام وهو لا يدرى شيئا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ويجاب على هذا الاعتراض بما يلى :ـــ

١ - إن المعروف والمنكر تعرفه العقول والطباع السليمة ، ويدرك بالفطرة ، قال الله تعالى :ـــ

« فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق

---

(١) آل عمران آية ١٠٤

(٢) سورة التوبة آية ١٢٢

الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[1] .

٢ ـ حينما سئل ﷺ عن البر أجاب بقوله :

« البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى صدرك » .

فلقد عهد ﷺ إلى الفطرة السليمة التعرف إلى الخير والشر .

٣ ـ « ولا يلزم لمعرفة هذا قراءة حاشية ابن عابدين على الدر ، ولا الفتح القدير ، ولا المبسوط ، وإنما المرشد مع سلامة الفطرة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ المنقولة بالتواتر والعمل ، وهو مالا يسع أحدا جهله ، فالذين منعوا عموم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، جوزوا أن يكون المسلم جاهلا لا يعرف الخير من الشر ، ولا يميز المعروف من المنكر ، وهو لا يجوز دينا »[2] .

وأمة الدعوة مكلفة بأن تنتقى من يقود هذا العمل ، وينظمه ويشرف عليه ويتولى شرح دقائق الأمور كالفتاوى ورد الشبهات ، وهذا الذى ذهبت إليه هـو ما يراه الشيخ محمد رشيد رضا .

٤ ـ ويرد أيضا على من قال بأن الدعوة فرض كفاية بالآتى :

« إن الشرط للخروج من عهدة الفرض الكفائى حصول الكفاية بمن يقوم به ، ولما كانت الكفاية غير حاصلة ، فيجب أن يقوم بهذا الواجب كل مسلم حسب قدراته لاسيما فى هذا الزمن »[3] .

وعلى هذا يتضح من خلال النصوص الدينية والأدلة الشرعية والعقلية ، وجوب تبليغ الدعوة إلى الله :

١ ـ هل الدعوة إلى الله رسالة أم حرفة يتكسب بها ؟

٢ ـ هل يجوز تعاطى الأجر مقابل الدعوة إلى الله ؟

مما لا ريب فيه أن الدعوة إلى الله رسالة هذه الأمة من أجلها خلقت وبها شرفت

---

(١) الروم آية ٣٠

(٢) تفسير المنار الشيخ رشيد رضا جزء ٤ صـ٢٧

(٣) أصول الدعوة د . عبدالكريم زيدان صـ٣٠٤

وبتبليغها تسنمت ذرا المجد ، وارتقت مراقى الكمال ، وهى تشريف وتكليف ، ووسيلة لنيل الأجر والثواب من الله لا من البشر . وإن فى رسل الله قدوة حسنة فما كانوا يريدون بدعوتهم إلى الله أجرا ، ولا يبتغون من ورائها جاها ، وفى ذلك يقول الله تعالى عن نوح عليه السلام :

﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله ﴾ (١)

وعن هود عليه السلام يقول الله تعالى :

﴿ يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون ﴾ (٢) وعن اتباع المرسلين يقول الله تعالى :

﴿ يا قوم اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾ (٣) .

وأمر الله رسوله ﷺ بقوله تعالى :

﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ﴾

ولقد ذكر القرآن الكريم أن الأنبياء والمرسلين كانوا جميعا ذوى حرف وأعمال يتكسبون بها ويعيشون عليها ، وينفقون منها على أعباء الدعوة . وهذا ما ذكره الرسول ﷺ :ــ

« ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » (٤) وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال :

« كان زكريا عليه السلام نجارا »

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى أنه قال :ــ

« ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم . قال الصحابة : وأنت ؟
فقال ﷺ : نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة » (٥) .

---

(١) سورة هود.آية ٢٩
(٢) سورة هود.آية ٥١
(٣) سورة يس.آية ٢٠ ، ٢١
(٤) رواه البخارى ــ فتح البارى.جـ٥ صـ٣٠٢
(٥) المرجع السابق.جـ٥ صـ٣٤٨

وعلى هذا الدرب سار سلف الأمة وخلفها لا يطلبون أجرا ، ولا يستجدون ولا يتكسبون بالدعوة . قال الحسن البصرى :

« لايزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دينارهم ، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه »

ولقد رفض الحارث بن محمد أن يأخذ الرزق الذى رتبه له عمر بن عبدالعزيز ليعلم الناس فى البادية وقال :

« ماكنت آخذ على علم علمنيه الله أجرا » (١) .

ولهذا كان ألم العلماء كبيرا عندما بلغهم أن المدرسة النظامية ببغداد أخذت تدفع رواتب للعلماء فقالوا :ـ

« كان يشتغل بالعلم أرباب الهمم العلية والأنفس الذكية ، الذين يقصدون العلم لشرفه والكمال به ، فإذا صار عليه أجر تدانى إليه الأخساء ، فيكون ذلك لمهانته وضعفه » (٢) .

هذا ولقد اختلف الفقهاء فى حكم تعاطى الأجر على عمل الطاعات إلى فريقين :ـ

الأول : يرى عدم جواز أخذ الأجر بل يحرم ذلك ، واستدلوا بقوله تعالى :

« إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » (٣) .

قال الفخر الرازى :

احتجوا بهذه الآية على أنه لا يجوز أخذ الأجر على التعليم ؛ لأن الآية لما دلت على وجوب التعليم كان أخذ الأجر أخذا على اداء الواجب وأنه غير جائز » (٤) .

وذهب الأحناف إلى هذا الرأى أيضا فقالوا : الإجارة على الطاعات لاتجوز، ويحرم

---

(١) الحسن البصرى ـ رسالة دكتوراه د . مصلح بيومى صـ٣٠٢

(٢) تاريخ التربية الإسلامية د . أحمد شلبى

(٣) سورة البقرة آية ١٥٩

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى جزء ٤ ص ١٨٥

أخذ الأجر » ، واستدلوا بقول الرسول ﷺ : اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به » .

وبقوله ﷺ لعمرو بن العاص : « وإن اتخذت مؤذنا فلا تأخذ على الأذان أجرا »[١] .

وقال الحنابلة :

« لا تصح الإجارة لأذان وإمامة وتعليم وفقه وحديث ، ولا يقع إلا قربة لفاعله ويحرم أخذ الأجرة عليه ، وجوزوا أخذ رزق من بيت المال ، أو من وقف على عمل يتعدى نفعه كقضاء وتعليم ، وليس بعوض بل رزق للإعانة على الطاعة ولا يخرجه عن كونه قربة ولا يقدح فى الإخلاص »[٢] .

الفريق الثانى : يرى جواز أخذ هذا الأجر ، وهذا ما ذهب إليه المالكية والشافعية وابن حزم، قال ابن حزم :

« والإجارة جائزة على تعليم القرآن وعلى تعليم العلم مشاهرة وجملة » ، ويستدلون بقول الرسول ﷺ « إن أحق ما أخذتم عليه أجرا هو كتاب الله »[٣] .

ولقد جاء فى فتح البارى ما يعضد هذا الرأى .

فنقل عن الشعبى :

« لا يشترط المعلم . إلا أن يعطى شيئا فيقبله »

وفى الجعديات حدثنا على بن الجعد عن شعبة ، قال : سألت معاوية مرة عن أجر المعلم فقال :

« أرى له أجرا » وسألت الحكم فقال : « ما سمعت فقيها ينفيه »[٤] .

هذا ومع قوة الأدلة الشرعية من القرآن والسنة وأفعال الصحابة ، التى لا تجيز أخذ الأجر على الطاعات ومنها الدعوة إلى الله . فإننى أرجح الرأى القائل بجواز أخذ الأجر ، لاسيما فى هذا العصر الذى نضب فيه معين الخير ، وشحت فيه الأنفس

---

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق جـ٣ صـ١٠١

(٢) المرجع السابق جـ٣ صـ٢٠٢

(٣) فتح البارى جـ٥ صـ٣٦٠

(٤) فتح البارى جـ٥ صـ١٦١

واستشرى البخل والتقتير على الدعوة والدعاة ، وتكاد علوم الشرع تندثر والدعاة ينقرضون ، مع الأخذ بفتوى من يجيز أخذ الأجر ، فكيف لو أخذ بفتوى من لا يجيز أخذ الأجر ؟ إذن لن يوجد من يعلم أو يتعلم ، على أنه يجب على الداعى أن يكون وجهته ومقصده لله تعالى ، وأن يجعل من أجره وسيلة لغاية كريمة ، وهى نشر الإسلام ، وألا تكون الدعوة وسيلة إلى طلب المال ، وإن اليقظة الإسلامية المعاصرة من خلال الجمعيات الإسلامية ، قد عادت إلى سالف العهد فى فجر الإسلام ، حيث إن أعضاء تلك الجمعيات يأمرون بالمعروف حسبة لله تعالى .

ولقد شهدت الدعوة الإسلامية عبر تاريخها ضروبا من الدعوة وألوانا من الدعاة ، تضافروا جميعا على نشر الإسلام وحفظه ، والذود عنه ، إلى جانب ذاتية الإسلام التى تتوافق مع الفطرة :

﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون [1] ﴾ ومن هذه الضروب ما يلى :

أولا : المحتسب

والمحتسب هو الشخص المعين من قبل الحاكم للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والحسبة لغة كما جاء فى لسان العرب :

مصدر احتسابك الأجر على الله تقول : فعلته حسبة واحتسابا .

والاحتساب طلب الأجر.

وهى فى الشرع كما عرفها الماوردى: « أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله » [2]

وعرفها الإمام الغزالى : « كل منكر موجود فى الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس معلوم كونه منكرا بغير اجتهاد » [3] .

---

(١) سورة الروم آية ٣٠

(٢) الأحكام السلطانية للماوردى صـ٢٤٧

(٣) إحياء علوم الدين: جـ٧ صـ١٢٧٧

والمختار لدىّ تعريف الماوردى لشموله على الدعوة والترغيب والترهيب .
أما تعريف الإمام الغزالى ، فلقد قصر الحسبة على إنكار المنكر فقط.

والحسبة نظام عرف منذ فجر الإسلام ، فلقد ولى الرسول ﷺ « سعيد ابن سعيد بن العاص بن أمية على سوق المدينة ، وولى عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه السائب بن يزيد ، مع عبد الله بن عقبة بن مسعود على سوق المدينة »[1] .

والمحتسب يجمع بين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويخول له سلطة إيقاع العقوبة على العصاة . ولقد عدد أبو حامد الغزالى فى الإحياء درجات العقوبة وتدرجها :

« بالوعظ والنصح ، ثم بالتعنيف ، ثم التغيير باليد ، ثم التهديد بالضرب وتحقيقه ، ثم الاستظهار بالأعوان والجنود »[2] ولقد جاء فى كتاب الحسبة فى الإسلام[3] : «فعلى المحتسب أن يأمر العامة بالصلوات الخمس فى مواعيدها ويعاقب من لم يصل بالضرب والحبس . أما القتل فإلى غيره ، ويتعاهد الأئمة والمؤذنين ، فمن فرط منهم فيما يجب من حقوق الإمامة أو خرج عن الأذان المشروع ، ألزمه بذلك واستعان فيما يعجز عنه بوالى الحرب ، وكل مطاع يعين على ذلك ، والمحتسب يفرض له أجر نظير عمله من بيت المال » .

ولقد وضع الفقهاء فروقا بين المتطوع فى الدعوة إلى الله والمحتسب ، ومن هذه الفروق ما يلى :ـ

١ ـ الدعوة إلى الله فرض عين على المحتسب وفرض كفاية على غيره .
٢ ـ أن قيام المحتسب به من حقوق تصرفه التى لا يجوز أن يتشاغل عنها ، وقيام المتطوع به من نوافل عمله ، الذى يجوز أن يتشاغل عنه لغيره .

---

(١) نظام الحسبة فى الإسلام د . إسحاق الحسينى صـ٣١٢
(٢) الإحياء جـ ص ١٢٣٦
(٣) لابن تيمية صـ١٤

٣ – أن المحتسب منصوب للاستعداء فيما يجب إنكاره ، وليس المتطوع منصوبا للاستعداء .
٤ – على المحتسب أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ؛ ليصل إلى إنكارها ، ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر ؛ ليأمر بإقامته ، وليس على غيره من المتطوعة بحث ولا فحص .
٥ – للمحتسب أن يعذر فى المنكرات الظاهرة ولا يتجاوز الحدود ، وليس للمتطوع أن يعذر على منكر .
٦ – للمحتسب أن يرتزق على حسبته من بيت المال ، ولا يجوز للمتطوع أن يرتزق على إنكار منكر .(١)

ولقد شملت الحسبة جميع مظاهر الحياة الدينية والدنيوية ، وظلت تؤدى رسالتها فى مصر منذ أوائل الإسلام ، حتى عام (١٢٣٤ هـ – ١٨١٩ م) حينما ألغى التزامها ، وأصبح المحتسب موظفا تابعا لديوان الخديوى عام (١٢٥٣ هـ – ١٨٣٧ م) هذا ، وما أحوج الدعوة فى هذا العصر أن يعود إلى الداعى صفة المحتسب واختصاصاته التى عرفت منذ صدر الإسلام .(٢)

ثانيا : القصص :

وهو لون من الدعوة ظهر فى صدر الإسلام وصورته : « أن يجلس القاصُّ فى المسجد وحوله الناس فيذكرهم بالله ويقص عليهم أحاديث وقصصا عن الأمم الأخرى ، لاتعتمد على الصدق بقدر ما تعتمد على الترغيب والترهيب »(٣)

« وتميم الدارى أول من قص على الناس بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذكر ابن الأثير أن أول من قص من الصحابة

---

(١) الأحكام السلطانية للماوردى صـ٢٤١
(٢) نظام الحسبة فى الإسلام من أبحاث المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية د . إسحاق الحسينى صـ٣١٢
(٣) فجر الإسلام ، الأستاذ أحمد أمين ص ١٥٩

وتصدر المجالس الجامعة للدعوة والإرشاد الأسود بن سريع »[1] ، ثم تطور أمر القصص والقصاص فى عهد الفتنة بين على كرم الله وجهه ومعاوية ابن أبى سفيان ، وأصبح فى كل قطر قاص يعرف به ، فارتفع شأن القصص والقصاص وأصبح عملا رسميا .

« فبدأ القصص بمصر عام (٣٨ هـ) وكان ثوبة الحضرمى وأبوإسماعيل ابن نعيم وأبورجب بن عاصم ، ممن عينوا قصاصا لجامع عمرو بن العاص ، وكان راتب الأخير عشرة دنانير فى الشهر »[2] .

غير أن هذا اللون من الدعوة سرت إليه الإسرائيليات والأحاديث المفتراة والقصص غير المعقول ، وكان مصدر هذه الأخبار (وهب بن منبه ، وكعب الأحبار) وهما من اليهود الذين دخلوا فى الإسلام .

ولهذا فطن الإمام على كرم الله وجهه إلى الخطورة المترتبة على هذا اللون من الدعوة فأخرجهم من المساجد ، واستثنى الحسن البصرى لتحريه الصدق .

ولقد ألف العلماء كتبا كثيرة للتحذير من هذا اللون من الدعوة ، ومن هذه الكتب :

« الباعث على الخلاص من حوادث القصاص » ، للحافظ زين الدين أبو الفضل العراق »

وألف الإمام جلال الدين السيوطى المتوفى (٩١١ هـ) كتابا سماه : « تحذير الخواص من أكاذيب القصاص »

وما زالت الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث تعانى من الدعاة الذين ينهلون من هذا اللون من الدعوة ، مروجين للإسرائيليات المفتراة والقصص الغريب،ومع الأسف مازالت هناك كتب يجدد طبعها،تحمل بين صفحاتها كل ماهو غريب وشاذ ، كـ « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » لابن إياس و« قصص الأنبياء » للعرائسى ، فضلا عن الأحاديث الضعيفة والآثار

---

(١) أسد الغابة فى معرفة أخبار الصحابة جـ١ صـ٨٥

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٢ صـ١٩٤

الموضوعة فى كثير من أمهات الكتب الإسلامية .

ثالثا : الدعاة المتطوعون

ماكاد الإسلام يلامس قلوب المسلمين حتى أيقن كل مسلم بمدى الأمانة الملقاة على عاتقه من تبليغ الدعوة،فانطلق يدعو إلى الله،وغدا المجتمع المسلم كله قوافل من الدعاة يبذلون المهج والأرواح فى نشر الإسلام ، وكان أمل المسلم الذى لا يعادله أمل وسعادته التى لا تعادلها سعادة ، حينما يأخذ بيد أخ أو صديق له من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان ، ومما عمق هذا الشعور لدى جماعة المسلمين ما جاءت به آيات القرآن الكريم ، وما بشرت به السنة النبوية الشريفة ، من بيان فضل الدعاة وعظم أجرهم واستحقاقهم ثواب الله والجنة .

قال تعالى : « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين »[1] .

عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » .

وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم »[2] .

وإزاء هذه الأدلة الشرعية فضلا عما تميز به الإسلام من توافق مع الفطرة ، تتضافر جهود المسلمين جميعا نحو نشر الإسلام ، فبجانب ما ذكر من أمر المحتسبين والقصاص . فإنه يوجد ضرب من الدعاة ، كان لهم فضل كبير فى نشر الدعوة ، إنهم الدعاة المتطوعون ، ويمكن تصنيفهم إلى ثلاثة أصناف :ـ

الأول : العلماء من الدعاة الذين لا يطلبون أجرا ولا يتكسبون بالدعوة ولا يتاجرون

---

(١) سورة فصلت آية ٣٣

(٢) رواه مسلم

بها ، وتاريخ الدعوة يحمل بين صفحاته أعلاما فتح الله بهم القلوب ، وسنعرض لهم ، إن شاء الله فى إيجاز عند التأريخ للدعوة والدعاة فى الإسلام .

ثانياً : قوافل التجار :

فلقد كانت قوافل التجار من المسلمين تهاجر فى الأرض تبتغى الرزق الحلال والتجارة الرابحة ، وفى أثناء ترويجهم لبضائعهم يدعون إلى الإسلام بالقدوة الحسنة والسلوك الطيب والتعامل الكريم .

وإن ما فتح بواسطة هؤلاء التجار أكثر مما فتح عنوة ، فهم وراء انتشار الإسلام فى الهند وأندونيسيا وجزر الملايو ، وهم الذين حملوا الإسلام إلى أفريقيا ، وكانت استمالتهم للقلوب ، وتأثيرهم فى النفوس بالأساليب الآتية :

أولا : الاختلاط والائتلاف القائمان على حسن المعاملة ، ومكارم الأخلاق ، والتسامح فى البيع والشراء ، بجانب السلوك الإسلامى خلال الحياة اليومية .

ثانيا : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى حدود قول الله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ﴾[1] .

ثالثاً : إزالة الأوهام التى تسيطر على عقول الأمم من جراء الخرافات العقيمة ، واتباع الهوى وفساد الأخلاق ، وبهذا انتشر الإسلام بين ربوع الدنيا بواسطة التجار لاسيما اليمنيين والحضارمة .

ثالثاً : الدعاة من المتصوفين

للتصوف دور لا ينكر وجهد لا يجحد فى نشر الإسلام ، ومهما اختلف فى شأن التصوف هل هو إسلامى النشأة ؟ أم وافد مع روافد الثقافات والفلسفات القديمة ؟ مما لا مجال له فى بحثى هذا ، فإن المتصوفة نشروا الإسلام بمنهجهم الخاص فى التربية وأسلوبهم المميز فى السلوك ، وحينما أذكر التصوف لا أعنى به ذلك الذى شاع فى عصر الفاطميين والمماليك ، وما جاء بعد ذلك بما يحمل من مظاهر الشعوذة والدجل ، والخروج للمواكب

(١) سورة النحل آية ١٢٥

والأعلام والشطحات والفلسفات ، وإنما أقصد التصوف الذي يضفي على النفس الصفاء وعلى القلب الإشراق ، وفي العقل اليقين . التصوف الذي يصفو به الإنسان من سيطرة الشهوة واتباع الهوى ، ويتسامى عن متاع الدنيا ويترفع عن سيء الأعمال والأقوال . وتاريخ التصوف حافل بالأعلام الذين كان لهم دور بارز في نشر الإسلام ومنهم :ـــ

« الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي عاش في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ولقد كان عالما بالأصول والفروع والحديث رواية ودراية وجلس للوعظ أربعين سنة » (1) .

وكذلك كان لأتباع أبي الحسن الشاذلي والمرسى أبي العباس أثر كبير في نشر الإسلام في أفريقيا ، كما لا ينكر فضل التيجانية والسنوسية في انتشار الإسلام في ساحل الذهب وغانا والصومال والسودان ونيجيريا وكثير من بلدان أفريقيا .

بهذا العرض الموجز تتضح ضروب الدعوة وأنواعها .

المبحث الأول
التأريخ للدعوة

١ ــ الدعوة في صدر الإسلام .

كان ﷺ يدعو الناس إلى الله فرادى ومجتمعين ، يغشى أماكن تجمعاتهم ودور ندواتهم ، ويذهب إلى الأسواق ، ويعرض نفسه على القبائل الضاربة في الصحراء ، يقرأ عليهم القرآن ويجادلهم بالتي هي أحسن ، ويؤثر في قلوبهم بالموعظة الحسنة والقدوة الطيبة ، وكان ﷺ يوفد أصحابه لتبليغ ونشر الإسلام ، فيرسل مصعب بن عمير رضى الله عنه إلى يثرب ، ويوفد شهداء الرجيع وبئر معونة إلى مضارب القبائل العربية ، ويبعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاذ بن جبل إلى اليمن ، ويكتب الرسائل إلى كسرى الفرس وقيصر الروم وعظيم القبط في مصر ونجاشي الحبشة ، حتى انتقل إلى الرفيق

---

(1) الدعوة إلى الإسلام للشيخ محمد أبي زهرة ص ١١٨ .

٢ – مدرسة لتحفيظ القرآن .
٣ – معهد دينى لتدريس العلوم الإسلامية .
٤ – مكتبة علمية .
٥ – بيوت الإخوان .
٦ – مكان لاستقبال الضيوف .
٧ – إنشاء المزارع وبعض المصانع ودار للعلاج .

اختيار الزوايا :

كان رحمه الله يختار المواقع الهامة كتقاطع الطرق ، وملتقى القوافل أو بالقرب من حدود الدول المجاورة .

تنظيم الزوايا :[1]

أ – يتولى أمر الزاوية والإشراف عليها « مقدم » يتولى أمورها ويفصل فى الخصومات والمنازعات ، وله وكيل يتولى جباية الأموال والإنفاق على الزاوية ، وينظر فى زراعة الأرض . ولكل زاوية شيخ يقيم الصلاة ويعلم الأولاد ويباشر عقود النكاح والصلاة على الجنائز ، إلى جانب ما انفردت به الزوايا من التدريب العسكرى على فنون القتال مما كان له أكبر الأثر فى الدفاع عن ليبيا ضد الاحتلال الإيطالى .

ب – شكل الإمام السنوسى مجلسا يسمى « مجلس الخواص » يتكون ممن بلغ درجة عالية من العلم والمعرفة ، وهذا المجلس يشرف على جميع الزوايا .

انتشار الزوايا :

أنشأ الإمام محمد بن على السنوسى الزاوية الأولى فى مكة عام (١٨٣٧ م) فى جبل أبى قبيس ، ثم أنشأ عدة زوايا بالقرب من الطائف والمدينة وينبع وجدة ، غير أن ما أثارته الدعوة الوهابية من خلافات وحروب حال دون نجاح هذه الزوايا ، فترك الحجاز وتوجه إلى مصر عام (١٨٤٠ م) . ونزل بالأزهر إلا أنه وجد صدودا واعتراضا على أفكاره من علمائه ، فغادر مصر

---

(١) التاريخ الإسلامى د . أحمد شلبى صـ٤٢٨

إلى ليبيا عام (١٨٤٣ م) ، وأنشأ الزاوية البيضاء فى الجبل الأخضر فى عام (١٨٥٦ م) ، وأنشأ زاوية فى واحة الجغبوب لمكانها ولسيطرتها على طريق القوافل ، فجعلها مقرا لدعوته وأنشأ بها مدرسة دينية عمادها الرجال الذين رافقوا الإمام فى رحلاته ، وكان بها مكتبة دينية فيها ما يقرب من ثمانية آلاف مجلد ، ووجد بها حوالى ثلثمائة طالب أعدوا إعدادا خاصا لنشر الإسلام .

وفى عهد الإمام المهدى نجل الإمام محمد بن على السنوسى نقل مركز الدعوة من الجغبوب إلى الكفرة عام (١٨٩٥ م) ، ثم انتشرت الزوايا حتى أصبحت فى مطلع القرن العشرين مائة وستا وثلاثين زاوية موزعة على :

برقة – طرابلس – فزان – الجزيرة العربية – مصر [١] .

أثر الدعوة السنوسية على اليقظة الإسلامية المعاصرة :

١ – بينما ترى حركة الإمام محمد بن عبدالوهاب قد استنفدت طاقاتها فى مواجهة خصومها ، وهم مسلمون مهما اعترى إسلامهم من شوائب البدع والخرافات والأباطيل والترهات التى عاقت تقدمهم .

نرى الإمام السنوسى ينفرد بنشر الإسلام والتبشير به ، لاسيما فى قارة أفريقيا حيث كان التبشير المسيحى ينفث سمومه ويتسلل إلى قلب أفريقيا. ولقد كان للسنوسية فضل كبير فى مواجهة قوافل التبشير المسيحى ، فأرسلت أتباعها إلى مجاهل أفريقيا وكانت مراكز دعوتها محط قوافل الأفارقة ، يحسنون استقبالهم ويشرحون لهم الإسلام .

ومن وسائل الإمام فى نشر الإسلام :

١ – « أنه اشترى قافلة من العبيد كان تجار الرقيق خطفوهم ليعرضوا فى أسواق الرقيق ، ولكن الإمام أعتقهم جميعا وأكرمهم وعلمهم الإسلام ، ثم تركهم يعودون إلى قبائلهم مبشرين بالإسلام » [٢] .

---

(١) التاريخ الإسلامى د . أحمد شلبى صـ٤٣٠

(٢) التاريخ الإسلامى د . أحمد شلبى صـ٤٢٩

٢ ـ كان لما اتبعته السنوسية من تنظيم زواياها وتقسيمها إلى جماعات متعاونة ومتكاملة دينيا واجتماعيا واقتصاديا أثر كبير فى فكر الجمعيات الإسلامية فى مصر ، لاسيما جمعية الإخوان المسلمين ، يزكى ما ذكرته وجود ما يقرب من إحدى وعشرين زاوية فى مصر فى مطلع القرن العشرين ، وبعض هذه الزوايا بمحافظة البحيرة المتاخمة للصحراء الليبية ، تلك المحافظة التى نشأ بها المرحوم الإمام حسن البنا ، وهى أيضا موطن الإمام محمد عبده والعديد من علماء الأزهر الشريف .

ويتضح هذا الفكر فى جمعية الإخوان المسلمين من خلال نظام الأسر والشعب .

٣ ـ كان للأسلوب التربوى الذى انفردت به السنوسية أثر كبير لاسيما فى فكر الإمام محمد عبده ، الذى اتجه إلى التربية والتعليم حينما أخفق أستاذه السيد جمال الدين الأفغانى فى دعوته السياسية ، فلقد أشار عليه الإمام محمد عبده أن يهجر السياسة ، وأن ينتقيا عددا من الطلاب ويذهبا بهم إلى الصحراء ؛ يعلمانهم ويدربانهم على قيادة الأمة الإسلامية ، ويبدو هذا الاتجاه بسبب الاتصال بالسنوسية كما سيأتى عند الكلام عن الإمام محمد عبده .

٤ ـ كان لاتجاه السنوسية المعتدل نحو التصوف أثر كبير فى بعض الجمعيات الإسلامية ، التى لم تسقط التصوف من حسابها ، ولم تعلن العداء له ولكنها عملت على تنقيته من البدع والخرافات ، كجمعية الإخوان المسلمين وجمعية الشبان المسلمين فى باكورة نشأتها .

٥ ـ قامت السنوسية بدور بطولى فى مواجهة الاستعمار الإيطالى من خلال مقاومة الزوايا ، التى أبرزت العديد من المجاهدين كان على رأسهم المجاهد الإسلامى الكبير الشهيد عمر المختار ، وكان لهذا الجهاد الرائع أثر كبير فى إيقاظ الوعى الإسلامى ، ومحاربة الاستعمار فى أفريقيا فى وجه الغزو الفكرى والتبشير الصليبى .

وبهذا يتضح أثر الدعوة السنوسية فى حركة اليقظة الإسلامية المعاصرة ، وانفرادها بوضع المنهج العملى والتربوى للمجتمع المسلم .

ثالثا : السيد جمال الدين الأفغانى : (١٢٥٤ هـ – ١٣١٤ هـ) – (١٨٣٨ م – ١٨٩٧ م)

يكاد المؤرخون يجمعون على أن حركة التجديد الإسلامى المعاصر مدينة بالفضل إلى الكثير من توجيهات السيد جمال الدين الأفغانى ، حتى إنه لقب بموقظ الشرق وإن الباحث لتاريخ الجمعيات يرى آثاره واضحة فى تلك الجمعيات .

مولده وثقافته : [١]

ولد جمال الدين الأفغانى فى سعد أباد إحدى القرى التابعة مدينة كابل فى أفغانستان ، ويتصل نسبه بالسيد الترمذى المحدث المشهور ، ويرتقى إلى سيدنا الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

تلقى تعليمه الأول فى مدينة كابل ، ثم تبحر فى العلوم الدينية والثقافية .

وتعلم اللغة العربية والأفغانية والفارسية ، واستكمل الغاية من دروسه وهو فى الثامنة عشرة من عمره .

رحلاته :

سافر إلى الهند ووقف على أحوال المسلمين بها ، وأقام فيها يدرس العلوم الحديثة ثم سافر إلى مكة عام (١٢٧٣ هـ) ، ثم رجع إلى أفغانستان وشارك فى سياسة الأمور بها ثم عاد إلى الهند . ثم مصر عام (١٢٨٦هـ)، ومكث بها أربعين يوما وغادرها إلى مكة وعاد إلى مصر مرة ثانية عام (١٢٨٨هـ) ، واستقر بها حتى عام (١٢٩٦هـ)، ثم رحل إلى الآستانة ثم بطرسبرج فى روسيا وباريس ، ثم عاد إلى استانبول حتى توفى عام (١٣١٤ هـ – ١٨٩٧ م) .

الأسس التى قامت عليها دعوة الأفغانى :

تكاد تكون حالة المسلمين من الضعف والتفرق وانتشار البدع واستبداد الحكومات هى السمة البارزة ، التى جمعت بين أعلام اليقظة الإسلامية وإن وجد اختلاف فى الوسائل والتطبيق ، ولقد كانت دعوة الأفغانى تقوم على المبادىء التالية :

١ – أن يكون قوام نهضة المسلمين القرآن الكريم .

---

(١) جمال الدين – عبد الرحمن الرافعى ص ١

يقول رحمه الله : « فالقرآن وحده الذى كان كافيا فى اجتذاب الأمم القديمة وهدايتها حدير أن يكون كافيا اليوم أيضا فى اجتذاب الأمم الحديثة وهدايتها . ياويلنا .. ياويلنا القصور منا والتبعة علينا انصرفنا عن الأخذ بروح القرآن والعمل بمضامينه إلى الاشتغال بألفاظه وإعرابه ، والوقوف عند بابه دون التخطى إلى محرابه [1] .

٢ ـ الدعوة إلى الثورة السياسية على جميع النظم الفاسدة فى المجتمعات الإسلامية ، فهى أسرع لتحقيق النتائج ، أما وسائل الإصلاح التدريجى فيرى أنها لا تفى بالغاية ، وكان يرى ببصيرته الخطر الداهم والمحدق بالإسلام ، قال الكاتب الأمريكى « لو تروباستواد » :

« كان جمال الدين أول مسلم أيقن خطر السيطرة الغربية المنتشرة فى الشرق الإسلامى وتمثل عواقبها فيما إذا طال عهدها،فهب يضحى بنفسه ويفنى حياته فى سبيل إيقاظ العالم الإسلامى،وليس هناك من قطر وطئت أرضه قدم جمال الدين إلا وكانت فيه ثورة فكرية لا تخبو نارها » [2] .

٣ ـ فتح باب الاجتهاد :

فلقد حمل على التقليد حملات قاسية ورد على من زعم أن باب الاجتهاد أغلق فقال : « ما معنى أن باب الاجتهاد مسدود ؟ وبأى نص سد باب الاجتهاد ؟ وأى إمام قال لا ينبغى لأحد من المسلمين بعدى أن يجتهد ليتفقه فى الدين ؟ ثم يستطرد قائلا : فمن كان عالما باللسان العربى وعاقلا وعارفا بمسيرة السلف وما كان من طريق الإجماع جاز له النظر فى أحكام القرآن وتمعنها واستنباط الأحكام منها » [3] .

٤ ـ الوحدة الإسلامية :

عمل جمال الدين على توحيد كلمة المسلمين واتحاد صفوفهم وذلك من حلال جمعية العروة الوثقى التى كانت منتشرة فى جميع الأقطار الإسلامية

---

(١) جمال الدين:الشيخ أبوريه صـ٢١٤

(٢) جمال الدين:الشيخ أبوريه صـ١٦

(٣) جمال الدين-عبدالرحمن الرافعى صـ٦٠

وكان أعضاؤها يختارون من كبار المسلمين ذوى الغيرة الدينية والحماس المتأجج ولها فروع فى جميع البلدان ويجتمع كل منها للبحث فى شئون المسلمين وكان من أعضائها والمؤسسين لها :الإمام الشيخ محمد عبده وعبدالله النديم . والأمير عبدالقادر الجزائرى وشكيب أرسلان ، فضلا عن العديد من رجالات العالم الإسلامى . ولتدعيم هذه الجمعية أنشئت مجلة العروة الوثقى فى باريس والتى صدر منها ثمانية عشر عددا عام(١٣٠١ هـ-١٨٨٤ م) والتى أقلقت مضاجع الإستعمار فى العالم الإسلامى وأفزعت الحكام المستبدين بشعوبهم فصودرت أعدادها ومنعت من معظم الأقطار الإسلامية بعد ثمانية عشر عددا .

ولقد وضع جمال الدين والشيخ محمد عبده قسما يقسم كل عضو عليه . ومن خلال هذا اليمين يتضح الأسس التى قامت عليها دعوة الرجلين رحمهما الله تعالى : وهذا هو نص القسم :

« أقسم بالله العالم بالكلى والجزئى والجلى والخفى القائم على كل نفس بما كسبت الآخذ لكل جارحة بما اجترحت لأحكمن كتاب الله تعالى فى أعمالى وأخلاق بلا تأويل ولا تضليل ولأجيبن داعيه فيما دعا إليه ولا أتقاعد عن تلبيته فى أمر ولا فى نهى . ولأدعون لنصرته ولأقومن بها ما دمت حيا لا أفضل على الفوز بها مالا ولا ولدا .

أقسم بالله مالك روحى ومالى ، القابض على ناصيتى ، المتصرف بإحساسى ووجدانى ، الناصر لمن نصره ، والخاذل لمن خذله ، لأبذلن ما فى وسعى لإحياء الأخوة الإسلامية ، ولأنزلنها منزلة الأبوة والبنوة الصحيحتين . ولأعرفنها كذلك لكل من ارتبط برابطة العروة الوثقى ، وانتظم فى عقد من عقودها ، ولأراعينها فى غيرهم من المسلمين ، إلا أن يصدر عن أحد مايضر بشوكة الإسلام ، فإنى أبذل جهدى فى إبطال عمله المضر بالدين ، آخذا على نفسى فى أثره مثل ماآخذ عليها فى المدافعة عن شخصى ، أقسم بهيبة الله وجبروته على ألا أقدم إلا ماقدمه الدين ولا أوخر إلا ما أخره الدين ، ولا أسعى قدما واحدة أتوهم فيها ضررا يعود على الدين جزئيا أو كليا ، وألا أخالف أهل العقد

الذين ارتبط معهم بهذا اليمين فى شىء يتفق رأى أكثرهم عليه ، وأسأل الله نجاح العمل وتقريب الأمل ، وتأييد القائم بأمره الناشر لواء دينه،آمين »[١]

من هذا القسم يتضح منهج العروة الوثقى فى جمع شمل المسلمين ، والتى كانت باكورة نشأة الجمعيات الإسلامية .

ولم يقتصر السيد جمال الدين على جمعية العروة الوثقى فقط ، بل أسس فى مكة « جمعية أم القرى » ، لتدعو إلى الرابطة الإسلامية .

٥ ـ الرد على مزاعم المستشرقين :

ظهر اهتمام علماء الغرب بالإسلام وعلومه منذ الحروب الصليبية ، وكان البعض من هؤلاء العلماء يتحرى الصدق وينطق بالحق ، والكثير حمله حقده الأسود وغله الدفين على نشر الأكاذيب وتزييف الحقائق وتشويه الإسلام .

هذا ولقد تصدى جمال الدين لافتراءات المستشرقين فرد على الفيلسوف الفرنسى رينان . وفند مفترياته ضد العرب والإسلام ، مما جعل هذا الفيلسوف يرجع عن آرائه ويوطد علاقته مع جمال الدين ، كذلك قام فى الهند بالرد على الدهريين فى رسالة نقلها إلى العربية الإمام الشيخ محمد عبده .

أثر جمال الدين على النهضة الإسلامية :

يعتبر جمال الدين موقظ الشرق وباعث نهضته،وما من قطر حل به إلا ترك فيه آثاره الواضحة .

وظهر أثره فى مصر لدى الشيخ محمد عبده ومدرسته السلفية ، وفى أندونيسيا فى حركة تجديد المنار ، وفى الجزائر فى جمعية علماء الجزائر لمؤسسها المرحوم عبد الحميد بن باديس المتوفى (١٩٤٠ م) ، وفى الهند فى جماعة أهل الحديث ، وفى ندوة علماء الهند لمؤسسها محمد شبلى النعمانى المتوفى (١٩٤١ م)[٢] ، غير أن آثاره فى مصر كانت متعددة الجوانب محققة لأهداف كثيرة ، وأثمرت نهضة

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام:للشيخ رشيد رضا جـ١ صـ٢٨٧

(٢) الفكر الإسلامى الحديث:د . محمد البهى صـ١٣٠

إسلامية مازالت تؤتى ثمارها حتى الآن ، ومن آثاره ما توجزه فى التالى :

١ - دفع بالمصريين للثورة على كل مظاهر التخلف والوقوف فى وجه الحكام المستبدين ، مما مهد للثورة العرابية وماتلاها من ثورات ، كما أهاب بالعلماء أن ينبذوا التقليد ويفتحوا أبواب الاجتهاد . والوقوف على النهضة الأوروبية الحديثة ، والأخذ منها بما لا يتعارض مع الإسلام .

٢ - الخطابة :

كانت الخطابة فى عصره لا روح فيها ، فتلقى من ديوان مطبوع ، وتعتمد على السجع المتكلف،ولاتمس حاضر المسلمين ولا تتعدى منبر المسجد . فحينما قدم رحمه الله إلى مصر ، أيقظت خطبه البليغة المشاعر وحركت النفوس ، حتى إنه لقب بخطيب الشرق . ولم تقتصر على المساجد فقط ، بل تعداها إلى الأندية والمقاهى ، فكان له مجلس خاص فى قهوة البوستة بالأزبكية ، يلتقى فيها مع طلابه ومريديه مما كان له أثر فى الجمعيات الإسلامية ، لاسيما الإخوان المسلمون . فإن مرشدها العام الإمام حسن البنا بدأ دعوته من خلال التجمعات فى الأندية الرياضية والمقاهى ، كما سيتضح من خلال البحث إن شاء الله .

٣ - الصحافة :

أسس مدرسة صحفية تعمل على نهضة الإسلام ، وجعل منها منبرا يوقظ الهمم ويلهب المشاعر ، ويقلق مضاجع الاستعمار ، وجريدة العروة الوثقى التى صدرت فى باريس نموذج لأثره فى الصحافة .

هذا ولقد ترك مدرسة صحفية انتزعت الريادة والتوجيه من صحفيى الشام الذين وجهوا الصحافة فى مصر نحو العلمنة والتغريب والقومية كالأهرام والمقطم والجريدة .

ومن رواد هذه الصحافة (الشيخ محمد عبده وعبد الله النديم والشيخ على يوسف والشيخ عبدالعزيز البشرى ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب) ، ثم تتابع هذا الأثر إلى المجلات الإسلامية الناطقة بلسان الجمعيات الإسلامية .

٤ - كان إنشاء جمعية العروة الوثقى وجمعية أم القرى وإنشاء الشيخ محمد عبده الجمعية الخيرية الإسلامية دافعا إلى إنشاء الجمعيات الإسلامية المعاصرة ، التى يرجع الفضل إليها فى اليقظة الإسلامية الحديثة .

الفرق بين الوهابية والسنوسية ودعوة الأفغانى :

تكاد تكون حالة المسلمين من الضعف والتفرق وانتشار البدع هى السمة البارزة التى جمعت بين الوهابيين والسنوسية وجمال الدين . فهدف الجميع واحد ، غير أن كل مصلح نهج منهجا يتلاءم مع ثقافته والبيئة التى نشأ فيها ، ومن هنا تبدو بعض الاختلافات بين كل من الحركات السالفة ، ودعوة جمال الدين نوجزها فيما يلى :

١ ـ الدعوة الوهابية والسنوسية اللتان انطلقتا من الصحراء كلتاهما دعوة دينية خالصة ، أما دعوة الأفغانى فهى سياسية بالمقام الأول دينية فى المقام الثانى . وهذا الاتجاه بسبب رحلات الأفغانى إلى بلاد الشرق وأوروبا ووقوفه على النهضة الحديثة .

٢ - بينما كانت الحركة الوهابية والسنوسية بعيدتين عن الاستعمار والاحتلال والتبشير والغزو الفكرى كان الأفغانى معاصرا للاحتلال الانجليزى فى مصر والهند معايشا للمشاكل الاقتصادية التى أودت باستقلال مصر ، ووقف على محاولات روسيا القيصرية لتقويض الخلافة العثمانية ، ومؤامرات أوروبا على العالم الإسلامى .

٣ ـ بينما وقفت الوهابية والسنوسية بمنأى عن التطور الصناعى والتقدم العلمى ونظرت إليهما نظرة الارتياب ـ ولهذا لم تصمدا حينما واجهتا الأسلحة الحديثة فى جيش محمد على والجيش الإيطالى ، ـ نجد جمال الدين الأفغانى يدعو إلى النهضة العلمية ومواكبة لغة العصر صناعيا وعلميا وعسكريا واقتصاديا .

رابعا : الإمام محمد عبده :

يعتبر الإمام محمد عبده رائدا من رواد النهضة الإسلامية الحديثة ، ومؤسس مدرسة من الرواد الذين أسهموا بجهد كبير فى حركة التجديد الإسلامى المعاصر .

ولست فى مقام التأريخ لحياته أو المقوم لأعماله ، وإنما أهدف إلى بيان أثره فى

نشأة الجمعيات الإسلامية والإصلاح الدينى والنهوض برسالة الأزهر .

مولده ونشأته :

ولد رحمه الله فى عام (١٢٦٦ هـ - ١٨٤٩ م) فى قرية محلة نصر مركز شبراخيت بحيرة ، وتلقى تعليمه الأولى فى القرية ، ثم انتقل إلى طنطا لتجويد القرآن ودراسة العلوم الشرعية ، غير أن عقم الدراسة وجفاء أسلوبها دفعاه للعودة إلى قريته فأصر والده على إرجاعه لطلب العلم ، وفي طريق العودة المكره عليها قيض الله له (رجلا) من أخوال ابيه يسمى بالشيخ درويش :

« صوفى على اتصال بالزاوية السنوسية ، فشرح الله به صدر الإمام وعادت إليه الرغبة فى التعليم »[١] ولم يطل به المقام فى طنطا فارتحل إلى الأزهر عام (١٨٦٦ م) ، فاصطدم بأسلوب الدراسة به ، ولكن الله أراد له الخير بلقائه بالسيد جمال الدين الأفغانى الذى قدم إلى مصر عام (١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م) ، فلازمه وسرت فيه روح أستاذه ، فأيقظت فيه طاقات من الإشراق العلمى أثمرت فى جوانب عدة كالصحافة والتعليم والقضاء والفتوى والجمعيات الإسلامية و إصلاح الأزهر والمشاركة فى الثورة العرابية ، حتى غدا الإمام إمام عصره ومجدد قوته ، وما من رائد من رواد اليقظة الإسلامية إلا وقد تلقى عنه أو درس عليه أو تأثر بأفكاره .

آثار الإمام محمد عبده :

تنوعت أعمال الإمام وتعددت آثاره وكثرت أسفاره ، ومع كل عمل نيط به أو قطر حل فيه ، خلف وراءه آثارا جليلة وإصلاحات عظيمة ، فضلا عن التراث العلمى من المؤلفات القيمة . ومن آثاره رحمه الله ما يلى :

أولاً : تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع فى كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى [١] .

ثانيــــا : إصلاح التعليم :

حينما أخفق جمال الدين فى دعوته السياسية اتجه الإمام إلى التربية

---

(١) مذكرات الإمام - طاهر الطناحى - صـ١٩

والتعليم،ومما عمق هذا الاتجاه لديه الاحتلال الإنجليزى لمصر ، فلقد وجد رحمه الله أن حلقة الصراع مع الاحتلال ليست متكافئة ، فانسحب من ميدان السياسة إلى ميدان التربية ، وأخذ على أستاذه استغراق السياسة لحياته فقال :

« إن السيد جمال الدين كان صاحب اقتدار عجيب ، لو صرفه ووجهه إلى التعليم والتربية لأفاد الإسلام أكبر فائدة،وقد عرضت عليه حين كنا فى باريس أن نترك السياسة ونذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات ، نعلم ونربى من نختار من التلاميذ على مشربنا ، فلا تمضى عشر سنوات إلا ويكون عندنا من التلاميذ الذين يتبعوننا فى ترك أوطانهم والسير فى الأرض لنشر الإصلاح المطلوب »[1] .

وفى سبيل هذا الإصلاح وضع وهو فى المنفى ببيروت لائحتين لإصلاح التعليم وجه الأنظار فيهما إلى خطر مدارس التبشير فى العالم الإسلامى ، وحينما عاد إلى مصر وضع لائحة لإصلاح التعليم فى مصر ، غير أن اللورد كرومر اعترض عليها .

ثالثـــا : إصلاح الأزهر :

كان الأزهر إبان عصر الإمام يحتدم فيه الصراع والجدال بين دعاة الإصلاح والتجديد وجماعة الجمود والتقليد . ومع مطلع القرن الرابع عشر الهجرى كان جل علماء الأزهر يرتابون فى علوم العصر ، ويتوجسون منها خيفة،فصرح الشيخ عبدالرحمن الشربينى لإحدى الصحف عام (١٩٠٥ م)[2] :

« وأما الخدمة التى قام بها الأزهر للدين ولا يزال يؤديها ، فهى حفظ الدين لاغير ، وما سوى ذلك من أمورالدنيا وعلوم العصر ، فلا علاقة له بالأزهر ولا ينبغى له » .

---

(١) تجديد الفكر الإسلامى:د . محمد عمارة صـ١٥٥

(٢) محمد عبده ـ العقاد صـ١٩٠

ولم يكن هذا اتجاه العلماء وحدهم ولكن كان رغبة الحكومة والقصر والاحتلال ، وهكذا بين هوى الحكام وجمود بعض العلماء حاول الشيخ محمد عبده إصلاح الأزهر ، ولقد أتيحت له الفرصة حينما عين عضوا بمجلس إدارة الأزهر عام (١٨٩٥ م) ، وقد أثمرت جهوده العديد من الإصلاحات ، غير أنها مالبثت أن تعثرت بسبب جمود بعض العلماء ومحاربة الحكام ، مما دفع الشيخ إلى تقديم استقالته من مجلس إدارة الأزهر عام (١٩٠٥ م) وقال قولته المأثورة : « إن بقاء الأزهر متداعيا على حاله فى هذا العصر محال فهو إما يعمر أو يتم خرابه » [١] .

رابعــا : تأسيس الجمعيات الدينية والخيرية :

يعتبر الإمام محمد عبده رائدا فى تأسيس الجمعيات الدينية والخيرية ، فكما سبق أنه اشترك مع جمال الدين فى تأسيس جمعية العروة الوثقى بباريس ، وأثناء وجوده فى بيروت أسس جمعية « التأليف والتقريب » .

والهدف منها التقريب بين الأديان وقد دارت بينه وبين بعض رجال الدين المسيحى وبعض مفكرى العالم مجادلات ومراسلات ، فراسل بعض نبهائهم مثل جوستاف لوبون ، وهربرت سبنسر وتولستوى ، وكان المستشرق البريطانى إدوارد براون شديد الإعجاب به ، وقدم إلى مصر وحضر حلقات تفسير القرآن الكريم للإمام . وفى عام (١٨٨٢ م) أسس الجمعية الخيرية الإسلامية وإن كان يغلب عليها الطابع الاجتماعى ، إلا أنه كان لها مدارس خاصة يتربى فيها الطلاب على مبادىء الإسلام .

وفى عام (١٩٠٠) أنشأ جمعية إحياء العلوم والتى عنيت بإحياء التراث الإسلامى وإعادة طبعه ، وكانت هذه الجمعيات من أول ما عرفته مصر من هذا النوع من النشاط الدينى ، وما كاد يبزغ فجر القرن الرابع عشر الهجرى إلا وكانت

---

(٣) تجديد الفكر الإسلامى د . محمد عمارة صـ٤٦

مصر تزخر بالعديد من الجمعيات الإسلامية التى كان لها دور بارز فى اليقظة الإسلامية الحديثة ، كما سيتضح خلال أبواب الرسالة إن شاء الله .

التراث العلمى للإمام محمد عبده :

ترك -رحمه الله- مؤلفات علمية تدل على سعة علمه وصائب رأيه ، وتوضح منهجه فى التفكير ومشربه فى الإصلاح وجنوحه إلى الاجتهاد ، ومن هذه المؤلفات :

١ - تفسير القرآن الكريم من فاتحة الكتاب إلى آخر سورة النساء ، والذى سار على نهجه الشيخ رشيد رضا إلى أن وصل إلى سورة يوسف .

٢ - رسالة التوحيد .

٣ - رسالة العلم والمدنية بين الإسلام والنصرانية .

٤ - شرح نهج البلاغة .

٥ - شرح مقامات بديع الزمان .

ومع هذه المؤلفات القيمة فلقد ترك رجالا نابغين مرموقين، منهم من تلقى عنه ولازمه مثال : الشيخ رشيد رضا والشيخ حسونة النواوى والشيخ عبدالكريم سليمان ، ومنهم من حمل فكره ونهج منهجه فى الإصلاح الدينى مثال : الشيخ عبدالمجيد سليم والشيخ مصطفى عبدالرازق والشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ عبدالرحمن قراعة والشيخ محمد شلتوت ، وغيرهم كثيرون كان لهم دور بارز فى تجديد الفكر الإسلامى وتصحيح مساره ، وتنقيته من البدع والخرافات فضلا عن اتباعه فى مجالات السياسة والقضاء والفتوى والصحافة .

صلة البشرية

بوحى السماء ورسالات الانبياء

صلة البشرية بوحي السماء

ورسالات الأنبياء

إن تاريخ البشرية الضارب فى أعماق الزمن والممتد عبر قرون طويلة وحقب متتابعة ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالدعوة إلى الله وامتزج بوحى السماء ورسالات الأنبياء امتزاجاً يتغلغل داخل النفس البشرية ويؤثر فى مشاعرها وسلوكها ولا يمكن الفصل بين تاريخ الإنسان وتاريخ الدعوة إلى الله .

فلقد خلق الله آدم عليه السلام واستخلفه فى أرضه وأتمنه على أسرار كونه ومنحه العقل الذى يفكر به واللسان الذى ينطق به وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة قال تعالى .[1]

" ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً "

هذا التفضيل وذلك التكريم ليس لكون الإنسان يأكل أو يشرب أو يتناسل فهذه صفات يشترك فيها مع فصائل المخلوقات التى تدب معه على ظهر الأرض وإنما فضل بما اودعه الله فيه من خصائص وبما اتسم به من قدرات تؤهله لخلافة الله فى الأرض .

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٠.

قال تعالى : (1)

وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال : إنى أعلم مالا تعلمون "

فخلافة هذا الكون منزلة رفيعة ومكانة سامية بها ارتفع شأن الإنسان على كثير من مخلوقات الله التى عرض عليها تحمل تبعات هذا الكون بما فيه من أوامر إلهية وتكاليف شرعية فأعرضت عنها لعدم القدرة على الوفاء بمقررات تلك الخلافة ولأن الله لم يخلق فيهن ما خلقه فى الإنسان من عقل مفكر وإرادة يُصَرِّفُ بها نظام حياته وفق فطرة الله التى خلقه عليها .

قال تعالى : (2)

" إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً " .

قال القرطبى فى تفسيره : (3)

" الأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال وهو قول الجمهور . وروى الترمذى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " قال الله تعالى لآدم يا آدم إنى عرضت الأمانة على السموات

---

(1) سورة البقرة آية ٣٠.

(2) سورة الأحزاب آية ٧٢.

(3) تفسير القرطبى صـ ٥٣٣٦.

والأرض فلم تطقها فهل أنت حاملها بما فيها قال : وما فيها يارب قال إن حملتها أجرت وإن ضيعتها عذبت فاحتملها بما فيها فلم يلبث فى الجنة إلا قدر ما بين صلاة الأولى إلى العصر حتى أخرجه الشيطان منها" فالأمانة هى لفرائض التى إئتمن الله العباد عليها "

فالدعوة تأصلت مناهجها وبرزت دعائمها وأتضحت أساليبها منذ خلق الله آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس اللعين

قال تعالى : (١)

" ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون . ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا أبليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد إذا أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين قال أنظرنى إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فيما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين "

وبهذا أصبحت الكرة الأرضية ميداناً فسيحاً تتصارع فيه قوى الخير والشر وساحة رحبة للنزال بين جند الله وأتباع الشيطان ولقد صور القرآن الكريم ما أصاب أبليس من الحقد والحسد والضغينة على آدم وبينه

---

(١) سورة الأعراف آيات ١٠-١٨.

ما أضمره من الشر وتدبير المكائد والحيل لبنى الإنسان قال تعالى :[1]

" وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً قال أرأيتك هذا الذى كرمت علَى لئن أخرتنى إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا "

قال القرطبى فى تفسيرها "[2]

ومعنى لأحتنكن فى قول ابن عباس : لأستولين عليهم وقال مجاهد لأحتوينهم وقال ابن زيد : لأضلنهم أى لأستأصلن ذريته بالإغواء والإضلال ولأجتاحنهم " إلا قليلا" يعنى المعصومين وهم الذين ذكرهم الله فى قوله :إن عبادى ليس لك عليهم سلطان "

ولقد أمر الله إبليس أمر إهانة وتهديد قال الله تعالى :

" قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً واستفزز[3] من استطعت منهم بصوتك[4] وأجلب عليهم بخيلك ورجلك[5] وشاركهم فى الأموال والأولاد[6] وعدهم[7] وما يعدهم الشيطان إلا غروراً "

---

(١) سورة الإسراء ٦١-٦٤.

(٢) تفسير القرطبى ص ٣-٣٩.

(٣) أى استزل واستخف بنى الانسان .

(٤) صوت الشيطان كل داع يدعو للمعصية .

(٥) اجمع عليهم كل ما تقدر من مكائد .

(٦) الشركة فى الأموال إنفاقها فى المعاصى والشركة فى الأولاد أن يحرف بهم عن الطريق المستقيم .

ويتضح من هذه الآيات أن الحق سبحانه وتعالى هدد إبليس ومن تبعه بمثل ضلاله غير أن هذه تسبب لن تنال من المؤمنين ولا يستطيع الشيطان أن يتسلل إلى قلوب عباد الله الصالحين.

قال تعالى: ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾ سورة الإسراء آية ٦٥.

ثم يحدد القرآن الكريم فى موضوع آخر ميادين دعوة إبليس لعنه الله

قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً، إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ سورة النساء آيات (١١٦-١٢٠).

وبهذا يتضح أن دعوة الشيطان وحزبه تتلخص فى الأمور التالية:

أولاً: إفساد عقيدة التوحيد:

إن الإيمان بوجود الله ووحدانيته أمر فطرى يتغلغل فى أعماق النفس البشرية. قال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس﴾ (١)

---

(١) سورة الروم آية ٣٠.

لا يعلمون﴾ . وقال صلى الله عليه وسلم :

(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء [1] هل تجدون بها من جدعاء

متفق عليه .

وهذه الفطرة التى جبل الخلق عليها ضاربة فى أعماق الزمن تعود بذرة الخير فيها إلى ذلك العهد الذى أخذه الله سبحانه وتعالى على بنى آدم فى عالم الغيب وهو عهد تشريف لا تكليف ، قال تعالى: [2]

﴿وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون﴾.

وروى الإمام مسلم [3] (عن عياض بن حمار المجاشعى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته :(ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا كل مال نحلته عبداً حلالاً وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطاناً) .

---

(١) الجمعاء : كاملة الخلقة .

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٢ ، ١٧٤ .

(٣) صحيح مسلم جـ ٣ صـ ٣١٤

هذا ولقد بدأ الصراع بين الإنسان والشيطان منذ اللحظة التى خلق الله فيها آدم وأسجد ملائكته سجود تحية وتكريم فاعترض أبليس اللعين وتكبر فكان جزاؤه الطرد من رحمة الله ولأمر يعلم الله حقيقته وحكمة ربه يقف العقل البشرى أمام كشفها عاجزاً استجاب الله سبحانه وتعالى لرغبة أبليس المعلونه فى إفساد فطرة الإنسان وحجب نور الإيمان فى القلوب وطمس الخير فى النفوس التى تركن إليه وتضعف أمام اغوائه وتنهار أمام وسوسته ولقد اتخذ الإفساد العقائدى صوراً متعددة منها :

١-إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى :

٢- عبادة الأصنام .

٣- عبادةمظاهر الطبيعة .

٤- إدعاء الألوهية .

٥-الزعم بأن لله ولداً وأنداداً وشركاء . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن مظاهر الشرك بالله وساق القصص القرآنى نماذج من انحراف بعض الأمم وفساد عقائدها وكفرهما وإشراكها بالخالق سبحانه وتعالى .

ثانياً : الإفساد بين بنى الإنسان :

إن الصراع بين بنى الإنسان وإبليس وحزبه لا ينطفئ لهيبه ولن تخمد جذوته فكلما تذكر الشيطان أنه طرد من الجنة وأبعد من رحمة اللــه بسـبب خلق آدم عليه السلام اشتعل وميض الحقد فى قلبه وتوهجت نار العداوة فـى صدره فيقدح زناد فكره الخبيث ومكره اللئيم ويصب جام غضبه على الإنسان ويوغر صدر الأخ على أخيه كما ذكر القرآن الكريم فى قوله تعالى :(١)

واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولـم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين* لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنـى أخـاف اللـه رب العالمين* إنى أريد أن تبوأ بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتـل أخيـه فقتلـه فـأصبح مـن الخاسرين"

ولقد كانت قطرات الدم الأولى فى تاريخ البشرية بداية النزيف الدموى بين بنى الإنسان من خلال الصراع بين الأفراد والأمم والشعوب واسـتغلال الإنسان لأخيه الإنسان ومصادرة الحريات ، وانتهـاك الأعـراض وسـلب الأموال ومازالت البشرية تسبح فى دماء بنيها ولا سيما فى هذا القرن الـذى شهد حربين عالميتين بجانب مئات الحروب التى تدور رحاليـا وأصبحت الكرة الأرضية تقف على حافة الدمار والخراب بسبب امتلاك قـوى الكفـر والشر فى العالم للأسلحة الذرية والهيدروجينية والاشعاعات النوويـة . ومـا وصل البشر إلى هذا إلا بسبب البعد عن وحى السماء ورسالات الأنبياء .

---

(١) سورة المائدة آيات ٢٧ – ٣٠ .

ثالثاً: الإفساد المادى:

لقد جبل الانسان على حب المال وجمعه والحرص عليه.

قال تعالى: ﴿ وتأكلون التراث[2] أكلاً لما وتحبون المال حباً جماً ﴾[1]

وصور القرآن الكريم حب النفس البشرية لمتاع الدنيا.

قال تعالى: ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾[3].

ومن خلال حب الإنسان للمال فإن الشيطان يوغر صدر ابن آدم ويزين له جمع المال من طريق الحرام كالربا وأكل مال اليتيم والرشوة والسرقة والغصب وأكل أموال الناس بالباطل وميدان المال ميدان فسيح للشيطان يعيث فيه فساداً ويدفع الإنسان إلى جمعه وكنزه وإنفاقه على ما حرم الله ورسله هذا ولقد نجح شياطين الإنس من اليهود فى إفساد العالم عن طريق التعامل بالربا وتم ربط دول العالم بما فيهم العالم الإسلامى بنظام ربوى رهيب أضاع استقلال الشعوب وصادر حرياتها وأغرقها فى الديون مما تسبب عنه اضطراب الاقتصاد العالمى وانهياره.

---

(١) سورة الفجر.

(٣) سورة آل عمران آية ١٤.

قال تعالى: (1) ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ﴾ ولقد صور القرآن الكريم أن من يتعامل بالربا يتخبط فى الحياة كمن مسه الشيطان فأفقده عقله وتوازنه

قال تعالى (2) : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم ﴾ .

رابعاً: الإفساد عن طريق المرأة:

إن من أسلحة الشيطان وحزبه الاستحواذ على قلب المرأة والانحراف بأنوثتها ودفعها إلى التبرج والسفور والخروج عن آداب الحشمة والحياء ولا سيما فى هذا العصر التى خرجت المرأة فيه إلى الحياة العامة تعرض أنوثتها بطريقة فجة يساعدها على ذلك دعاة العلمانية والتغريب الذين زين لهم الشيطان إغواء المرأة وإخراجها من مملكتها وهى المنزل وأفقدوها حنان الأمومة حينما أسلمت نفسها إليهم يفرضون عليها الزى الذى يروق لهم والفكر الذى يعجبهم فاضطرب أمر الأسرة وانفرط عقدها وتتابع جيل فقد حنان الأم ورعاية الأب فلم يحرز هدفاً ولم يحقق نصراً ولم يصن ديناً أو يحمى عرضاً واستغلت أجهزة الإعلام أنوثة المرأة اسوأ استغلال فجعلوا منها

---

(1) سورة البقرة آية ٢٦٨ .

(2) سورة البقرة آية ٢٧٥ - ٢٧٦ .

ممثلة سينمائية أو راقصة فى ملهى تبيع الهوى وتعرض أنوثتها فى غير استحياء باسم الفن أو للدعاية والإعلان حيث تتلاعب بأنوثتها ترويجاً للسلع ومستحضرات التجميل .

فالمرأة حينما تبتعد عن أدب الاسلام وتعرض عما أمرها الله به ورسوله فإنها تكون سلاحاً فتاكاً بيد الشيطان يعيث به فساداً وينشر الرزيلة والفحشاء والمنكر قال تعالى [(١)] :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ﴾

مما سبق يتضح أن ميادين دعوة شياطين الانس والجن هى :

١- إفساد عقيدة التوحيد .

٢- تقطيع أواصر المودة ووشائج القربى بين بنى البشر .

٣- الإنحراف المادى والجنسى والأخلاقى .

٤-إنكار البعث والحشر والثواب والعقاب .

هذه هى أسس الفساد عبر تاريخ البشرية الضارب فى أعماق الزمن ويتكرر فى كل عصر وزمان وان اختلف الشكل والهيئة إلا أن جوهر الفساد لا يتغير ولا يتبدل .

هذا ومن رحمة الله بعباده وشفقته عليهم ورأفته بهم أنه سبحانه

---

(١) سورة النور آية ٢١ .

وتعالى لم يترك عباده تتخطفهم الشياطين وتدفعهم بعيداً عن منهج الله . فكلما تمكنت من قلوب البشر وضللت عقولهم وأفسدت ضمائرهم أرسل الله الأنبياء والمرسلين على مراحل متقاربة أو متباعدة ليعيدوا الإنسان إلى فطرته ويعرفوه بخالقه ويصلحوا ما أفسدته شياطين الإنس والجن وقبل أن نتناول أهمية إرسال الله الرسل للبشر والأسس التى تقوم عليها دعوات الأنبياء والمرسلين نقدم بين يدى القارئ تعريفاً موجزاً للنبى والرسول .

١ - تعريف النبى لغة :

النبى إما أن يكون مشتق من النبأ وهو الخبر قال تعالى ﴿ نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ﴾ سورة الحجر آية ٤٩ . وقال تعالى : ﴿ وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير ﴾ سورة التحريم آية ٣ .

فأصله النبئ فتركت الهمزة للتخفيف لكثرة الاستعمال ويجمع النبى على نبيين وأنبياء وأنبآء ونبآء قال الشاعر :

يا خاتم الأنبيآء إنك مرسل
بالحق كل هدى السبيل هداكا

إن الإله بنى عليك محبة
فى خلقه ومحمداً اسماكا

أو مشتق من النبوة (٢) والنباوة وهى الارتفاع عن الأرض لارتفاع

---

(١) بصائر ذوى التمييز جـ ٥ صـ ١٥ .

قدر النبى ولأنه شرف على سائر الخلق فأصله من غير همزة

تعريف النبى فى الإصطلاح

(إنسان ذكر حر من بنى آدم سليم عن منفر طبعاً أوحى إليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه)

٢- تعريف الرسول لغة [٢] :

هو الذى يتابع أخبار الذى بعثه أخذاً من قولهم :

جاءت الإبل رَسَلاً أى متتابعة . وتطلق كلمة الرسول على المبلغ كقوله تعالى : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ سورة التوبه آية ١٢٨ .

وتارة تطلق على القول المتحَّمل كقول الشاعر :

(ألا بلغ أبا حفص رسولا).

ورسل الله يراد بها الملائكة.

قال تعالى : [٣] " **قالوا يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك** "

وتطلق على رسل الله من البشر قال تعال : [٤]

« **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً** إنى بما تعملون عليم »

---

(٢) لسان العرب جـ ٥ ص ٤٣٣٣ .

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص ٨ .

(٢) لسان العرب جـ ٤ ص ١٦٤٥

[٣] سورة هود آية ٨١.

[٤] سورة المؤمنون آية ٥١.

تعريف الرسول فى الإصطلاح

يعرف الرسول بما يعرف به النبى غير أن الرسول هو : من أوحى الله إليه بشرع وأمر بتبليغه فالنبوة والرسالة [1] : (سفارة بين الله وبين ذوى العقول لإزاحة عللهم فى أمر معادهم ومعاشهم) .

الفرق بين النبى والرسول

فرق علماء التوحيد بين النبى والرسول وهذا المغايرة ترجع إلى قول الله تعالى: ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ﴾ سورة الحج آية ٥٣ .

فذكرت الآية إرسالاً يقر النوعين ، وعطفت النبى على الرسول والعطف يقتضى المغايرة ويستدل على التفرقة بين النبى والرسول : بما أخرجه الحاكم عن أبى ذر رضى الله عنه ، قال قلت يارسول الله كم الأنبياء ؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً . قال قلت : يارسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير كثير طيب .

فلقد أخبر رسول الله ﷺ عن عدد الأنبياء والمرسلين .

ومن ثم تتجه أهل السنة إلى التفرقة بين النبى والرسول فى الأمور التالية :

١- النبى [2] من أوحى إليه بشرع يعمل به واختص به والرسول فقط

---

(١) عسكر عوض شبير حسنة ص٥١ .

(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص٨ .

من أوحى إليه بشرع يعمل به ويبلغه لغيره ولم يختص بشيئ منه فإن اختص بالبعض وبلغ البعض فهو نبى رسول كرسول الله ﷺ .

٢- النبى [1] هو الذى ينبئه الله وهو ينبئ بما أنبأه الله به فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول .

٣-النبى يكون مقرراً لمن سبق تبليغهم ومبلغاً لمن لم يسبق تبليغهم. أما الرسول فهو مبلغ للأحكام .

٤- الرسول يكون معه كتاب بخلاف النبى فإنه لا كتاب معه كهارون مع موسى عليهما السلام .

٥- أن الرسول من الأنبياء : من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبى غير الرسول : من لم ينزل عليه كتاب وإنما يدعو الناس إلى شريعة من قبله [2] .

٦-أن كلمة النبى إذا ما أطلقت فإنها تنصرف على من بعثه الله من البشر .

أما كلمة رسول فتارة يراد بها الملائكة قال تعالى [3] : " قالوا يا لوط إنا رسل ربك ". أو الرياح .... قال تعالى [4] : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح ﴾

---

(١) النبوات لابن تيميه ص ١٧٣ .

(٢) تفسير الكشاف جـ ٣ صـ ١٦٤ .

(٣) سورة هود آية ٨١.

(٤) سورة الحجر آية ٢٢.

أى إرسال الشياطين قال تعالى [1] : ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشيطين على الكافرين تؤزهم أزاً ﴾ تأتى للرسل من غير الأنبياء من البشر :

قال تعالى [2] : " وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون "

أما المعتزلة وبعض الأشاعرة فهم لا يفرقون بين النبى والرسول ويتناولون خطاب القرآن الكريم بإطلاق لفظ كل منهما على الآخر .

والرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم صفوة خلق الله . قمة الكمال البشرى . وذروة الاصطفاء الانسانى تفضل الله عليهم بالاجتباء والاختيار وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم والمناسبة لزمان كل منهم لتكون ألزم للحجة وأقوى على الاقناع وأنفى للشبهات .

وأوحى الله إليهم تأييداً لرسالتهم وتشريعاً لأممهم قال تعالى [3] :

﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ﴾ .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن هذا الاصطفاء فى أكثر من آية قال تعالى عن ابراهيم عليه السلام [4] : ﴿ ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين ﴾

---

(1) سورة مريم آية ٨٣.

(2) سورة النمل آية ٣٥.

(3) سورة آل عمران آية ٣٣ ، ٣٤ .

(4) سورة البقرة آية ١٣٠ .

وموسى عليه السلام ذكر القرآن الكريم نعم الله عليه التى تستوجب الشكر[1] قال تعالى :

﴿ قال ياموسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴾

ثم أوضح القرآن الكريم أن الاصطفاء العظيم والشرف الرفيع هو سمة من سمات الأنبياء جميعاً من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ .

قال تعالى (٢) ﴿ وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار ﴾ . وقال تعالى(٣) ﴿ ثم أورثنا الكتاب الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا من عبادنا ﴾ .

وبجانب الاختيار والانتقاء من قبل المولى عز وجل فلقد أوجب الله لهم صفات الكمال ومنها :

الصدق ، والأمانة ، والتبليغ ، والفطانة، ونزههم وحفظهم من الكذب ، والخيانة ، والكتمان والغفلة وعدم الفطنة والأدلة على ذلك جاءت فى الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة وإجماع العلماء هذا بجانب البراهين العقلية والأدلة المنطقية .

مما هو مدون ومبسوط فى كتب التوحيد .

حاجة البشر للرسل :

لقد خلق الله الانسان فى أحسن تقويم ومنحه نعمة العقل الذى يفكر به

---

(١) سورة الاعراف آية ١٤٤ .

(٢) سورة ص آية ٤٧ .

(٣) سورة فاطر آية ٣٢ .

واللسان الذى ينطق به وأودع بين حنايا نفسه المشاعر المختلفة والأحاسيس المتنوعة والغرائز المتصارعة داخله ومجموع هذا كله يؤهل الانسان لما خلقه الله من أجله وهو توحيده سبحانه وعبادته والخلافة فى الأرض واستعمارها وفق سنن الله فى الكون قال تعالى (1) :

﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾

والعبادة الخالصة الصادقة التى تؤتى ثمارها ويستشعر البشر آثارها فى العقيدة والسلوك لا تتحقق إلا من خلال المعرفة بالخالق المعبود . وهذه المعرفة مرت بمرحلتين :

المرحلة الأولى : قبل خلق آدم عليه السلام واستخلافه وذريته فى الأرض فقد جمع الله أرواح بنى آدم من بدء الخلق إلى يوم البعث وأخذ عليهم الإشهاد والإقرار والاعتراف بالخالق سبحانه قال تعالى: (2)

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون * وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون﴾ .

ويصور المرحوم سيد قطب فى تفسيره هذا المشهد فيقول (3)

---

(1) سورة الذاريات آيات ٥٦، ٥٧ ، ٥٨ .

(2) سورة الأعراف آية ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ .

(3) فى ظلال القرآن جـ٣ ص ٥٨ ط الأولى .

﴿ إنه لمشهد فريد مشهد الذرية المكنونة فى عالم الغيب السحيق المستكنة فى ظهور بنى آدم جميعاً تؤخذ فى قبضة الخالق المربى فيسألها : (ألست بربكم) ؟ فتعترف بالربوبية وتشهد بالعبودية وتقر بالوحدانية ، وهى منثورة كالذر ، مجموعة فى قبضة الخالق العظيم "

غير أن هذا العهد عهد تشريف لما يجب أن تكون عليه البشرية من الانصياع لأوامر الله .

ولقد بين القرآن الكريم أن العهد المأخوذ على بنى آدم قد نسيه وجهله خلق كثير وذلك بسبب العدوان المستمر من الشيطان مما أدى إلى فساد فطرة الانسان وحجب معرفة الله عن قلبه .

قال تعالى [1] : ﴿ ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين* وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم* ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾ .

﴿ وعهد الله لبنى آدم ما ركب فيهم من القوى العاملة والفطرة السليمة التى تهتدى للخير وما أرسل إليهم من رسل مبشرين ومنذرين يدعونهم إلى عبادة الرحمن ويحذرونهم دائماً من طاعة الشيطان [2] .

المرحلة الثانية :

والتى بدأت بخلق آدم عليه السلام وتكريمه وذريته بالخلافة وتشريفه وبنيه بحمل الأمانة واستمرت هذه المرحلة وتتابعت عبر مسيرة الجنس

---

(١) سورة يس آيات ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ .

(٢) لتفسير الواضح د . محمد محمود حجازى جـ٢٣ ص ١٨٩ .

البشرى وتلاحقت خلال العصور والقرون تعرض فيها الإنسان للشيطان وحزبه وتأثر بعوامل البيئة والعادات والتقاليد وهى أمور مجتمعة تحجب الإنسان عن معرفة الله وتقف حائلاً دون أن يستشعر البشر ذلك العهد الذى أخذه الله عليهم فى الأزل ولهذا أرسل الله الرسل والأنبياء هداة مصلحين يخرجون الناس من ظلام الكفر إلى نور الإيمان ومن رحمة الله بعباده أن لا يأخذهم بالعذاب إلا بعد إرسال الرسل حيث تقوم الحجة وتنفى الشبهة . يحقون الحق وجنده ويزهقون الباطل وحزبه

قال تعالى [١] ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ .

وهؤلاء الأنبياء والمرسلون لم يخل عصر منهم ولم تحرم أمة من شرف رسالتهم قال تعالى [٢] :

﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ وقال تعالى [٣] : **﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ .**

وإن من رحمة الله بالعصاة من البشر أن الهلاك لا ينزل عليهم

---

(١) سورة النساء ١٦٥ .

(٢) سورة النحل ٣٦ .

(٣) سورة فاطر ٢٤ .

والدمار لا يحل بديارهم إلا بعد إرسال الرسل لهم قال تعالى [(١)] :

﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولاً يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ .

ولقد ساق القرآن الكريم قصص بعض الأنبياء والمرسلين ومواقف أممهم معهم للعظة والاعتبار وفقها للدعوة وزاداً للدعاة .

وتتضح أهمية إرسال الرسل والضرورة إلى بعثتهم للأسباب التالية :

أولاً : قصور العقل البشرى

العقل فى الإنسان هو مركز التوجيه ومحور التفكير ومناط التكليف وهو الذى يميز الانسان عن الحيوان .

والعقل يستقى المعلومات من الحواس بواسطة الجهاز العصبى الذى يمتد بين خلايا الجسم وأنسجته وعظامه ليتصل بالمخ فى نظام عجيب وتناسق معجز فريد ينبئ عن قدرة الخالق وعظمة الصانع سبحانه وتعالى غير أن العقل ليس معصوماً من الخطأ وأحكامه ليست كلها صواباً على الاطلاق فهو يحكم على الشيئ من خلال ما تقدمه الحواس الخمس من معلومات فإذا فقدت إحدى الحواس عملها بسبب مرض أو علة بها توقف العقل عن معرفة حقيقة الجزئية الخاصة بتلك الحاسة .

ثانياً : تفاوت العقل البشرى

إن العقل البشرى مختلف فى الفهم متفاوت فى الإدراك متدرج فى الذكاء مما يجعل الحكم على الأشياء مختلف اختلافاً ظاهراً بين بنى البشر

---

(١) سورة القصص آية ٥٩ .

ويحصع لمؤثرات كثيرة لا سيما في هذا العصر الذي يحصر الإنسان بالغزو الفكري الذي تبثه أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة فيجد من درب البصر من حوله لرأيناه لتفاوت العقلي في كل المجالات والحكم على الأشياء يختلف من دولة لدولة ومن جماعة عن جماعة أخرى وقد صور القرآن الكريم هذا الاختلاف في قوله تعالى [1] :

﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ ومن ثم لا يصلح العقل ليكون مصدر تشريع يحقق سعادة الناس في دنياهم وآخرتهم ولذا أصبحت الحاجة ماسة إلى الأنبياء والمرسلين لتلافي تفاوت العقول واختلافها في الحكم على الأشياء بحيث يصبح وحي السماء ورسالات الأنبياء هما الينبوع الصافي والمورد العذب الذي ترتشف منهما العقول وتتوحد على نور الإيمان ونقاء العقيدة وسمو السلوك .

ثالثاً: عجز العقل البشري عن معرفته ما وراء عالم الحواس والمشاهدة

ان العقل البشري تقف حدوده عند عالم الحس والمشاهدة أما عدا ذلك كالبعث والحشر وعالم الغيب وما يتعلق بأحوال الروح والملأ الأعلى فلاطريق إلى معرفته إلا عن طريق الوحي الإلهي ورسالات الأنبياء والمرسلين ولقد حدد القرآن الكريم الأمور التي يقف العقل البشري قاصراً وعاجزاً ومستسلماً إزاءها .

قال تعالى [2] : ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم

---

(١) سورة المؤمنون آية ٥٣ .

(٢) سورة لقمان آية ٣٤ .

ما فى الأرحام وما تدرى نفسٌ ماذا تكسب غدا وما تدرى نفسٌ بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ [1] وكذلك كل ما يتعلق بالروح قال تعالى [2] ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

وما يتصل بعالم الغيب وعلمه قال تعالى [3] : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴾ .

رابعاً: عجز العقل عن ادراك الحكمة من التشريع

هناك أمور قد يعرف العقل حكمة تشريعها والفوائد المترتبة على هذا التشريع كالحكمة فى تشريع الوضوء والغسل وطهارة البدن والثوب، وتحريم الخمر والميسر ...... إلخ

وهناك أمور يقف العقل البشرى عاجزاً عن إدراك حكمة تشريعها ويقف حائراً متسائلاً عن سر تحليلها أو تحريمها فالعبادات كالصلاة لا يستطيع الانسان أن يعرف الحكمة فى كون الصبح ركعتين والظهر أربعاً

---

(١) وما توصل إليه العلم الحديث من التنبؤ بالأحوال الجوية أو الاكتشاف المبكر للحمل ومعرفة نوع الجنين فهذا على سبيل الإجمال وهى معارف جزئية ليقف البشر على كمال قدرة الله .

(٢) سورة الاسراء آية ٥٨ .

(٣) سورة الجن آية ٢٦ ، ٢٧ .

مثلاً وكون الصيام شهراً دون الزيادة عليه والحكمة من الطواف بالبيت الحرام وتقبيل الحجر الأسود ، ورمى الجمار أو يقف العقل عاجز عن تحريم أمور دون أمور كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وتحريم كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير . وهناك أشياء أخرى لا يستطيع العقل البشرى أن يدرك حكمة التحليل أو التحريم أو الإباحة أو الكراهة من تشريعها .

ومن ثم تصبح الحاجة ماسة وضرورية لبعثة الأنبياء والمرسلين لاستجلاء الحقائق وتنوير البصائر والافصاح عن بعض أسرار التشريع الإلهى ومالم يقف العقل عن إدراك كنهه والوقوف على حقيقته كالمحكم والمتشابه فى القرآن الكريم فيجب التسليم المطلق مصداقاً لقول الله تعالى (١) :

﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ .

---

(١) سورة آل عمران آية ٧ .

خامساً: خضوع العقل للهوى

الهوى فى اللغة [1] :

هو ميل النفس وانحرافها نحو الشيئ ثم استعمل فى الميل المذموم فيقال اتبع هواه وهو من أهل الأهواء ولقد حذر القرآن الكريم من اتباع الهوى وانسياق الانسان وراء نزواته ونزعاته التى قد تطمس الحقيقة أمامه .

قال تعالى [2] : **﴿ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ﴾ وقال تعالى** [3] **﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴾ وقال تعالى** [4] **﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ .**

وقد بين القرآن الكريم خطورة اتباع الهوى وآثاره السيئة على الانسان . قال تعالى [5] : **﴿ أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾**

والعقل البشرى يخضع لمؤثرات كثيرة ورغبات ونزوات متعددة تدفع

---

(١) المصباح المنير ص ٧٩٦ .

(٢) سورة النساء آية ١٣٥ .

(٣) سورة الكهف آية ٢٨ .

(٤) سورة القصص آية ٥٠ .

(٥) سورة الجاثية آية ٢٣ .

به بعداً عن الفطرة التى فطر الله الخلق عليها ، فهناك عوامل الأسرة ، والبيئة ، والمجتمع ، والغزو الفكرى والاعلامى ثم هناك الميل النفسى للانغماس فى متع الحياة كما قال تعالى [1] :

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ .

فهذه أمور كثيرة يخضع العقل لتوجيهاتها ومن ثم فإن حكمه على الأشياء مرتهن بما يحققه هواه فتكون الأنانية والأثرة وحب الذات مما يفسد الفطرة ويقوض البناء الاجتماعى .

والعالم المعاصر يشهد خللاً فى العقيدة واضطراباً فى الفكر وانحرافاً فى السلوك بسبب الأهواء . نجد ذلك واضحاً فى ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة وإن اتباع العقول للهوى يفقدها فى كثير من الأحيان الرؤية الصائبة للأشياء ويعجزها عن التشريع الذى يحقق سعادة الدارين ولأجل هذا تصبح رسالات الأنبياء والمرسلين أمراً حيوياً وضرورياً للإنسانية حيث تصدر التشريعات والأحكام المتعلقة بالعقيدة والعبادات والسلوك مجردة عن الهوى مبرأة من اختلاف العقول لأنها من قبل الحق سبحانه وتعالى أوحى الله بها إلى رسل الله وأنبيائه عقب مسيرة الجنس البشرى ثم توجت وختمت برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى [2] :

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤ .

(٢) سورة النجم آيات ١ – ٥ .

﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ﴾ .

لهذه الأسباب ولغيرها كان ولا يزال عجز العقول واختلافها أمراً فطرياً قال تعالى [1] :

﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ .

ومن ثم تتضح أهمية وضرورة إرسال الله سبحانه وتعالى للرسل والأنبياء قال تعالى [2] :

﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾.

الأسس التي تقوم عليها دعوة الأنبياء والمرسلين

إن الإسلام بمعنى الاستسلام والخضوع والأنقياد لله هو دعوة جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الانبياء سيدنا محمد ﷺ وإن اختلاف بعض الشرائع يرجع إلى اختلاف الزمان والمكان والبيئات وفق

---

(١) سورة هود آية ١١٨ - ١١٩ .

(٢) سورة البقرة آية ٢١٣ .

أحوال المرسل إليهم وإن المتتبع لقصص الأنبياء فى القرآن الكريم يجد أن الاسلام هو أساس كل رسالة وجوهر كل شريعة ومعالم كل ملة يرى ذلك واضحاً فيما يلى :

١ - نوح عليه السلام يعلن أنه من المسلمين ويحذر قومه من مغبة الإعراض عن دعوة الاسلام .

قال تعالى : [١] " **فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين** "

٢ - ابراهيم عليه السلام [٢]

يعلن فى جلاء تام أنه مسلم ويحمل أبناءه وأحفاده تبليغ الأسلام قال تعالى : [٣]

﴿ **ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾

٣ - على نفس الطريقة والمنهج أوصى يعقوب عليه السلام أبناءه بالإسلام وهو يجود بأنفاسه الأخيرة .

---

(١) سورة يونس آية ٧٢.

(٢) سورة البقرة آيات ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢

(٣) سورة البقرة آيات ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢

قال تعالى: "أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون".[1]

٤- موسى عليه السلام يدعو قومه للإسلام ويحرك مشاعرهم نحوه قال تعالى:

"وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم به بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين".[2]

بل إن فرعون وهو يغرق وتتقاذفه الأمواج ويتلاطم يصرخ بكلمة الإسلام لعلها تكون طوق نجاة له قال تعالى:[3]

"حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين".

٥- وسليمان عليه السلام:

يرسل رسالة إلى ملكة سبأ بلقيس يدعوها وقومها للإسلام قال تعالى:[4]

"قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم إنه من سليمان وإنه

---

(١) سورة البقرة آية ١٣٣.

(٢) سورة يونس آية ٨٤.

(٣) سورة يونس آية ٩٠.

(٤) سورة النمل آية ٢٩، ٣٠، ٣١.

بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا وأتونى مسلمين "

وبعد أن تحققت من نبوة سليمان عليه السلام وصدق دعوته أعلنت إسلامها[(١)] قال تعالى :

" قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان الله رب العالمين "

" ولقد بين القرآن الكريم أن انحراف بنى اسرائيل وفساد عقيدتهم فى شأن أنبيائهم خاصة موسى وعيسى عليهما السلام " هو كفر بالله وخروج عن ملة الإسلام[(٢)] قال تعالى :

" ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تُعَلِّمُونَ الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمُركم أن تتخذوا الملائكة والنبين أربابا ايأمُركم بالكفر بعد أذ أنتم مسلمون "

ثم بين القرآن الكريم أن الإسلام بمعنى الخضوع والاستلام لله أمر يشمل ملكوت السموات والأرض بما فيهن ممن يعقل ومما لا يعقل قال تعالى[(٣)]:

" افغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون "

ثم أمر الرسول ﷺ أن يعلن أن دعوة الإسلام هى دعوة من سبقوه من

---

(١) سورة النمل آية ٤٤.

(٢) سورة آل عمران آية ٨٠.

(٣) سورة آل عمران ٨٣.

رسل الله وأن أى اعتناق لدين أو ملة أو نحلة أو مذهب بعيد عن الإسلام الذى اصطفاه الله للبشر هو انحراف بالفطرة وبعد عن الدين الحق ولن يقبل منهم اعتناقهم لغير الإسلام قال تعالى :[1]

" قل امنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون* ومن يبتغ غير الإسلام فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين "

مما سبق يتضح أن الاسلام هو الدين الجامع الشامل التى شرفت به الإنسانية وبلغت به مراقى الكمال من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين صفوة الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وأن الدعائم والأسس التى قامت عليها دعوة الأنبياء والرسل واحدة .

قال تعالى :[2]

" شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب "

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٤ ، ٨٥.

(٢) سورة الشورى آية ١٣.

وإن الدعائم والأسس لدعوات الأنبياء والمرسلين هى :-

أ- وجود الله سبحانه وتعالى

فوجود الله من الأمور التى يدركها الإنسان بفطرته وتهتدى إليه العقول بما أودعه الله فى مشاعر الإنسان ووجدانه ولقد أخذ الله العهد على البشرية منذ الأزل بالإقرار والاعتراف بوجود الخالق . قال تعالى:[1]

١ - " وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين * أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون "

٢ - وعن عياض المجاشعى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ذات مرة فى خطبته : " ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا .كل ما مال نحلته عبدا حلالا وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم "

٣ - قال ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

ولقد جاء القرآن الكريم يصور المشاعر الوجدانية والأحاسيس الفطرية التى تعبر عن الإيمان بوجود الخالق ويظهر هذا الإحساس حينما يعترى الإنسان شدة أو تفاجئه ملمة أو يواجهه بسؤال عن خالق هذا الكون والأدلة من القرآن عديدة وكثيرة فنذكر منها ما يلى :

---

(١) سورة الأعراف آية ١٢ ، ١٧٣.

١ – قال تعالى : [(١)] وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور "

٢ – وقال تعالى [(٢)]

" وهو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين "

٣ – قال تعالى : [(٣)]

" ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم " .

وفضلاً عن هذه المشاعر الفطرية داخل الكيان الإنسانى والتى تنطق بوجود الله فلقد أقام الحق سبحانه الأدلة على وجود وذلك بأمرين :

الأول : الأدلة المثبوتة فى الكون

فلقد خلق الله الكون بنظام فريد وتناسق عجيب فأنى جال الإنسان ببصره فى صفحات الكون يرى صنع الله الذى أتقن كل شىء ويجد الآيات الكونية الدالة على وجود الحق سبحانه مما يدفع بالنفس البشرية لتبتغ من

---

(١) سورة لقمان آية ٣٢.

(٢) سورة يونس آية ٢٢.

(٣) سورة الزخرف آية ٩.

أعماقها مرددة قول الله تعالى :[1]

" هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين "

فهذا الكون بنظامه لا يمكن أن يتصور العقل أنه وجد بدون خالق فالعدم لا يخلق شيئاً فمن المستحيل عقلاً أن يوجد فعل بدون فاعل أو أثر بدون مؤثر . كما لا يتصور العقل أن هذا الإبداع المعجز فى الكون والتآلف والتزواج بين جزئياته والترتيب والتناسق بين عناصره وهذا كله محكوم بقوانين إلهية دقيقة ومنضبطة قد تم عن طريق الصدفة العشوائية. فالمصادفة لا يعقل ان يتولد عنها نظام .

إذن فلم يبق إلا أن يذعن الإنسان بوجود الخالق سبحانه وتعالى قال الحق عز وجل .[2]

" أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون * أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون * "

وإمعاناً فى إقامة الأدلة ومنعا لكل شبهة ومظنة فقد أحتوى القرآن الكريم على الكثير من الآيات " فالقرآن كون الله المقروء والكون قرآن الله المنظور "

وحينما يشاهد الإنسان صفحة الكون يرى آيات الله فى الآفاق وكأنه يقرأ القرآن الكريم وحينما يقرأ القرآن الكريم بتذوق وتدبر فكأنه يبصر الكون

---

(١) سورة لقمان آية ١١.

(٢) سورة الطور آية ٣٥ ، ٣٦.

أمامه ويشاهد عن قرب حقائقه . فالكون والقرآن كلاهما يتفقان على وجود الله سبحانه وتعالى : قال تعالى [1]

" أفلم ينظروا إلى السمآء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج * والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج *" .

وقال تعالى [2]

" أفلا ينظرون الى الإبل كيف خلقت * والى السماء كيف رفعت * والى الجبال كيف نصبت * وإلى الأرض كيف سطحت * " .

وهكذا تتوالى آيات القرآن الكريم فى سوق الأدلة الكونية على وجود الخالق سبحانه وتعالى :

الثانى : معرفة الله عن طريق الانبياء والمرسلين

سبق أن ذكرنا أن الإنسان يولد على الفطرة ومن أهم خصائصها الإيمان بوجود الله غير أن الإنسان خلال مسيرته على هذه الدنيا قد تسيطر عليه الأهواء من شياطين الإنس والجن فيهوى الى منحدر الكفر والإلحاد ويحجب عنه الايمان بوجود الله .

ويحول الكفر بينه وبين آيات الله المبثوثة فى الأنفس والآفاق . وبهذا

---

(١) سورة ق من ٦ إلى آية ١١.

(٢) سوره الغاشية آية ١٧-٢٠.

يفقد الإنسان أهم خصائصه الإنسانية وهى :

الإيمان بوجود الخالق ومن ثم ينتكس إلى عالم الحيوان قال تعالى:(١)

" **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** " .

ولكى يقيم الله على الناس الحجة ويلزمهم بالبرهان أرسل الله لهم الأنبياء والمرسلين وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم وأنهم مبعوثون من قبل الله ، ليعرفوا الخلق بخالقهم ، ويرجعون الإنسان إلى فطرته . قال تعالى :(٢)

" **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** "

فكلما انتكس الإنسان فى عقيدته وتنكر لخالقه أرسل الله له الرسل على فترات متقاربة أو متباعدة قال تعالى(٣)

"**ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** " .

ب : توحيد الخالق سبحانه وتعالى

إن الإيمان بوجود الله عز وجل يقتضى العلم والاعتراف والإقرار

---

(١) سورة محمد آية ١٢.

(٢) سورة الروم آية ٣٠.

(٣) سورة النحل آية ٣٦.

بأن الله إله واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله .

قال تعالى : [1] " قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد * ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد * "

وتوحيد الله يتحقق فى آمرين :

الأمر الأول :

نفى الالوهية كلها عن غير الله وذلك بأن يعتقد الإنسان بأنه لا يستحق الالوهية ولا شيئاً من العبودية أحد من الخلق لا نبى مرسل ولا ملك مقرب ولا كائن من كان .

الأمر الثاني :

اثبات الألوهية لله تعالى وتفرده بالوحدانية واختصاصه بالعبودية. وهذا ما تضمنته كلمة التوحيد : شهادة أن لا إله إلا الله " فالاعتقاد بوجود شريك مع الله لا يصدر إلا عن فكر معلول وقلب سقيم ونفس مريضة ولا يستقيم مع العقل السليم والفكر المستنير.

يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالى فى كتابه عقيدة المسلم [2]

" وإذا ما استقرأنا ما توهمه الناس شريكاً لله فى ألوهيته لم نجد أحداً من هؤلاء الشركاء المزعومين ترشحه خلقه ليكون فى هذا الوجود شيئاً طائلاً.

لقد عبد القدماء أحجاراً اقتطعوها من سطح الأرض فهل فى خلد عاقل

---

(١) سورة الأخلاص أية ١ - ٤.

(٢) عقيدة المسلم ص ٥٠.

أن حجراً من الأرض . بل الأرض كلها تصلح إلٰها ؟؟

وعبدوا أصنافاً من الحيوانات قدسوا نسله كما فعل الهنود اليوم فهل هناك – عجل – مهما ذاد شحمه ولحمه يصلح لمنصب الألوهية ؟؟

وبعض الدهماء من اليهود والنصارى ضلوا فى فهم أنبيائهم ورفعوهم الى مصاف الآلهة مع أن هؤلاء المرسلين ليسوا إلا عبيداً موهوبين .

فمن الحماقة أن نظن فى بشر – مهما علا شأنه – أنه خلق كوكباً من الكواكب ، ولماذا نذهب بعيداً إن أحدهم لم يخلق ذبابا أو ماءً وأنهاراً

قال تعالى :[1]

" إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز "

ولقد ذكر القرآن الكريم الأدلة العقلية والمنطقية على الوحدانية وذلك بما يلى :

أ – لو وجد مع الله شريك فى إلهيته لبطل نظام هذا الكون العجيب

قال تعالى :[2]

" أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون * لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون "

أى لو كان فى السموات والأرض آلهة تدبر امرهما غير الخالق لاختل

---

(١) سورة الحج آية ٧٣ ، ٧٤.

(٢) سورة الأنبياء آية ٢١ ، ٢٢.

نظامها لتنازع المشرفين عليهما لأن كل واحد يريد أن يكون هو المتصرف .
قال تعالى :[1]

" ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلٰه إذا لذهب كل إلٰه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون "

وقد تضمنت الآية :

١ – إن الله سبحانه وتعالى لو اتخذ ولداً لا ستلزم انفصال الولد عن أبيه وذلك يقتضى التركيب المحال على الله ولأن الولد يجانس أباه ويماثله والله ليس كمثله شيء .

٢ – لا ينبغى أن يتصور عاقل أن يكون مع الله إلٰه لأنه لو كان معه إلٰه يشاركه فى الألوهية ويخلق معه لذهب كل واحد بما خلق ولعلا بعضهم على بعض أى غالب بعضهم بعضاً ليوسع ملكه ولو حصل هذا لفسد نظام العالم ولو كان معه آلهة كما يزعم المشركون لطلبوا مغالبة الله ومزاحمة ذى الجلال . قال تعالى[2]

" قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيراً "

وعلى هذه الأسس تبطل كل عقيدة تخالف حقيقة توحيد الخالق سبحانه ولا سيما ما يعتقده النصارى فى الثالوث . الأب – الأبن – الروح القدس فإن هذا يتنافى مع وحدة الذات الالهية مما سبق يتضح أن وجود الله وتوحيده هما

(١) سورة المؤمنون آية ٩١.

(٢) سورة الاسراء آية ٤٣.

أسس الرسالات السماوية كلها .

ثانياً   الإيمان بالغيب

من الأسس التى تقوم عليها الرسالات السماوية كلها الايمان بالغيب وهو :

كل ما لا يدركه العقل والحواس ولا يعرف الا عن طريق الوحى وإخبار الأنبياء .

والإيمان بالغيب دعامة كل دين وأساس كل ملة وشريعة وهو الفيصل بين المتدين وغير المتدين وهو المميز للإنسان عن سائر المخلوقات التى تشاركه الحياة على ظهر الأرض فهو يسمو بالإنسان عن الحيوانات . ويغرس فى نفسه الأمل . فلا يتسرب اليأس الى قلبه والقنوط فى نفسه إن أخفقت آماله فى الدنيا اعتقد بأن ما عند الله خير وابقى.

والإيمان بالغيب يولد فى نفس الإنسان المسلم معان كثيرة : كالعزة والترفع عن الدنايا والايمان بالقضاء والقدر ، والشجاعة والاقدام والصمود فى مواجهة ما يعترى الإنسان خلال مسيرة حياته من مصائب أو شدائد لانه موقن ومعتقد فى الجزاء العادل والنعيم الأبدى يوم القيامة ولقد ذكر القرآن الكريم أن الايمان بالغيب من الصفات الملازمة للمؤمنين قال تعالى :(١)

" آلم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون * "

---

(١) سورة البقرة آيات ٣ ، ٤ ، ٥ .

ثالثاً: الايمان بالرسل

أصل من أصول العقيدة وجزء مكمل للإيمان بالله قال تعالى [1] « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالو سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »

والإيمان بهم يستوجب الإيمان بما جاؤا به من عند الله من تشريعات والتصديق بما أجرى الله على أيديهم من معجزات ووجوب إتصافهم بالكمال وتنزههم عن النقائص وعدم التفرقة بينهم وحرمة التطاول عليهم أو التشهير بهم .

والمراد من الإيمان بالأنبياء والمرسلين : التصديق والإقرار بمن ورد ذكرهم في القرآن الكريم وهم خمسة وعشرين نبياً ورسولا .

جاء ثمانية عشر منهم في سورة الأنعام في قوله تعالى [2]:

« وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم علي قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم . ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسي وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيي وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا علي العالمين »

وسبعة في الآيات التالية :

« إن الله إصطفـــــى آدم »	آل عمران ٣٣
« وإلى عاد أخاهم هـــوداً»	الإعراف ٦٥
« وإلى ثمود أخاهم صالحاً»	الإعراف ٧٣
وإلى مدين أخاهم شعيباً»	الإعراف ٨٥
« وإدريس وذا الكفـــل »	الأنبياء ٨٥
« محمد رسول اللــــه »	الفتح ٢٩

(١) سورة البقرة آيه ٢٨٥ .

(٢) سورة الأنعام آيات ٨٣ – ٨٦ .

هذا فضلا عن الذين لم يرد ذكرهم في القرآن الكريم .

قال تعالى [١] :

« ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك »

وهؤلاء الأنبياء والرسل هم صفوة خلق الله من لدن آدم إلى محمد ﷺ ويمثلون وحدة العقيدة والشريعة عبر مسيرة الجنس البشرى كما أن رسالاتهم تشكل النسيج الحضارى والسمو الأخلاقى للإنسانية وإن دعوتهم لا تنفصل عن تاريخها ، وأنه يجب الإيمان بهم تفصيلاً فيما فصله الله وإجمالا فيما أجمله ويجب الإعتقاد الصادق أنهم بلغوا جميع ما أوحى الله به إليهم وإن هذا من أمارات الإيمان وعلامات الصادقين قال تعالى[٢] : **« والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون »**

كما أن الكفر بهم جميعاً أو بأحد منهم كفرو بالله قال تعالى [٣] .

« ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً »

كما أنه من موجبات الإيمان بالرسل عدم تفضيل أحد منهم على الآخر وأن أمر التفضيل من شأن الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى **« تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات [٤] »**

وقال تعالى [٥] **« وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض وآتينا داود زبوراً »**

ولقد جاء فى القرآن الكريم وورد فى السنة الشريفة بعض

---

(١) سورة غافر ٨٧ . (٢) سورة الحديد آيه ١٩ . (٣) سورة النساء آيه ١٣٦ .
(٤) سورة البقرة آيه ٢٥٣ . (٥) سورة الاسراء ايه ٥٥ .

ما تفضل الله به على أنبيائه ورسله من فضائل وما اختص كلا منهم بمعجزات فهم عند الله متفاوتون أما عند البشر فهم متساوون فيحرم التفرقة بينهم أو التطاول على أحد منهم كما يفعل اليهود والنصارى في النيل من رسول الله ﷺ كما يحرم تمثيل أشخاصهم فى وسائل الرعلام .

قال تعالى (١)

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير »

قال إبن كثير (٢)

« فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد فرد صمد لا إله غيره ولا رب سواه ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء ، لا يفرقون بين أحد منهم ، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبل الخير وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذى تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين »

فالأنبياء والمرسلون هم الشموس المتألقة والأقمار المنيرة والنجوم المتلألئة فى سماء البشرية منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى بعثة خاتم الرسل وأشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ وأنهم صلوات وسلامه عليهم أجمعين القدوة الحسنة والأسوة الطيبة للإنسانية جمعاء وأن سيرتهم وأساليب دعوتهم إلى الله جزء هام فى تاريخ بنى الإنسان يحرم تجاهلة أو إغفاله أو نسيانة فهم صلوات الله عليهم يكنون وحدة العقيدة والتشريع والسلوك الذي لا يختلف البشر عليها وذلك علي النحو التالى .

---

(١) سورة البقرة آيه ٢٨٥ .

(٢) تفسير ابن الكثير مجلد ٥ ص ٥٠٨ ط / الشعب

١ - نظرية تلقيهم عن الله واحدة: قال تعالى : (١)

« إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلي نوح والنبيين من بعده».

٢ - والموصى به واحد في اصوله : قال تعالى (٢)

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »

٣- الدين الذى ارسلهم الله به واحد: قال تعالى (٣)

« إن الدين عند الله الإسلام »

٤ - وإن الاسلوب الذى إتبعوه في دعوتهم واحد : قال تعالى (٤)

« رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً » .

٥ - وإن الغاية التي بعثوا من اجلها واحدة : قال تعالى (٥)

« إعبدوا الله ما لكم من إله غيره »

٦ - دلائل صدقهم وامارات بنوتهم واحدة رغم اختلاف الزمان والمكان واحوال المدعويين فهى تجتمع وتتوحد في الامور التالية :

أ - مكارم الأخلاق التي إتصف بها جميع الأنبياء والمرسلين قبل البعثة وبعدها مما يقيم الدليل والبرهان علي أهليتهم لشرف النبوة والرسالة .

ب - المعجزات التي أظهرها الله علي أيديهم تصديقاً لهم وتحديا للكافرين بهم .

جـ- البينات القاطعة والأدلة الساطعة والحجج الدامغة التى تنطق بصدقهم وتذب الشبهة عنهم وتنحض إفتراءات المكذبين لهم .

---

(١) سورة النساء آيه ١٦٣ .
(٢) سورة الشورى آية ١٣ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٩ .
(٤)سورة النساء آية ١٦٥ .
(٥) سورة الأعراف آية ٥٩ .

د - إجماع الأنبياء جميعاً على الأعراض عن الدنيا والزهد فيها وعدم تعاطى الأجر مقابل الدعوة إلي الله وأنهم جميعاً لم يبتغون بالدعوة إلي الله مالا أو جاهاً .

قال الله تعالى عن نوح عليه السلام (١)

« يا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجرى إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوما تجهلون » وعن هود عليه السلام أخبر القرآن الكريم » (٢)

« يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجرى إلا على الذى فطرنى أفلا تعقلون»

وقال تعالى :(٣)« يا قوم إتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون »

وأمر الله رسوله ﷺ بقوله تعالى :« قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى»

مما سبق يتضح أن الإيمان بالرسل أصل من أصول الإيمان بالله وأنه يمثل الوحدة الدينية للجنس البشرى منذ خلق الله ادم عليه السلام حتى بعثه الرسول ﷺ حيث توحدت العقيدة والشريعة والأخلاق والمعاملات خلال وحى السماء ورسالات الأنبياء .

قال تعالى : (٤)

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من أملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله

---

(١) سورة هود آيه ٢٩ .

(٢) سورة هود آيه ٥١ .

(٣) سورة يس آية ٢٠ ، ٢١

(٤) سورج الأنعام آية ١٥١ ، ١٥٢ .

السلام وإستمرار رسالته وما بين أيديهم من الأناجيل لاتمت بصلة إلى وحى السماء المنزل على عيسى عليه السلام وكذا الحال فى جميع معجزات الأنبياء والمرسلين السابقين .

اما الإسلام العظيم :

فقد تفرد بمعجزة خالدة حتى يرث الله الأرض من عليها ولا ترتبط بمكان وزمان معين . **قال تعالى** [1]:

« وأقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا »

ولاستمرار خلوده وبقائه :

١- تعهد الله سبحانه بحفظه فلم يلحق به ما لحق بالكتب المنزلة الأخرى **قال تعالى** [2]

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

٢- ويسر سبل حفظه **قال تعالى** [3]: **« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر »**

٣ - أمر الله باستمرار تلاوته **قال تعالى** [4] : **« ورتل القرآن ترتيلا »**

٤ - أعان الله على جمعه وقراءته وسهل طرق بيانه قال تعالى : [5]

« لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قراءته ثم إن علينا بيانه »

٥- حفظ الله اللغة العربية فلم يتزل بها ما نزل باللغات الأخرى حتى لا يستعجم القرآن الكريم .

٦- إرتباط القرآن الكريم بحياة البشر وتنظيمه لجوانب الحياة العقائدية والتشريعية والأخلاقية التى تشمل الناس جميعاً هذا بجانب حديثه عن

---

(١) سورة الاسراء آيه ١٠٦ .

(٢) سورة الحجر آية ٩ .

(٣) سورة القمر آيه ٤٠

(٤) سورة المزمل آيه ٤ .

(٥) سورة القيامة ١٦ - ١٩ .

الأمم السابقة وإخباره عن مستقبل الإنسانية إلى قيام الساعة مما يجعل الفطرة النقية تنصت إليه والعقول السليمة تدبر آياته والقلوب المطمئنة تخشع عند سماعه ومعجزة القرآن الكريم واستمرارها وخلودها من خصائص الدعوة الإسلامية بجانب تلك المعجزة فهناك معجزات كثيرة كالاسراء والمعراج وانشاق القمر وغيرها من المعجزات الحسية وهى من جنس معجزات الأنبياء السابقين .

ثانيا: حفظ سيرة الرسول ﷺ

لقد شهد تاريخ البشرية أنبياء ومرسلين كثيرين قال تعالى

" وإن من أمة إلا خلا فيها نذير " (١)

ولقد انتهت رسالتهم واندثرت آثارهم وطويت كتبهم وجهل الناس سيرتهم وأحوالهم ولم يعد يعرف عنهم شيء إلا من خلال ما جاء من القرآن الكريم عن دعوتهم مع أممهم .

إما الرسول ﷺ

فإن مما تفرد به عن سائر الأنبياء وما اختص به عن جميع المرسلين هو حفظ الله لسيرته ﷺ : حيث قيض الله له العدول الثقاة من آل بيته وزوجاته أمهات المؤمنين وصحابته رضوان الله عليهم برواية دقائق حياته وخصائص سلوكه وعظمة أخلاقه وتناقلها الرواة جيل بعد جيل فى تسلسل فريد وتوثيق محكم حتى تم تدوينها من قبل أئمة الحديث وتم تصنيفها وتبويبها وتنقيحها وتنقيتها من الدخيل والموضوع والضعيف بصورة فريدة وطريقة

---

(١) سورة فاطر آية ٢٤

انفرد بها الإسلام عن غيره من الأديان الأخرى .

وبجانب التوثيق الكتابى فإن مما أنفرد به الرسول ﷺ وتميز به عن غيره من الأنبياء أن مواطن الدعوة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة ومواقعها وآثارها شاهد عدل ودليل صدق على التواجد والبقاء المستمر لهذا الدين وفى كل عام يتوافد عدة ملايين للحج والعمرة ومع تأدية المناسك يشاهدون فجر دعوة الإسلام من خلال غار حراء الذى تعلو قمته ليشرف على مكة كلها .

وغار ثور فى الناحية الجنوبية من مكة حيث مشاهد وأحداث الهجرة هذا بجانب أماكن الغزوات ومواطن الحل والترحال هذا بجانب أن رسول الله ﷺ له مسجد مقام وقبر يزار ويقف المسلمون أمام قبره الشريف يسلمون عليه ويشهدون أنه ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .

والرسول ﷺ هو النبى الوحيد الذى يتردد اسمه الشريف عبر الأذان خمس مرات فى اليوم والليلة هذا بجانب الصلاة عليه من قبل الله والملائكة قال تعالى : (١)

" إن الله وملائكته يصلون على النبى يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً "

كل هذه الأمور من دواعى الحفظ وأمارات الاستمرار ليظل الإسلام من خلال القرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺ حياً فى وجدان الإنسانية يقظاً فى قلوبها وعقولها حتى أن بعض العلماء من غير المسلمين يهتمون بسيرته

---

(١) سورة الأحزاب ٥٦

ويكتبون عنه ويتناولون حياته بدافع ذاتي وشعور داخلي مما يؤكد ما نحن بصدده من خصائص الدعوة الإسلامية

ثالثاً: ربانية الدعوة الإسلامية

إن مما تفردت به دعوة الإسلام أن أحكامها وتشريعتها فيما يخص العقائد والعبادات والمعاملات وحى من الله سبحانه وتعالى نزل به جبريل الأمين على رسول الله ﷺ قال تعالى :(1)

" **وإنه لتنزيل رب العالمين* نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المنذرين* بلسان عربى مبين** "

فالقرآن الكريم اللفظ والمعنى من عند الله والسنة النبوية الشريفة المعنى من عند الله واللفظ من رسول الله ﷺ أما الأحاديث القدسية فإن المعنى واللفظ من عند الله غير أنها لا يتحدى بها ولا يتعبد بتلاوتها ويجوز روايتها بالمعنى فالكل وحى من عند الله .

قال تعالى(2)

" **والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى** "

وقد ترتب على كون أحكام الإسلام وشرائعه من قبل الله مايلى:

١ - تناسقها مع فطرة الإنسان ، وإشباعها لمتطلبات الروح والجسد.

قال تعالى :(3) " **فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرت الله التى فطر**

---

(١) سورة الشعراء آيات ١٩٢ -١٩٥

(٢) سورة النجم آيات ١ - ٥

الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون"

(١)
٢ - كمال التشريعات وخلوها من النقائص قال تعالى

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا

وكون هذا العقائد والتشريعات من قبل المولى سبحانه وتعالى ومن رسول الله ﷺ فإن هذا يكسبها القداسة والهيبة والتعظيم وأوجب للالتزام وأدعى إلي سرعة الأمتثال فهي تشمل البشر جميعاً لا يختلف عن الإذعان إليها إنسان مهما كانت مكانته وليس لفرد أو هيئة أوجماعة أن تنال من هذه الأحكام أو تعطليها أو تحول دون تنفيذها بل، إن محاولات إبعاد الإسلام بعقائده وتشريعاته عن مجالات الحياة ذنب لا يغفر وكفر صريح "

(٢)
قال تعالى :

١ - " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون "

٢ - " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون "

٣ - " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون "

فتنوع الحكم على من يعطل شرع الله من الكفر إلى الظلم إلى الفسق بحسب موقف المعترض ودرجات جحوده وإنكاره وإغفاله بل هناك قسم عظيم ونفى الايمان عمن يحول دون تطبيق شرع الله او يجد فى نفسه حرجاً

---

(٣) سورة الروم آية ٣٠

(١) سورة المائدة آية ٣

(٢) سورة المائدة آيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧

أو ضيقاً كلما انطلقت الدعوة لحكم الاسلام قال تعالى:(1)

" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً "

إن ربانية الدعوة الاسلامية تجعل الناس جميعاً أمام أحكامها سواء لا يتفاضلون بجنس أولون وهذا من خصائص الدعوة الاسلامية وحينما ينظر الإنسان إلى العالم من حوله يجد اضطراباً فى الفكر واختلافاً فى التشريع وخللا فى السلوك وتصارعا بين الأمم واستعبادا للشعوب ولم يحصد العالم من ذلك سوء الحرب والدمار كل ذلك بسبب تدخل البشر فى تنظيم حياتهم بعيداً عن وحى السماء ورسالات الأنبياء .

إن ربانية الدعوة الاسلامية والتزامها بمهنج الله يوجب العمل على ابراز هذا المنهج والدعوة إليه وتطبيقه قال تعالى :(2)

" وإن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون "

رابعاً: عموم الدعوة الرسلامية

كانت دعوات الأنبياء والمرسلين عبر مسيرة البشرية دعوات محدودة تقتصر على قوم بعينهم أو أمم بذاتها ولا تتجاوز الدعوة حدود تلك الأوطان والبيئات إلا فى حدود ما تتحدث به الركبان او تنقله جهود بعض الأفراد أثناء

---

(1) سورة النساء آية ٦٥.

(2) سورة المائدة آية ٤٩.

الأسفار يرى جليا من خلال ما ذكره القرآن الكريم عن الأنبياء السابقين .

قال تعالى :[1]

١ - " **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم نذير مبين** "

٢ - " **وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** "[2]

٣ - " **وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره** "[3]

٤ - " **وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله**

وكذلك كوكبة أنبياء بنى اسرائيل يعقوب ، ويوسف وموسى وداود وسليمان وذكريا ويحى وعيسى عليهم الصلاة والسلام .

كانت دعواتهم الى بنى اسرائيل خاصة فهى ديانات محلية ولهذا كان يجتمع فى بعض الأحيان أكثر من نبى فى وقت واحد كابراهيم ولوط ، ويعقوب ، ويوسف ، موسى وهارون ، وزكريا ويحيى وعيسى كل هؤلاء الرسل السابقين إما مجتمعون أو منفردون .

أما رسالة محمد ﷺ فهى تجاوزت حدود الزمان والمكان وتخطت حواجز الأمم والشعوب ، وغدت دعوة الإنسانية جمعاء حتى قيام الساعة بل تجاوزت عالم الإنس إلى عالم الجن والادلة على عالمية الدعوة الإسلامية

---

(١) سورة هود آية ٢٥.

(٢) سورة هود آية ٥٠.

(٣) سورة هود آية ٦١.

وعمومها - كثيرة ونذكر منها ما يلي :

أولاً : القرآن الكريم

قال تعالى :[1]

١ - " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً "

٢ - " قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً "[2]

٣ - " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين "[3]

٤ - " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً "[4]

فالنصوص القرآنيـة تخاطب النـاس جميعاً ولا تميز قوما علـى قوم أو تخاطب جنسا دون جنس هذا ومما تجدر ملاحظتـه انـه توجد أكثر من أربعين آيـة يذكر فيهـا اسم اللـه باسم رب العالمين إلى الثقلين من الإنس والجن.

الأدلة على عموم الدعوة من السنة النبوية

ووردت أحاديث كثيرة على عموم الدعـوة الاسـلامية نذكـر منهـا ما يلي: قال ﷺ :[5]

١ - " فضلت على الأنبيـاء بست أعطيت جوامع إلكم ونصـرت

(١) سورة الفرقان آية ١.

(٢) سورة العراف آية ١٥٨.

(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

(٤) سورة سبأ آية ٢٨.

(٥) رواه مسلم والترمذى .

لما كانت البيئة الرسالية لخاتم النبين عليه الصلاة والسلام هى الدنيا كلها بشعوبها وأوطانها كان لابد من أن تعالج الرسالة الخاتمة كل الشرور والآثام والإنحرافات التى قد تصيب فى كل زمان ومكان.

٣ - الهيمنة على جميع الرسل والرسالات السابقة قال تعالى[١] :

" وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه "

والهيمنة هى جماع المراقبة والتصحيح والإصلاح

قال تعالى[٢] :

" ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما "

قال ابن كثير فى تفسيرها[٣] :

" فى هذه الآية نص على أنه لا نبى بعده وإذا كان لا نبى فلا رسول بطريق أولى ".

" وهذا وقد وردت أحاديث كثير توضح أن الرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين ومن هذه الأحاديث :

١ - عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال[٤] : " مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٨.

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٠.

(٣) ابن كثير جـ٥ ص٤٢٢.

(٤) صحيح مسلم جـ ١٥ ص٥١.

زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء "[1]

٢ – عن العرباضى بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ "إنى عند الله لخاتم النبين وإن آدم لمنجدل في طينته "[2]

٣ – " عن انس بن مالك قال :

قال رسول الله ﷺ : إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى قال فشق ذلك على الناس قال : ولكن المبشرات : قالوا : يا رسول الله وما المبشرات ؟ رؤيا الرجل المسلم . وهى جزء من أجزاء النبوة "[3]

ولكونه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين فإن كل نبى ورسول بشر بدعوته ووجه إليها وألزم قومه باتباعها وأخذ الله عليهم العهد والميثاق فى متابعة الرسول الخاتم .

قال تعالى :[4]

" وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمن به ولتنصرنه . قال أأقررتم وأخذتم على ذالكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ٤ ص١٢٧.

(٢) بجندل – ملقى على الجدالة وهى الأرض .

(٣) مسند الإمام أحمد جـ٣ ص٢٦٧ .

(٤) سورة آل عمران آيات ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣.

السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون "

(١)

وقال تعالى :

" وإنه لفى زبر الأولين أو لم يكن لهم آية أن يعلمهُ علمٰؤا بنى إسرائيل "

(٢)

وقال تعالى :

" الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين "

هذا ولقد ترتب على كون الدعوة الاسلامية هى خاتمة الرسالات السماوية نسخ كافة الشرائع السابقة ولا سيما اليهودية والنصرانية اللتان عاصرتا ظهور الإسلام ومازالتا تجاوره فى بعض الأمم والأوطان وتواجدهما فى معتقدات أصحابهما تواجد غير معترف به من جانب الحق سبحانه وتعالى إلا إذا آمنوا بالرسول الخاتم محمد ﷺ وإن تلك الأديان السابقة على الإسلام أشبه بعملة تذكارية منع التعامل بها ولكنها تحفظ كتذكار تاريخى فحسب ومن ينتسبون اليها ترعى ذممهم وتصان حقوقهم لمجرد الانتساب لنبى من الأنبياء .

(٣)

فالإسلام قد هيمن على تلك الشرائع قال تعالى :

" وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق "

---

(١) سورة الشعراء آية ١٩٦، ١٩٧.

(٢) سورة القصص آية ٥٢ ، ٥٣.

(٣) سورة المائدة آية ٤٨.

فالهيمنة على الكتب السابقة كما قال ابن عباس رضى الله عنهم.

" أى مؤتمنا عليهما : وقيل حاكما على ما قبله من الكتب وقال سعيد بن جبير : [1] " القرآن مؤتمن على ما قبله من الكتب "

وهيمنة الإسلام على الشرائع السابقة يكون بما يلى :

١ - نسخ الإسلام لبعض التشريعات التى جاءت بها تلك الأديان.

٢ - تصحيح ما انحرف منها ولا سيما ما يتعلق بمسائل العقيدة قال تعالى : [2]

" وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون "

٣ - تطهير سيرة الأنبياء والمرسلين مما لحق بهم من أكاذيب وافتراءات تتنافى وعصمة الأنبياء وقدسيتهم وطهارتهم وقد ذكرت تلك الافتراءات فى كتب العهد القديم وفى الأناجيل المحرفة .

٤ - إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد عملا على تعديل مسار تلك الأديان - التى أنحرفت - والاتجاه بها نحو الاسلام وإزالة ما أطلق عليها من يهودية أو نصرانية .

قال تعالى : (٣) " وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة

---

(١) تفسير القرطبى ص٦٢٢٠.

(٢) سورة التوبة آية ٣٠.

(٣) سورة البقرة آية ١٣٥.

إبراهيم حنيفاً وما كان المشركين "

ونفى القرآن الكريم ما أطلق على أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام من كونه يهودياً أو نصرانياً .

قال تعالى :(١)

" ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلما وما كان من المشركين "

هذا وعلى الرغم مما لحق بالتوراة والانجيل من تحريف وتبديل فإن بعض نصوصهما قد صانها الله لتشير تلك النصوص الى أن محمداً ﷺ هو خاتم الانبياء والمرسلين .

قال تعالى :(٢) " **إن الدين عند الله الإسلام** "

فمما جاء فى التوراة :

" جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير وتلألأ من جبل فاران "

ويذكر العلماء أن هذه العبارة تشير إلى أماكن نزول الوحى .

فمجيئه من سيناء : إعطاؤه التوراة لموسى

وإشراقه من ساعير : إعطاؤه الإنجيل لعيسى

وتلألئه من جبل فاران : إنزاله القرآن على محمد ﷺ

وفاران هو اسم قديم من اسماء مكة

وهذا ما تشير إليه صورة التين فى قوله تعالى :

" **والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين** "

---

(١) سورة آل عمران آية ٦٨.

(٢) سورة آل عمران آية ١٩.

فلقد اقسم الله بهذه المواطن الثلاث التى شهدت وحى السماء .

أما الأناجيل فلقد جاء فى أنجيل برنابا :

وانجيل برنابا هذا أحد الاناجيل التى لم تنله يد العبث والتحريف ولقد صدر فى عام ٤٩٢م أى قبل ظهور الاسلام وأمر البابا جلاسيوس بتحريم قراءة بعض الكتب وكان من بينها إنجيل يسمى إنجيل برنابا وصودر هذا الأنجيل من كل مكان غير أن مكتبة البابا بالفاتيكان بايطاليا كانت بها نسخة محفوظة ، توصل اليها راهب يسمى [فرامينوا] وحينما قرأ ما بها بشارات عن محمد ﷺ أعلن إسلامه وعمل على نشر هذا الإنجيل .

ومما جاء بهذا الإنجيل فى الفصل الثانى والسبعين على لسان عيسى عليه السلام مخبراً الحواريين عن زمن مجيء الرسول الذى من بعده " فيقول :

" إنه لا يأتى فى زمنكم بل يأتى بعدكم بعدة سنين حينما يبطل إنجيلى ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمناً . فى ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل رسول الله الذى تستقر على رأسه غمامة بيضاء ".

ولقد جاء فى إنجيل متى الاصحاح ٢١ ، ٤٢ ، ٤٣.

قول عيسى عليه السلام لقومه :

" ما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البناؤن قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا عجيب فى أعيننا لذلك أقول لكم "

" إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره "

وهذا ما يشير إليه حديث :

" مثلى ومثل الأنبياء من قبلى .... الذى سبق ذكره "

وجاء فى إنجيل يوحنا الإصحاح ٢٠-٢٤:

قول عيسى عليه السلام للمرأة السامرية عن تحويل القبلة التى يصلى اليها

بنو اسرائيل .. إلى قبله أخرى ولم تتغير القبلة إلا على يد محمد ﷺ فلقد جاء في إنجيل يوحنا ما يلي :

" إن المرأة السامرية قالت ليسوع أباؤنا سجدوا في هذا الجبل . وأنتم تقولون : إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجدوا فيه .

قال لها يسوع : [أي عيسى] عليه السلام :

" يا إمرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون لله. الله روح والذين يسجدون له فالبروح والحق ينبغي أن يسجدوا "(1)

وهكذا تتابع الأدلة من بقايا الكتب السماوية رغم تحريفها على كون الإسلام هو الدين الخاتم للرسالات وأن شريعته ناسخة لغيرها من الشرائع .

قال تعالى :(2)

" ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين "

سادساً : تشريعات الإسلام تتلاءم مع الفطرة

إن ما تميزت به الدعوة الإسلامية أن تشريعاتها تتلاءم مع الفطرة الإنسانية فهي تنظم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان.

ثم إن الإسلام يهتم بالإنسان من حيث تكوينه النفسي والجسدي فينظم الغرائز كغريزة حب التملك أو الجنس فلا يُحرم الإنسان من تلك الرغبات ولا يترك له الانغماس فيها والوقوع في براثن شهواتها ولكنه يلائم وينسق بين رغبات الجسم ومتطلبات الروح فلا يغرق الاسلام في الافراط أو التفريط

(١) توحيد الخالق جـ٢ ص٩٩ عبد المجيد الزنداني.

(٢) سورة آل عمران آية ٨٥.

ولا يجنح الى الغلو أو إلى إفلات الزمام ولم ينهج نهج المسيحية فى فصل الدين عن الدولة تحت شعار:

" دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله "

ولم ينح نحو اليهودية التى أتسمت بالمادية المطلقة ولكنه وضع التشريعات التى تتناول حياة المسلم منذ ولادته وحتى يخرج من هذه الدنيا وهو بين ظلال الاسلام وهدى القرآن والسنة التى سنها محمد ﷺ

أنى تلفت المسلم فى حياته اليومية أو اى شان فى الأمور الدنيوية أو خطا خطوات فى مسيرة الحياة إلا وجد الإسلام حوله يحوطه بالعناية والرعاية ويكبح جماح شهوته فى حنو ورحمة . ويأخذ بيده فى سهولة ويسر ويسمو بالإنسان فى بساطة وإقناع وذلك من خلال التشريعات التى تتناول حياته على الوجه التالى .

١ – كل ما يتعلق بالعقيدة كالإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر كما سبق ذكره .

٢ – الأحكام التى تنظم علاقة الإنسان بخالقه وذلك من خلال العبادات المفروضة .

٣ – ما ينبغى أن يتحلى به المسلم من مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال .

٤ – الأحكام التى تتعلق بتنظيم علاقات الأفراد فيما بينهم وهذه على أنواع منها :

أ – أحكام الأسرة من نكاح وطلاق وميراث ونفقة وغيرها وتسمى فى الاصطلاح الحديث بأحكام الأسرة أو قانون الأحوال الشخصية .

ب – أحكام تتعلق بالقضاء والدعوى وأصول الحكم والشهادة واليمين

وهى تدخل فيما يسمى بقانون المرافعات .

جـ - أحكام تتعلق بعلاقات الأفراد ومعاملاتهم كالبيع والرهن والإجارة والكفالة وهى تسمى فى الاصطلاح الحديث بأحكام المعاملات المالية أو القانون المدنى .

د - أحكام تتعلق بمعاملات الأجانب غير المسلمين عند دخولهم الى أقاليم الدولة الاسلامية والحقوق التى يتمتعون بها والتكاليف التى يلتزمون بها وهذه الأحكام تدخل فيما يسمى اليوم بالقانون الدولى الخاص .

هـ - الأحكام التى تتعلق بتنظيم علاقات الدولة الاسلامية بالدول الأخرى فى السلم والحرب وتدخل اليوم فيما يسمى بالقانون الدولى العام

و - أحكام تتعلق بنظام الحكم وقواعده وكيفية اختيار رئيس الدولة وشكل الحكومة وعلاقة الأفراد بها وحقوقهم إزاءها وهى ما يطلق عليه بالقانون الدستورى .

س - ما يتعلق بموارد الدولة الإسلامية ومصارفها وتنظيم العلاقات المالية بين الأفراد والدولة وبين الأغنياء والفقراء وهى تدخل فى القانون المالى بمختلف فروعه .

ح - أحكام تتعلق بتحديد علاقة الفرد بالدولة من جهة الأفعال المنهى عنها [الجرائم ومقدار كل جريمة] .(1)

ومن بين ثنايا هذه التشريعات يبرز الإسلام كنظام فريد تتضاءل أمامه كل تشريعات الشرق والغرب ،ولا يقارن به دين من الأديان أو شريعة من الشرائع . لأنه تنزيل من حكيم حميد .

---

(1) أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان ص٥٠ .

وهكذا يتضح مما سبق بعض ما انفردت به الدعوة الاسلامية وتميزت به عن سائر الأديان مما يحقق لها العمومية والاستمرار والخلود والأخذ بيد الإنسان الى الفطرة التى خلقه الله عليها .

قال تعالى :[1]

" فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون "

---

(١) سورة الروم آية ٣٠.

حاجة الإنسانية المعاصرة للدعوة الإسلامية

حاجة الإنسانية المعاصرة
للدعوة الإسلامية

سبق أن أوضحنا بين ثنايا هذا الكتاب حاجة البشرية إلى وحى السماء ورسالات الانبياء عبر التاريخ الانسانى وأن رسالات السماء تجمعت روفداها وأسلمت قيادتها للرسول الخاتم محمد صلى امتثالا للعهد والاقرار الذى أخذه الله على النبيين بالتصديق برسول الله قال تعالى:(١)

" وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون ".

ووثق هذا العهد ليلة الإسراء من مكة المكرمة إلى بيت المقدس والمعراج إلى السموات العلى والتقائه بالأنبياء والمرسلين وإمامته لهم في الصلاة . ومنذ ذلك التاريخ أصبح المسلمون يحملون أمانة تبليغ الدعوة إلى الأمم والشعوب وأوجب الله عليهم هداية الإنسانية وتعريفها بخالقها والارتقاء بأخلاقها وترشيد معاملاتها . وأطلق الله على هذه الأمة

---

(١) سورة ال عمران آيات ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣.

لا تتخلف أن ينهار الاتحاد السوفيتى انهيارا فاجأ الدنيا بأسرها وتساقت نظمه كما تتساقط أوراق الخريف الجافة وكان السبب الرئيسى فى سقوط النظام الشيوعى فى روسيا هزيمتها النكراء فى افغانستان ، وانسحابها بعد حرب استمرت من عام ١٩٧٩ حتى عام ١٩٨٩ هذا ولقد كان سقوط الشيوعية في الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية سقوطاً سريعا مدويا صك سمع العالم أجمع وسط الذهول والحسرة التى انتابت من كانوا يتخذون من الماركسية عقيدة ومن الشيوعية مذهباً .

ولم يكن يدر فى خلد أحد أن الاتحاد السوفيتى الذى كان يحتل القوة الثانية فى العالم بعد أمريكا ويقتسم معها نصف العالم ويتسابق معها فى غزو الفضاء والتسلح ويبسط جناح نفوذه على أوربا الشرقية والمذاهب الشيوعية فى العالم أن يهوى وتتفرق دوله وتتبعثر شعوبه ولقد كان سقوط الدول الشيوعية فى نهاية القرن العشرين آية من آيات الله حيث أسدل الستار على أعتى وأقسى النظم على البشرية وأفجرها وأخطرها على الاديان السماوية ولقد فوجىء العالم بالشعوب الاسلامية المقهورة المظلومة تظهر فجأة ودون سابق إنذار تهتف بالاسلام وتدثر بدثاره وتقلب موازين القوى حيث ثبت للعالم أن الاسلام لم تغرب شمسه وأن نوره يضىء جوانب النفس وحنايا القلب وأن جبروت لنين وبطش ستالين وغطرسة خروشوف عجزت عن وأد الاسلام واستئصاله.

هذا ولقد ظهرت بين ركام وحطام الاتحاد السوفيتى ست جمهوريات إسلامية وهى دول ذات سيادة ولها دستورها الخاص بحانب

جمهوريات مستقلة لها حكم ذاتى وتعتبرها روسيا جزءا من دولتها غير أنها بدات تثور وتطالب بالانفصال كما حدث لجمهورية الشيشان والبقية ستأتى ان شاء الله وبعد سقوط الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١ وحرب الخليج بين العراق ودول التحالف الأمريكى الأوربى عام ١٩٩٢ أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية القوة الرئيسية فى العالم تقوده وفق استراتيجيتها التى ترتكز على :

١ – الهيمنة على اقتصاد العالم وذلك بالاتفاقات الدولية كاتفاقية الجات عام ١٩٩٥ وغيرها التى تتيح فتح أسواق العالم أمام المنتجات الامريكية .

٢ – تطويع دول العالم وشعوبه للسير تحت مظلة الولايات المتحدة ومن يحاول التصدى أو الخروج من دائرة النفوذ تصدر على أم رأسه القرارات من الأمم المتحدة ومجلس الأمن بتوجيه وضغط من السياسة الامريكية كما يحدث فى العراق وليبيا والسودان ، وإيران يرى ذلك من خلال موقف المجتمع الدولى ومنظماته من أحداث البوسنة والهرسك وأحداث الشيشان وتدعيم العدوان الاسرائيلى على فلسطين والمؤازرة والمعاونة على تهويد القدس وبناء المستوطنات ولقد استشعرت أمريكا وأوربا الخوف من الاسلام ولا سيما بعد سقوط الاتحاد السوفيتى وظهور الجمهوريات الاسلامية فوضعت الخطط للتآمر عليه والكيد له وصدرت على ألسنة رؤسائها وأجهزة أعلامها التحذير من الاسلام كدين ودولة .

وإن العالم الاسلامي وهو يلقى نظرة ألم وأسى وحزن على القرن العشرين لما لاقاه ونزل بأممه وشعوبه من نكبات ليجب عليه وهو على مشارف القرن الواحد والعشرين أن يجعل الاسلام وجهته وأن يعيد ترتيب أوراقه . وأن يراجع موقفه من الاسلام فلا يضيق حكامه بتطبيقه ولا تنتحل الأعذار والتسويف لتعطيل حدوده ولا تهمل أمة الاسلام وشعوبه شرع الله ولا تولي ظهورها له بل تستقبله بقلبها وتفتح لتعاليم الدين أذرعتها ولا سيما وأن الاسلام عطاء وفير يصبغ الحياة بصبغة الله . ويرد البشرية إلى الفطرة النقية . والسلوك القويم قال الله تعالى :

"صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون " (١)

إن العالم المعاصر بعد سقوط النظريات والمذاهب والفلسفات التي أفسدت فطرة الانسان لتتطلع إلى الاسلام لينقذه من التيارات المهلكة والعواصف القاصمة والحياة البائسة وليعيد تيار الايمان حارا متدفقا ينبض بحب الله الخالق والرسول النبي المعلم وحب الانسان لأخيه الانسان، هذا الحب الذي تمزق واندثر خلال القرن المنصرم لن يجد ديارا يحل فيها سوى ديار المسلمين الذين فقهوا دين الله قال تعالى (٢)

" قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين "

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٨.

(٢) سورة يوسف آية ١٠٨.

٣ – عجز الديانة النصرانية واليهودية فى تعميق الاتجاه الديني في العالم .

إن أوربا والعالم لم يعرفوا دين الله الحق المنزل على عيسى عليه السلام ولكنها تعرفت على النصرانية من خلال بعض بقايا تعاليم عيسى عليه السلام والتي انحرف بها " بولس الرسول " وصاغها صياغة تمزج بين تعاليمها وبين ما عليه الرومان من عقائد وثنية .

ولقد كان لممارسات الكنيسة خلال عصورها المتتابعة وحتى قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٩٨م دور كبير فى فقدان مصداقيتها وانعزالها عن الحياة ولم يعد للكنيسة من دور سوى توزيع البركات وصكوك الغفران ومحاولات التنصير المستمر للشعوب الآخرى ولم تتمكن من جبح جماح أوربا ودول القارة الامريكية من السقوط فى منحدر الشهوات سواء كان شهوة احتلال الشعوب وسلب خيراتها أو شهوة الجنس والمال بل إن السلطات الحاكمة دفعت بقايا النصرانية فى جانب محصور فى عظات الأحد يفد المسيحيون إليها وهم متثاقلى الخطأ ولم يتوقف الأمر على هذا بل حملت الكنيسة على إباحة الشذوذ بين الذكران . وتقوم بعض الكنائس فى أوربا بتوثيق عقود هذا الاتصال المنافى للفطرة ووقف رجال الكنيسة موقف المتفرج لانفصام الدين عن الدنيا تحت مقولة مفتراة " دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله " وغدت الحياة فى العالم الغربي المسيحى تتسم بالمعالم التالية :

١ – الوثنية الدينية من خلال ما يعتقدونه فى عيسى عليه السلام .

٢ – ضعف التدين وابعاد الدين عن الحياة .

٣ – الايمان بالمحسوس وقلة الاهتمام والتقدير لما لا يقع تحت لحواس كالايمان بالبعث والحشر والثواب والعقاب فهذه قضايا مستبعدة من الفكر الغربى تماما .

٤ – الانغماس فى الترف إلى حد الخروج عن فطرة الله التى فطر الناس عليها .

٦ – الميل للنزعات الوطنية والقومية .

ووضع اليهود ليس بأقل من وضع النصارى فقد انقطعت صلتهم بدين موسى عليه السلام وما بين أيديهم من كتاب مقدس يوضع مع ما لدى النصارى من أناجيل قد حرفت وبدلت ولا تمت بصله لوحى السماء المنزل على موسى وعيسى عليهما السلام إنهم يحيون آملا خطط له حكماء صهيون من خلال البروتوكلات التى تدعو إلى إفساد العالم وسيطرة اليهود عليه وقد نجح اليهود فى التسلل إلى أروقة الحكم وميادين الاقتصاد لتوجيه سياسة العالم نحو تحقيق أطماعهم وقد استوقت أوربا وأمريكا لليهود فعاثوا فسادا عبر أجهزة الإعلام المرئيسة والمسموعة والمقروءة ومن خلال إشاعة الفسق والفجور وأغمطت الكنيسة أعينها عن التدهور الأخلاقى وكان حصاد هذا مدمرا للأمم والشعوب حيث تعانى شعوب العالم من التوتر النفسى والقلق والخوف والاضطراب وستشعر أنها تفتقر إلى دين يعمق صلتها بالله ويردها إلى ينابيع الخير والحق والأمن والأمان وليس من دين على ظهر هذه الأرض يحقق للعالم

هذا إلا الاسلام فهو مرتبط بالسماء ارتباطا وثيقا وإن الانسانية الحـــيرى بين النظريات والمذاهب والأديان المحرفة لتطلع بشوق جارف وحنيـــن شديد إلى الاسلام ليطفىء ظمأها الروحـــي ويشـــبع حاجاتـــها الماديـــة والجسدية فى توازن دقيق ومعادلة متناسقة بين رغبات الروح ونزعـــات الجسد ومن هنا يتضح مدى الأهمية القصوى والضرورة الملحـــة التـــي تفرض على المسلمين أن يتحركوا بـــالدعوة الاســـلامية إلـــى الافـــاق ويعرضوها على الشعوب وفق منهج القرآن الكريم والسنة الشريفة فـــي الدعوة إلى الله .

٤ - حاجة التقدم العلمى للإسلام

شهد القرن العشرون تطورا علميا مذهلا فى كافة الميادين فلقـــد وصل العقل البشرى إلى الفضاء يسبر أغواره ويكشف بعض أســـراره وتقدمت وسائل الاتصالات والمواصلات حتى غدا العالم قرية صغـــيرة تحت سمع وبصر الانسان من خلال البث الاعلامى المباشر عبر الأقمار الصناعية وأصبح التنقل إلى أى مكان فى العالم ميســـورا بســـبب تقـــدم وسائل المواصلات بل إن أجهزة الهاتف تربـــط العـــالم بربـــاط وثيـــق وتعارف محكم فضلا عن التقدم فى مجال التكنولوجيا فى ميادين الطـــب والصناعة والزراعة والمعدات العسكرية .

هذا التقدم العلمى سلاح ذو حدين فإن وجه لخدمة البشرية وتحقيق آمالها فإنه يكون خيرا وبركة وان استخدمته شـــياطين الانـــس لتدمـــير الانسان كما حدث فى الحروب التى شهدها القـــرن العشـــرون وحينمـــ

ستخدم سلاح العلم فى مسخ الانسانية وتشويه فطرتها كقضية الاستنسخ، والتلقيح الصناعى واستئجار الأرحام ، والاجهاض ونقل الاعضاء والاستخدام الكيماوى فى ميادين الانتاج الزراعى والحيوانى فإن هذا يعرض الانسانية للدمار وللأسف فلقد اتجهت بعض المراكز العلمية لاجراء الأبحاث والتجارب التى تشكل خطرا على الانسان وتعرض مستقبل البشرية للخطر وكان أحد أسباب الانحراف العلمى التخلص من رقابة الدين والانفلات من ضوابطه وتم التزواج فى العالم الغربى من الإلحاد والعلم وكأنهما صديقان حميمان .

وان مستقبل البشرية العلمى ليتطلع إلى الاسلام الذى يجعل العلم والعلماء مرتطبتين بمنهج الله وباسم الله قال تعالى : (١)

" إقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم " .

فالقراءة والابحاث والتجارب حينما تكون باسم الله يؤمن جانب العلم ويؤتى ثماره لخير الانسانية وسعادتها ولهذا أقسم الله باحد حروف الكتابة وبالقلم وبما يدونه الانسان قال تعالى : (٢)

" ن والقلم وما يسطرون "

وقصر الله خشيته على العلماء الذى يراعون الله فى كتاباتهم

---

(١) سورة العلق آيات ١ - ٥ .

(٢) سورة القلم آية ١ .

ومعامليهم و بحاثهم ويتوجهون بالعلم وجهة تتلاءم مع الارتقـــاء بفطـــرة لانسان وتحقق الغاية من العلوم والمعارف قال تعالى :[1]

إنما يخشى الله من عباده العلماؤ إن الله عزيز غفور "

فخشية العلماء لله هي صمام أمن الابحاث والتجارب .

مما سبق يتضح بعض ما عانته البشرية خلال القـــرن لعشـــرين والحصاد المر الذى جنته بسبب بعدها عن الدين الحق وإننا نضع بيـــن يدى القارىء بعض الاحصائيات التى تكشف النقـــاب عـــن الأوضـــاع المتدهورة والمتردية التى تعانيها الشعوب الغربية التى أعرضت عن دين الله وولت وجهها شطر شـــياطين الانـــس والجـــن وهـــذه الدراســـات والاحصائيات ساقها الاستاذ عبد الرحمن واصل فى كتابـــه " مشـــكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت ضوء الشريعة الاسلامية "[2]

أضعها بين ثنايا هذا الكتاب ليتبين بوضوح وجلاء حاجة البشـــرية للدعوة الاسلامية لتصحيح عقائدها ، وتهذب أخلاقها . وتحيى فى النفـــس الانسانية طاقات الخير النافع والعطاء المفيد وتغلق أبواب الشر وتجتـــث جذور الانحراف وتظهر مدى تطلع العالم المعـــاصر إلـــى دعـــاة ذوى ملكات خاصة ومواهب متميزة يجمعون بين طهارة القلب وصفاء النفـــس قوة العقيدة وسداد الرأى والتفقه فى الدين والتمرس على أساليب الدعـــوة

---

(١) سورة فاطر آيـــة ٢٨.

(٢) لناشر مكتبة وهبـــة .

إلى الله وفق ما أمر به رسول الله ﷺ

(١)

في قوله تعالى :

" أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين "

(١) سورة النحل آية ١٢٥.

وسائل تبليغ الدعوة

إلى الله وسبل نشر الإسلام

وسائل تبليغ الدعوة إلى الله وسبل نشر الإسلام

الدعوة إلى الله نظام حياة يتناسق ويتوافق مع فطرة الله التى فطرت الناس عليها وفق منهج مرتبط بوحى السماء ورسالات الأنبياء وأسلوب أحكمت صياغته آيات القرآن الكريم بما اشتملت عليه من وجوه الإعجاز البلاغي والعلمى والتشريعى مما يأخذ بالألباب ويستميل المشاعر وينير القلوب ويؤثر فى النفوس إذا ما شرح الله الصدور للإسلام ، وصدقت نية الإنسان وقوى عزمه للدخول فى جماعة المسلمين كما أن أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وسمو أخلاقه خير أسلوب للدعوة إلى الله قال تعالى :

" لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً " (1)

فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بما يشتملان عليه من عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات هما الأسلوب الأمثل للدعوة إلى الله .

هذا ولقد تعددت وسائل تبليغ الدعوة وتنوعت سبل نشر الاسلام فقد أشرقت أرض مكة المكرمة بنور ربها وأرهف الكون سمعه و أحدق ببصره صوب غار حراء يرقب أعظم لحظات فى تاريخ الأنسانية إنها لحظة نزول أمين وحى السماء [جبريل عليه السلام] على قمة جبل النور حيث رسول الله ﷺ فوق ربوته الشامخة ، يتحنث ويتعبد ويتأمل ويتفكر

---

(1) سورة الأحزاب آية ٢١

فى خالق الكون الرحب الواسع أمامه ، ويتعجب مــن قومــه اللاهــون الغارقون فى عبادة الأصنام ، وخلال لحظات التأمل والتفكر هبط جبريل عليه السلام وضم النبى ﷺ إلى صدره وجبذه جبذة شـديدة تمسدت نتناهــه وأيقظت مشاعره لما سيوحى إليه من كلام الله وبما سيلقى عليه من أعباء الرسالة[1] وكانت أولى طلائع النور على قلب الرسول ﷺ :

قول الله تعالى :[2]

" إقرأ بأسم ربك الذى خلق خلق الأنسان من علق إقر وربــك الأكرم الذى علم بالقلم علم الأنسان مالم يعلم "

ثم تتابع نزول الوحى فنزلت سورة المزمل تُعِدُ النبى ﷺ **لتحمل** أعباء الرسالة وتوضح له عظم أمرها وثقل تبعاتها ، وتضع له المنــهج الذى يسير عليه ويترسم خطاه إعداداً واستعداداً وذلك بالأمور التالية :

١. قيام الليل
٢. قراءة القرآن
٣.ذكر الله والتبتل إليه
٤. التوكل والاعتماد على الله
٥.الصبر وتحمل الأذى

الصبر الجميل الذى يبتعد عن إثارة القوم عليه وتحرشهم به .

---

(١) سورة العلق آيــات ١-٤

(٢) سورة العلق آيــات ١ ، ٤ .

قال تعالى : (١)

" يأيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلا * إن ناشئة الليل هى أشد وطأً وأقوم قيلا * إن لك فى النهار سبحا طويلا * واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا * رب المشرق والمغرب لا إلـٰه إلا هو فاتخذه وكيلا * واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا

وعقب سورة المزمل نزلت سورة المدثر وفيها الأمر الصريح بالانذار والتبليغ مكبراً الله تعالى طاهر الثياب عف اللسان غير ممتن على أحد صابراً متحملاً كل ما يلاقاه فى طريق الدعوة من إيذاء حسى أو معنوى قال تعالى : (٢)

" يأيها المدثر قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر "

ومنذ ذلك الحين بدأ الرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام بالوسائل التالية :

أولاً : الدعوة الفردية

بدأ النبى ﷺ الدعوة للإسلام بأقرب الناس إليه وألصقهم به فهم أكثر لناس معرفة به وأحرصهم عليه ، لأنهم أهل ثقته وموطن أسراره .

---

(١) سورة المزمل آيات ١-١٠

(٢) سورة المدثر آيات ١-٧

والأهل والأصدقاء ليسو على درجة واحدة فى الاقتناع وليسو على وتيرة واحدة فى تحمل الأعباء ولهذا فإن الرسول ﷺ بدأ دعوته بالسيدة خديجة رضى الله عنها لما عرف فيها من الأخلاص والوفاء ولمالمسه منها حينما عاد من غار حراء يرجف فؤاده ويرتعد خوفاً ويقول لها لقد خشيت عليَّ فقالت : (١)

" كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق "

ثم انطلقت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذى أخبره إن هو الناموس الذى أنزله الله على موسى ليتنى أكون حين يخرجك قومك فقال ﷺ : أفمخرجى هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً .

هذا ولقد كان إسلام السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها أولى ثمرات الدعوة الفردية " فكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت ما جاء به فخفف الله بذلك عن رسول الله ﷺ لا يسمع بشىء يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس يرحمها الله تعالى : (٢)

---

(١) دلائل النبوة البيهقى جـ٢ ص١٥٦

(٢) سيرة ابن هشام جـ١ ص٢٤٠

(١)
الأريسيين " يا أهل الكتاب تعالوا إلى حكمة سواء بيننا وبينكم ألاّنعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً مسن دون الله
(٢)
فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "

كما أرسل عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك الفرس بكتاب جاء فيه : " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله عز وجل فإنى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس "

وعلى هذا النحو بعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضَّمْرى إلى النجاشى ملك الحبشة وأوفد حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس عظيم القِبطِ فى مصر ، وبعث صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمسر الغسانى أمير دمشق ، وأرسل العلاء ابن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العَبَدِى صاحب البحربين كما
(٣)
أرسل عمرو بن العاص إلى ملكى عمان "

---

(١) الأريس – الفلاح .

(٢) سورة آل عمران آية ٦٤.

(٣) يراجع جمهرة رسائل العرب جـ١ ، السيرة الحلبية جـ ٢ .

ولقد أوردت كتب السيرة النبوية رسائل الى غير هؤلاء . وهكذا خرجت الدعوة من نطاق الجزيرة العربية إلى أرجاء المعمورة تحمل بين ثناياها آيات الذكر الحكيم وقبسات من هدى الرسول الأمين ودور من التشريع العظيم وما زال الاسلام - بحمد الله - رغم العوائق والسدود ينتشر ويرتفع صوته بنداء التوحيد فى كل بقاع الدنيا حتى فى قلب الدول الكافرة قال تعالى :(١)

" **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** " .

---

(١) سورة التوبة آيــة ٣٢ ، ٣٣.

وتنكر للمواثيق سمة من سمات اليهود وبعض النصـــارى وأصحـاب لنحل الفاسدة والتاريخ الانسانى ولا سيما فى هذا العصر خير شاهد على تنكر الدول لعهودها وكيف تمزق اتفاقياتها وتنقض تحالفاتها وهذه ســمة غالبة على عدو المسلمين فى مختلف العصور تحدث عن ذلـك القـرآن الكريم وكشف عن طوايا نفوسهم وما تضمره قلوبهم من الحقد الاســـود والغل الدفين على الاسلام وطبيعتهم فى نكث العهود قال تعـالى : [1] " وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين "

[2] وقال تعالى : " **إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فــهم لا يؤمنون * الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهـم لا يتقون** " .

وهكذا كانت العهود والمواثيق إحدى طرق انتشار الاسلام خـلال تاريخه العظيم . ومن سبل تأمين الدعوة والدعاة .

خامسا : **إيفاد الرسل وإرسال الرسائل**

الدعوة الاسلامية كما سبق أن ذكرنا دعوة عالمية لا تقتصر علـى جنس معين وموطنها الكرة الأرضية والمسلمون مطالبون شـرعا بـأن

---

(١) سورة الأعراف آيـة ١٠٢ .

(٢) سورة الأنفـال ٥٥ ، ٥٦ .

تصلو بالإسلام إلى كل بقاع الأرض قال تعالى (١) " وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ"

وقال تعالى (٢) : " وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها "

ولقد خطا الرسول صلى الله عليه وسلم خطوات عملية لتبليغ الاسلام ونشره ولم يلحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى إلا بعد أن ردد الكون صدى دعوته وتناقل العالم أخبار رسالته من خلال الكتب والرسائل التى حملها سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها للإسلام ويحذرهم من مغبة الإعراض عنه والتصدى للدعوة الاسلامية .

فلقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل قيصر الروم بكتاب يدعوه فيه إلى الاسلام جاء فيه (٣) :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم

---

(١) سورة الأنعام آيـة ١٩.

(٢) سورة الشورى آيـة ٧.

(٣) جمهرة رسائل العرب جـ١ ص٣٨.

مصدقى ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً فقال : يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم الله شيئاً يا بنى عبد مناف .... يابنى عبد شمس ... يا بنى عبد كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً ... الحديث فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت

" تبت يدى أبى لهب .... إلى آخرها وهكذا تمت المواجهة الحاسمة واشتد غضب قريش فصبت العذاب على المستضعفين من المسلمين صباً وأنزلت الإيذاء بالرسول ﷺ أشكالاً وأنواعاً وشهدت جبال مكة وشعابها مطاردة ظالمة للسابقين إلى الإسلام الذين تحملوا كل ما نزل بهم فى صبر عظيم وتحمل شجاع تلألأت به كتب السيرة النبوية وتحدث به التاريخ وتناقلته الأجيال ولسنا بصدد ذكر ما نزل من السابقين إلى الإسلام وإنما نذكر وسائل الدعوة فحسب ليكون فقهاً للدعوة وزاداً للدعاة.

ثالثاً : عرض الإسلام على القبائل والعشائر والدعوة إليه .

خطا النبى ﷺ بالدعوة إلى الله خطوات منتظمة وتتابعت مراحلها فى تسلسل فريد وترتيب دقيق حيث تجاوز ﷺ دائرة مكة المكرمة التى أنزلت به وبأصحابه صنوف الإيذاء إلى آفاق الجزيرة العربية . يغشى الناس فى أسواقهم ، ومضارب خيامهم وأماكن تجمعاتهم . ولا سيما فى فترة موسم الحج حينما كان يفد العرب من أنحاء الجزيرة العربية إلى مكة قاصدين البيت الحرام كما أن أسواق العرب فى الجاهلية كان

تقصدها العرب للتجارة والمفاخرة ومناشدة الأشعار كأسواق عكاظ ، ومجَنة ، وذى المجاز

قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : (١)

أن رسول الله ﷺ لبث عشر سنين يتبع الناس فى منازلهم بمجَنة وعكاظ وفى المواسم بمنى يقول من يؤوينى ومن ينصرنى حتى أبلغ رسالات ربى وله الجنة فلا يجد أحدا يؤويه ولا ينصره حتى أن الرجل يرحل من مضر أو اليمن فيأتيه قومه وذو رحمة فيقولون أحذر فتى قريش ليفتنك يمضى بين رحالهم وهم يشيرون إليه بأصابعهم - حتى بعثنا الله إليه من يثرب فيأتيه الرجل منا فيؤمن به ويقرئه القرآن فينقلب إلي أهله فيسلمون بإسلامه حتى لم تبق دار من دور يثرب إلا وفيها رهط من المسلمين يظهرون الإسلام ثم بعثنا الله تعالى فأتمرنا وأجتمعنا فقلنا متى نذر رسول الله ﷺ يطوف فى جبال مكة ويخاف فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه فى الموسم فواعدناه شعب العقبة "

وهكذا كان خروج النبى ﷺ لملاقاة القبائل وسيلة من وسائل انتشار الإسلام بل إن هذه النهج الذى نهجهه ﷺ كان السبب الرئيسى فى انتقال الدعوة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وعلى الرغم مما كان يلاقاه النبى صلى الله عليه وسلم من صدود وإعراض أو سخرية وتهكم فى بعض الأحيان أو مساومة فى أحيان آخرى إلا أنه كان تمدد

---

(١) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ٢ ص٤٣٢

الحرص على تبليغ كلمة الله خارج نطاق مكة المكرمة التى حاصر أهلها الدعوة حصاراً شديداً وأحكموا القبض على المسلمين حتى أضطروهـــم للهجرة للحبشة مرتين وخروج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

رابعاً : المعاهدات بين الرسول صلى الله وعليه وسلم وأهل الكتاب :

إن الاسلام دين عالمى يتجاوز حدود الزمـــان والمكـــان وتتســـع دائرته ليشمل كل بنى الإنسان فى كافة الأوطان وهو فى انتشـــاره قـــد يصتدم بأصحاب الاديان السماوية كاليهود والنصـــارى وغـــيرهم مـــن أصحاب النحل الفاسدة والأهواء الباطلة . الذين يعوقون مسيرة الدعـــوة إلى الله ويتصدون لمنع انتشار الاسلام ولذا يجب تأمين الدعاة الـــى الله ليبلغوا كلمة الله للعالمين لذا كانت المعاهدات فى الاســـلام وسـيلة مـــن وسائل انتشار الإسلام

وإبرام العهود والوفاء بها لها فى الإسلام وضع متميز واحـــترام واجب تحدث عنه القرآن الكريم فى أكثر من موضع قال تعال :

" والموفون بعهدهم إذا عاهدوا " (١)

قال تعالى "

" وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدهـــا وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون " (٢)

---

(١) سورة البقرة آيـــة ١٧٧

(٢) سورة النحل آيـــة ٩١

وقال تعالى : " (١)

" وأوفو بالعهد إن العهد كان مسئولاً "

ولهذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يبرم الاتفاقيات ويعقد العهود بينه وبين المسلمين كالعهد الذى أخذه صلى الله عليه وسلم على الأنصار وبايعهم عليه في بيعة العقبة الأولى والثانية ، وكالعهد والمبايعة مع المسلمين فى صلح الحديبية قال تعالى : (٢)

" لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً "

وقد أبرم النبى صلى الله عليه وسلم العهود مع المشركين كالعهد الذى تم بينه صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة فى صلح الحديبية وكذلك بينه وبين اليهود حينما هاجر من مكة إلى المدينة والمعاهدة بينه وبين نصارى نجران "

ومن ذلك ..المعاهدة التى أمضاها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع أسقف بيت المقدس حينما فتحها المسلمون فى عهده ﷺ ولقد كان صلى الله عليه وسلم وأصحابه أوفى الناس للعهود ولا أحد مثلهم فى احترام العقود وما نقض رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال حياته الشريفة عهداً وما تنكر من اتفاق اتفق عليه وإنما كان نقض العهود

---

(١) سورة الأسراء آيـة ٣٤ —

(٢) سورة الفتح آيـة ١٨.

له أو تتعقبه غير أن ما كان يهمس به أصبح حديث الأندية وغدا الرأى العام فى مكة يتابع أخبار الرسول ﷺ وحينما نزل قول الله تعالى "

" وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون " (1)

وجاءت لحظة المواجهه الحاسمة بين الرسول ﷺ وقومه ولقد سلك ﷺ فى إعلان الدعوة مسلكين :

المسلك الأول : أقام وليمة دعى إليها أربعين رجلاً من بنى جده عبد المطلب وبعد أن فرغوا .

قال ﷺ : (2)

" يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل ما جئتكم به ، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة ثم قال : من يؤازرنى على ما أنا عليه ؟ قال على : فقلت أنا يارسول الله وإنى أحدثهم سنا وسكت القوم ثم قالوا : يا أبا طالب ألا ترى ابنك ، قال دعوه فلن يألوا ابن عمه خيراً "

وحينما رأى من أهله صدودا وإعراضاً جمعهم مرة ثانية وقال: (3) " الحمد لله أحمده واستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن

---

(1) سورة الشعراء آيات ٥٤، ٥٥، ٥٦

(2) دلائل النبوة للبيهقى جـ٢ ص١٨٠

(3) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد جـ٢ ص٤٣٢

لا إله إلا الله وحده لاشريك ثم قال : إن الرائد لا يكذب أهلـــه والله لـو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت الناس ما غررتكم والله الذي لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة والله لتموتـــن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بمــا تعملــون ولتجــزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً وإنها للجنة أبداً أو النار أبداً ، وإنكم أول من أنذر ومثلى كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشى أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه "

ولقد آلان أبو طالب القول لرسول الله ﷺ وكذلك بعض قومه عدا أبى لهب الذى انبرى قائلاً

" يا بنى عبد المطلب هذه والله السوءة خذوا على يديـــه قبــل أن يأخذ على يديه غيركم فإن اسلمتموه حينئذ ذللتم وإن منعتموه قتلتم وهكـذا أفسد أبو لهب اجتماع الرسول بأهله

المسلك الثاني :

حيث وسع الرسول ﷺ دائرة الإبلاغ ليشمل أهل مكة كلهم روى البخارى ومسلم :

" أن الرسول ﷺ لما أنزل عليه " **وأنذر عشيرتك الأقربين** "

قام على الصفا فعلاً أعلاها حجراً ثم نادى : يا صباحاه فقـــالوا : من هذا ؟ وجعل الرجل إذا لم يستطيع أن يخرج يرسل رسولاً لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فاجتمعوا عليه فقـــال رســول الله ﷺ : إن أخبرتكم ان خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنــــتم

ثم اتبع ذلك إسلام على بن أبى طالب كرم الله وجهه لأنه تربى في حجر النبى ﷺ منذ طفولته منذ حلت بأبى طالب ضائقة مالية بسبب ما نزل بقريش من قحط وكثرة ما عنده من أولاد نزل فابصر على ﷺ النبى ﷺ وزوجه أم المؤمنين السيدة خديجة يصليان فقال ما هذا (١)

يا محمد؟ فقال رسول الله ﷺ :

" دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وكفر باللات والعزى . فكان رضى الله عنهم ثانى اثنين فى الاسلام وأول من أسلم من الصبيان ثم اتبع ذلك إسلام زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وخادمه ، وبعد ذلك تجاوزت الدعوة للإسلام نطاق بيت النبوة إلى دائرة أوسع قليلاً هى دائرة الأصدقاء فكان أبو بكر الصديق أول الأصدقاء مبادرة إلى الإسلام منذ أن ذهب للرسول ﷺ يسأل ويستفسر عما تهامست قريش به فقال : " أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا وتسفيهك عقولنا وتكفيرك أباءنا فقال رسول الله ﷺ : بلى إنى رسول الله ونبيه بعثنى لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق فوالله إنه للحق ، أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ولا تعبد غيره والمولاة على طاعته " فأسلم قال ﷺ " ما دعوت أحداً إلى الإسلام

---

(١) سبل الهدى الرشاد جـ ٢ ص٤٠٣

إلا كانت عنه كبوة وتردد ونظر إلا أبا بكر ما عتَّم منه حين ذكرته وما تردد فيه "(١)

وقد أسلم على يد أبى بكر رهط من أصحابه ومنهم :

عثمان بن عفان والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله "

وقد استمرت الدعوة الفردية السرية ثلاث سنوات دخل فى الإسلام أعداد قليلة كانوا هم النواة الأولى التى شرفت باعتناق دين الله وتحملت فى سبيله صنوف الإيذاء والآلام ولقد نجحوا خلال هذه الفترة الزمنية أن يستخفوا بدينهم وأن يكتموا عن قريش إسلامهم ، فأمنوا أذاها ردحاً من الزمن حتى تجاوبت أرجاء مكة المكرمة بالدين الجديد وتهامست قريش بذلك النفر القليل .

وهكذا كانت مرحلة الدعوة الفردية السرية مرحلة تكوين الفكرة وإبرازها وإعداد الصفوة وصقلها وتهيئة الأذهان والنفوس للإسلام تمهيداً لإعلان قريش والعالم بالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

ثانياً : الإعلان العام والجهر بالدعوة

بعد ثلاث سنوات من الدعوة الفردية السرية أصبح مجتمع مكة يتناقل أخبار الدين الجديد ويرقبون عن كثب أولئك المستضعفين وهم يلوذون بشعاب مكة المكرمة ويستترون فى دار الأرقم بن أبى الأرقم وقد أغمضت قريش أعينها عما يدور حولها وكأن الأمر أهون من أن تتصدى

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى جـ٢ ص١٢٤

سادساً : الخطابة والشعر

لقد كان العرب قبل الاسلام لسناً مقاويل أصحاب بلاغة وفصاحة وكانت حياتهم القبلية تقوم على الشهامة والمروءة والنجدة والمفاخرة والمنافرة والحروب التى تشتعل نارها لأوهى الأسباب ولقد عبروا عن حياتهم شعرا موزونا أو كلاما منثوراً .

ويصور الجاحظ فى كتابه البيان والتبين ما كان عليه العرب فى الجاهلية من فصاحة وبلاغة فيقول (١) .

" كان العصر الجاهلى وبخاصة قبل الاسلام ملحمة لقراع الألسنة وتصاول الفصحاء فى الأسواق الأدبية والمحافل الجامعة ولم يكن لأشرف القبائل وسادات العشائر عند تفاقم الفتن وتدافع الخصوم ولا الأبطال فى معمعة الحروب ولا للحكماء فى سعة الأمن أو ضيق الفزع ولا للأباء عند تصرم الأعمار . لم يكن لهؤلاء جميعاً بد من كلام مؤثر طويل يجذّون به قرون الفتنة ويردون الغوى عن الضلالة ويصيبون مقاطع الرأى ويصرفون الناس من قبله إلى السلامة" .

هذا ولقد كانت الخطابة والشعر مرآة صافية لحياة العرب وكانوا يلوون زمامهما نحو ما يعتقدونه من حياة جاهلية ولا سيما شعرهم الذين كانو ينشدونه فى المفاخرة بالأنساب وتصوير لحياة الصحراء وما يدور بين شعابها وقفارها وسهولها ووديانها من كرٍ وفرٍ وغارات يتغنون فيها

(١) البيان والتبيين جـ ١ ص١٢٦.

بالبطولة فى أشعارهم الذى بلغ من تقديسهم لها أنها كانت تكتب وتعلق فى جوف الكعبة ولذلك سميت بالمعلقات .

فلما جاء الاسلام أرتقى بالخطابة والشعر واتجه بهما نحو نصرة العقيدة والدفاع عن الاسلام وغدا كل منهما وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله .

هذا ولقد كان رسول الله ﷺ أفصح خلق الله لسانا وأوضحهم بياناً (١)

يقول الأديب أحمد حسن الزيات :

" إن بلاغة الرسول ﷺ من صنع الله وما كان من صنع الله تعجز موازين الانسان عن وزنه وتقصر مقاييسه عن قياسه لقد تجمعت فيه ﷺ خصائص البلاغة بالفطرة وتهيئات له أسباب الفصاحة بالضرورة . فقد ولد فى بنى هاشم ونشأ فى قريش واسترضع فى بنى سعد وتزوج من بنى أسد وهاجر إلى بنى عمرو وهم الأوس والخزرج وهذه القبائل التى تقلب فيها الرسول ﷺ هى بالإجماع أخلص القبائل لسانا وأفصحها بياناً وأعذبها لهجة ... وهذه الفصاحة لم تقتصر على لغة قريش ولكن تجاوزتها لتشمل اللهجات العربية فى أنحاء شبه الجزيرة العربية مما جعل الصحابة يعجبون من تلك الفصاحة .

---

(١) وحى الرسالة عدد يناير ١٩٤٨.

يقول الإمام على كرم الله وجهه : يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال ﷺ : " أدبنى ربى فأحسن تأديبى وربيت فى بنى سعد " .

هذا ولقد انعقد لواء الخطابة لرسول الله ﷺ ولأصحابه وغدت معلما من معالم الدعوة إلى الله ووسيلة متميزة من وسائل نشر الاسلام ولا سيما خطب الجمعة والعيدين والمناسبات الدينية كخطبة يوم عرفة وغيرها . وما من موقف من المواقف فى السلم أو خلال الغزوات وما من حادثة عبر مسيرة الدعوة إلا وكانت خطب الرسول ﷺ البليغة المؤثرة تهز أوتار القلوب وتذيب صدأ العقول وتلين المشاعر وتهذب النفوس وتاريخ الدعوة الاسلامية حافل بالمواقف التى حسمتها الكلمة المؤثرة والخطب البليغة والموعظة الحسنة .(1)

أما الشعر :

فقد اتجه به الاسلام اتجاهاً يختلف عما ألفته العرب فى أشعارها خلال جاهليتها من وصف للخمر وولع بشربها ، وتشبيب وغزل بالنساء ووصف لمفاتن المرأة وتصوير فاضح لأنوثتها ، مبالغة وإغراق فى المدح وقذع وإسفاف في الهجاء . والشعراء دائماً " أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة تتحكم فيهم مشاعرهم وتقودهم إلى التعبير عنها كيفما كانت ويرون الأمر الواحد فى لحظة أسود وفى لحظة أبيض . برصون

---

(1) يراجع كتاب جمهرة خطب العرب للأستاذ أحمد زكى صفوت وكتاب لتهدى فقه الخطبة والخطيب للمؤلف .

فيقولون قولاً ويسخطون فيقولون قولاً أخر أصحاب أمزجة لا تثبت على حال إنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها ويتخيلون أفعالاً ونتائج ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون بها فيقل اهتماهم بواقع الأشياء لأنهم يخلقون فى خيالهم واقعاً أخر يعيشون عليه " (١)

فلما جاء الاسلام وجد الشعراء يجوبون الجزيرة العربية لا يتركون شيئاً إلا تناولته ألسنتهم مما لا يتفق مع منهج الاسلام فنزل القرآن الكريم بكلمة الفصل فى قضية الشعر الجاهلى وما يتناوله من أغراض فقال تعالى : (٢)

" والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون "

واستثنى القرآن الكريم من هذا الوصف الشعراء الذين خالط الاسلام شغاف قلوبهم وامتلأت مشاعرهم وأحاسيسهم بهديه فاتجهوا بقصائدهم شطره قال تعالى:

" إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا"

ومنذ أن تنزلت هذه الآيات اتخذ الشعراء مساراً جديداً ينحصر فى التعبير عن الايمان والإشادة بالأعمال الصالحة .

---

(١) فى ظلال القرآن حـ١٩ ص١١٨ .

(٢) سورة الشعراء آيات ٢٢٤ - ٢٢٦ .

والمداومة على ذكر الله وترطيب الألسنة بمناجاته وحمده والثناء عليه ونزل الشعراء إلى ساحة حب الله ورسوله e وارتشفوا من هذا الحب وتباروا فى تجسيده وتمجيده خلال مسيرة الدعوة إلى الاسلام . كما أن هناك جانباً فى الشعر الاسلامى لا ينكر دوره ولا يجحد أثره حدده القرآن الكريم فى قوله تعالى :

" وانتصروا من بعد ما ظلموا " .

فغدا الشعر وسيلة من وسائل الدفاع عن الاسلام والانتصار له ودفع الشبهاتِ عنه ولا سيما بعد أن سمع الرسول ﷺ الشعر وأجازه .

فلقد استمع إلى كعب بن زهير وخلع عليه برديته ، واستمع الى شعر أمية بن أبى الصلت : " روى مسلم حديث عمرو بن الشديد عن أبيه قال : " ردفت رسول الله ﷺ يوماً فقال : " هل معك من شعر أمية بن أبى الصلت شيء " قلت : نعم " قال : هيه" فأنشدته بيتاً . فقال : " هيه " ثم أنشدته بيتاً فقال : " هيه " حتى أنشدته مائة بيت ولقد استكثر ﷺ من شعر أمية بن أبى الصلت لأنه كان حكيماً واحتوى شعره على الكثير من الحكم التى تتلاءم مع الفطرة التى جاء بها الاسلام ولذلك قال ﷺ عنه : " كاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم " (١)

ومن الشعراء الذين دافعوا عن الاسلام وانتصروا لرسول الله ﷺ حينما تعرض له بعض الشعراء من المشركين . حسان بن ثابت رضي الله عنه

---

(١) تفسير القرطبى ص٤٨٦١ ، ٤٨٦٢ .

الذى لقب بشاعر الرسول ﷺ ، وعبد الله بن رواحه ، وكعب بن مــالك وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لحسان : " هاجهم وجـبريل معك "

وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه انــه قــال للنبى ﷺ : إن الله عز وجل قد أنزل فى الشعراء ما أنزل فقــال النبــى ﷺ : " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذى نفس بيــده لكــأن ما ترمونهم به نضحَ النبل " .

فالشعر وسيلة راقية من وسائل الدعوة إلى الله . غير أنه فى هــذا العصر ضاع صوت الشعر الاسلامى وسط صخبِ وضجيــج الشــعر المعاصر الذى غلب عليه طابع ما قبل الاسلام من آثارة للغرائز ودعــوة للانطلاق الشهوات من خلال الأشعار المبتذلة والفن الرخيــص والأدب الداعر الذى أفسد الأزواق وانحرف بالسلوك من خلال ما تبثــه أجــهزة الإعلام . فضلاً على أن القائمين على أمر الدعــوة الاســلامية هيئــات رسمية أو جمعيات أهلية لا تولى الشعر الاســلامى العنايــة المرجــوة والاهتمام المطلوب فأقفرت ساحة الدعوة من وسيلة من وسائل الدعــوة إلى الله كان لها دور رائد فى نشر الاسلام والدفاع عنه .

هذا وإن النهوض بوسائل الدعوة يســتوجب أن نولــى إهتمامنــا بالأدب الاسلامى وأن نوجه مسار الشعراء نحو الاسلام ليدعوون إليه فى إشعارهم ويدافعون عنه فى قصائدهم وفى نفس الوقت على الدعاة إلــى الله أن يتذوقوا الشعر الاسلامى ويزينوا به خطبهم ومواعظهم مما يساعد

على ترقيق المشاعر والإرتقاء بالعواطف نحو الغيرة على الدين والحماس له والتضحية فى سبيله .

وتاريخ الدعوة الاسلامية يتلألأ بالعديد من الشعراء قديماً وحديثاً الذين جعلوا الاسلام قضيتهم وأولوه عنايتهم .

سابعاً : الجهاد فى سبيل الله

الجهاد فى سبيل الله أرقى مراتب الدعوة إلى الله واشرفها غاية وأنبلها قصداً

فهو ذروة سنام الاسلام ومعلم من معالمه الواضحة وهو سمة بارزة من سمات المسلمين ينفردون به ويتميزون عن غيرهم من أمم الأرض .

والجهاد فريضة محكمة أمر الله تعالى بها وحث عليها وبين فضلها ورفع المجاهدين إلى أعلى منزلة وأسمى الدرجات فلقد ورد لفظ الجهاد فى القرآن الكريم ثلاثين مرة وجاءت كلمة فى سبيل الله أربعاً وخمسين مرة تأتى مقترنة أحياناً بلفظ الجهاد وأحياناً بلفظ القتال .

والجهاد فى الاسلام لا يستهدف إحتلال أرض أو نهب ثروات أو إنتهاك أعراض أو التعرض لغير المقاتلين فهذه أموراً ينأى عنها ويترفع عن ارتكابها.

وإنما شرع الجهاد حينما استنفدت طاقة المسلمين فى الصبر على أعدائهم وتحمل أذاهم وإضطهادهم فى مكة المكرمة واستنفار قوى الكفر عليهم فى المدينة المنورة.

وحينما استقر الرسول ﷺ فى المدينة أرسى قواعد الدولـــة الاســلامية ونظم أمور الدعوة إلى الله بالوسائل والأساليب التى سبقت الإشارة إليها. ولقد بدأت قوى الكفر فى العالم تجمع فلولها وتحيك مؤامراتها وتــتربص بالاسلام وتتحرش به وتضع الحواجز والسدود التى تحول بين الاســـلام والشعوب .

ومن ثم جاء الأمر بالقتال بعد ممارسة كل الأساليب السلمية التــى جاءت فى القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ .

ولم يأذن الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ بالجهاد إلا أن بعــد أن مــرت الدعوة إلى الله بالمراحل التالية :

١. الصبر على أذى المشركين قال تعالى :

" واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً "[١]

٢. العفو والصفح قال تعالى[٢] : **" ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكــم من بعد إيمانكم كُفّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحــق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بامره إن الله على كل شىء قدير ".**

فقد تضمنت الآية الكريمة التزام منهج العفو والصفــح حتــى يــأذن الله بهدايتهم أو القتال .

٢.الجنوح للسلم وعدم البدء بالعدوان .

---

(١) سورة المزمل آية ١٠ .

(٢) سورة البقرة آية ١٠٩.

قال تعالى : " فإن اعتزلوكم فلمْ يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا "[1]

٤. دعوة أهل الكتاب إلى التحاور والتجادل من خلال القاسم المشترك الذى يجمع بين الأديان جميعا من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ

قال تعالى :[2]

" قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقل اشهدوا بأنا مسلمون"

٥. مشروعية الجهاد فى سبيل الله دفاعاً عن الاسلام وصداً للعدوان .

شرع الجهاد دفاعاً عن النفس وردعاً للظلم وتحريراً للشعوب ونشراً للاسلام وتاميناً للدعوة والدعاة قال تعالى :[3]

" أذن للذين يُقَاتَلُون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله "

وقال تعالى : " فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم"[4]

---

(١) سورة النساء آية ٩٠.

(٢) سورة آل عمران آية ٦٤ .

(٣) سورة الحج آية ٣٩ ، ٤٠.

(٤) سورة البقرة آية ١٩٤ .

وبتحقق العدوان على المسلمين فى الأحوال التالية : ،

أولاً : أن يبتدىء العدو بقتال المسلمين بأن يتحرك لغزو الأقطار الاسلامية وإحتلالها فإذا ما اتضحت نيتهم فى إضمار الشر بالمسلمين وبدؤا يستعدون للتحرك صوب ديار المسلمين هنا يجب على المسلمين التصدى لهم والمبادرة إلى مهاجمتهم ورد كيدهم إلى نحورهم.

قال تعالى:(١)

" **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين** "

ثانياً : أن يضطهد العدو المؤمنين المقيمين فى أرضه ويحاول أن يفتنهم عن دينهم كما يحدث للأقليات المسلمة فى العالم من تنصير وقتل وإبادة كما حدث فى فلسطين والهند وفلبين وكشمير وروسيا والبوسنة والهرسك .

فيجب حينئذ على المسلمين فى كل أقطار الأرض أن يهبوا لإنقاذ إخوانهم المسلمين المستضعفين من الإبادة قال تعالى :(٢)

" **وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا إخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا * الذين آمنوا يقاتلون فى**

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٣ .

(٢) سورة النساء آية ٧٥ ، ٧٦ .

سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا"

ثالثاً : نكث العهود والمواثيق إذا ما عقد المسلمون عهداً بينهم وبين غيرهم من الأمم غير المسلمة كتحديد الحدود وتأمين الرعايا بين دولتين وتنظيم التجارة والاتفاق على احترام الاسلام وعدم التطاول عليه أو إلحاق الأذى بالمسلمين وجب حينئذ احترام هذه العقود وعدم نكثها فإن نقض المتعاهدون العهد مع المسلمين وغدروا باتفاقاتهم ولم يفوا بالتزاماتهم نحو الاسلام حينئذ يصبح قتالهم واجبا شرعاً.

قال تعالى :(١)

" وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون "

٦. الاستعداد والتعبئة الروحية والقتالية فى سبيل الله .

إن الجهاد فى الاسلام ليس حماساً موقوتاً وليس اندفاعا غاضبا أهوجا فالاسلام لا يقصد الحرب لذاتها لأنها بغيضة ومدمرة قال تعالى :(٢)

" كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون "

---

(١) سورة التوبة آية ١٢.

(٢) سورة البقرة آية ٢١٦.

فالقتال بين ظلال الاسلام جهاد نبيل وغرض شريف ينطوى على الخير بالإنسانية كلها ولذلك كان الأمر بالاستعداد والتعبئة المعنوية يقصد به ما يلى :

أولاً : ردع العدو وإلقاء الخوف فى قلبه وأن يتملكه الفزع والهلع من قوة المسلمين فلا يفكر فى غزوهم واستباحة ديارهم ومن ثم لا يجرؤ على العدوان ويضطر للجنوح للسلام قال تعالى :[1]

" **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون * وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم** "

لذا جاء الأمر فى القرآن الكريم بالنفير وإعلان التعبئة قال تعالى :[2]

" **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** "

وجاء الأمر بأخذ الحذر والحيطة حتى لا يفاجأ المسلمون باقتحام عدوهم لديارهم قال تعالى :[3]

" **يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا** "

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٠ ، ٦١ .

(٢) سورة التوبة آية ٤١.

(٣) سورة النساء آية ٧١.

ومع هذا النفير والتأهب والاستعداد فإن الرسول ﷺ يوجه المسلمين إلى عدم تمنى لقاء العدو .

فعن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يوم حنين

" لا تتمنو لقاء العدو فإنكم لا تدرون ما تبتلون به منهم فإذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم وقلوبنا وقلوبهم بيدك وإنما يغلبهم أنت "

ثانياً : إذا لم تجد الوسائل السابقة فى ردع الكافرين والقاء الرعب فى قلوبهم قبل تحركهم صوب ديار المسلمين فيصبح الجهاد فرض عين على المسلمين وتصبح التعبئة المعنوية والقتالية والحشد العسكرى وتطلع المجاهدين إلى إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة . وسيلة للضربة القاضية السريعة التى تفقد العدو صوابه وتربك صفوفه وتفسد خططه ومن ثم تحسم المعركة لصالح الاسلام والمسلمين فى اسرع وقت وبأقل الخسائر .

هذا وإن عن الحديث والجهاد وأحكامه وبيان مكانة المجاهدين فى سبيل الله

وما لهم من فضل عند الله وإبراز أداب الحرب فى الاسلام مما جاء به القرآن الكريم واحتوته السنة النبوية المطهرة ليحتاج إلى مؤلف خاص غير أننا فى هذا المقام نعرض للجهاد فى سبيل الله كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله يتعاون ويتناسق مع الوسائل التى أشرنا إليها مما يعمل

على التمكين لدين الله فى الأرض وتأمين الدعوة وتطبيق شرع الله وحرية إقامة شرائعه قال تعالى : [1]

الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور "

ولا يتم التمكين إلا بالجهاد فى سبيل الله بالمال والنفس وغير ذلك .

هذه - عزيزى القارئ - بعض وسائل نشر الدعوة إلى الله وهناك وسائل أخرى نشير إليها فى إيجاز :

١. القدوة الحسنة والأسوة الطيبة

٢. الترفع عن الدنايا والتخلق بأخلاق الاسلام .

٣. حسن المعاملة فى البيع والشراء وكافة المعاملات .

٤. بذل النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من كل مسلم أياً كان موقعه ومهما كانت مسئوليته .

٥. تطويع المجتمع سياسياً واخلاقيا وثقافيا وإعلاميا واقتصاديا للاسلام . عقيدة وعبادة وتشريعا فهذه خير وسيلة للدعوة إلى الله .

٦. تطبيق الحدود وإقامتها كحد الزنا والسرقة وحد الحرابة والردة والخمر والقذف لكى ينضبط سلوك المجتمع وتتلاشى مظاهر الجريمة والانحراف وبذلك يتميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات بالأمن والإيمان وطهارة السلوك ونظافة اليد .

هذه الأمور كلها هى وسائل نشر الاسلام

---

(١) سورة الحج آية ٤١ .

منهج الدعوة إلي الله

لقد شهد القرن العشرون كما هائلا من العلوم والمعارف التى تشمل كل جوانب الحياة الانسانية وقد نتج عن هذه الكثرة الاتجاه إلى التخصص فى كل علم من العلوم بل إن العلم الواحد تعددت فيه أنواع التخصصات .

ولقد تضافرت جهود العلماء والباحثين على تقعيد القواعد ، وإرساء المناهج ، وتوضيح الوسائل للوصول المنشود فى كل علم .

ولقد انتشرت الدعوة الاسلامية عبر مسيرة التاريخ انتشارا ذاتيا لتوافق تشريعات الإسلام مع الفطرة الإنسانية ولأن الله تكفل بحفظ القرآن الكريم ليكون منهجا كاملا للدعوة والدعاة وأيضا جهد الأمة الإسلامية الذى عمل على نشر الإسلام .

غير أن الدعوة الإسلامية تعيش فى هذه الأيام فى منحنى خطير ، فالأعداء يتربصون بها من كل جانب ، وقد نجحوا فى تطويق ديار الإسلام واحتوائها كالأخطبوط سياسيا ، واقتصاديا وثقافيا ، وتم لهم هذا بالإعداد الجيد والخطط المدروسة ، والإمكانيات المادية المتاحة ، يقابل هذا فى ساحة الدعوة الإسلامية عفوية السير والارتجال ، وعدم التخطيط والتنظيم فالواجب على الدعاة أن ينطلقوا بالدعوة الإسلامية خلال القرن الخامس عشر لهجرى بمنهج وأسلوب يختلف عما كانوا عليه ايان القرن الرابع عشر الهجرى ولا سيما مناهج إعداد الدعاة فى كليات أصول الدين بالأزهر

وسوف يتضمن هذا البحث الأمور التالية.

أولا: تحديد الأهداف

إن كل شيء في الكون يسير وفق غاية مقصودة وهدف منشود خلقه الله لذلك ، وإن النظام البديع الذي يبدو من مرآة الكون يدل على ن كل ذرة من ذرات هذا الوجود حدد الله لها نظاما تسير على منواله ، وعين نها هدفا تعمل على تحقيقه.

والداعي إلى الله يجب عليه أن يحدد الهدف من دعوته وتحديد الهدف يجعل الداعية محدودا في كلماته منطقيا في إقناعه يصل إلى وجدان المدعوين وقلوبهم من أقرب طريق

وإن ما يحدث في ساحة الدعوة الآن من عدم تحديد الأهداف ووضوحها ، وتشتيت ذهن المستمع في موضوعات شتى وأمور متنوعة تجعله ينصرف عن الداعي لأنه لم يستفد شيئا إذن فتحديد الهدف وتوضيحه من أولى عوامل نجاح الدعوة والدعاة

ولقد حدد الله سبحانه وتعالى الهدف من خلق الانسان والجان فقال تعالى[(١)] : **" وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين "**

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦ – ٥٨.

وحدد القرآن الكريم هدف الإنسان فى الكون وأرشد إلى رسالته فى الحيـاة قال تعالى[1] : " قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العـالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين " وهذا خطاب للرســول ﷺ والأمة تتدرج فى هذا الخطاب .

ولقد حدد رسول الله ﷺ الهدف من رسالته منذ بدء الدعوة فى مكة ، وذلك حينما وقف على جبل الصفا ينادى أهله وعشيرته قائلاً

إنّ الرائدَ لا يكذب أهله ، والله الذى لا إلهَ إلاّ هو إنى رســولُ اللهِ إليكم خاصة ، وإلى الناس عامة ، واللهِ لتموتُنّ كما تنامون ، ولتُبعثُنّ كمــا تستيقظون ، ولتحاسبُنّ بما تعملون ، وإنها لجنة أبدا أو لنارٌ أبدا "

وهكذا حدد الرسول ﷺ الهدف من دعوته منذ اللحظة الأولى لبــدء الدعوة ولم يتزحزح قيد أنملة عن هذه الأهداف حتى تحققت جميعها خــلال مراحل الدعوة .

ثانيا: تنظيم الأهداف

كما ذكرنا أن الاسلام خلال هذا العصر لا يواجه عدوا تقليدياً كأعداء صدر الاسلام ، ولكنه عدو من نوع خطير ، عدو أتيحت له كــل الوســائل التى تمكنه من السريان فى الجسم وإبادة الخصم البشــرى ، فيملــك عقلــه

---

(١) سورة الأنعام آيــة ١٦١ - ١٦٢.

وارضه . وذلك بالإعداد الدقيق الذى ينظم أهدافه ، ويعد دعاته إعداد جيـدا مع إتاحة كل الإمكانيات المادية لتحقيق أهدافه فى القضاء علـى الاسـلام ويقابل هذا فى الساحة الإسلامية فوضى الدعاة وعـدم تنظيمـهم وتشـتت مجهوداتهم ، فنرى فى ميدان الدعوة العديد من الهيئات والجمعيـات التـى تنتمى إلى الدعوة ثم نجد محصلة ذلك لا شىء بجانب مـا يحققـه أعـداء الإسلام .

فنجد فى لساحة الأزهر الشريف الذى يضم جامعة الأزهر والوعـظ والإرشاد والمعاهد الدينية ومجمع البحوث الإسلامية ثم نجد وزارة الأوقـاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ثم المجلس الأعلى للطـرق الصوفيـة ثم الجمعيات الإسلامية المعلن عنها وغير المعْلنَ عنها ، كل هذا الجم الغفير فى مضمار الدعوة يسير بدون تنظيم للأهداف وتحقيـق للآمـال ، وعـدم وضوح الرؤية أمام الدعوة والدعاة ، ولهذا فإن مقومـات نجـاح الدعـوة والداعية ، وضع برنامج زمنى لتنظيم الأهداف ووضع الأولويات ، وتحديـد ما ينبغى تحقيقه على الفور ، وما هى الآمال التى تحُقق على المدى البعيد ، وان يتدرج الداعى مع المدعوين ، ويأخذ بيدهم برفق وأناة .

ولكى يتحقق ذلك فلابد وأن يقف طالب الدعوة على منهج الرسل فى الدعوة إلى الله من خلال قصصهم فى القرآن الكريم ، ولاسيما منهج رسـول الله محمد ﷺ فى الدعوة إلى الله خلال مراحل الدعوة فى مكة والمدينـة ، وكيف تدرجت مراحل هذه الفترة فى إعداد رائع وتنظيم دقيق يوحى بـه الله

لرسوله ﷺ هذا ولقد نُظمت الدعوة وتتابعت أهدافها فى حياة الرسـول ﷺ ، ولقد قسم المرحوم د/ محمد بن فتح الله بدران مراحل الدعوة الاسلامية إلـى ما يلى .

المرحلة الأولى

من بدء الوحى فى غار حراء حتى قوله تعالى[1]

"وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنيـن ، فإن عصوك فقل إنى برىء مما تعملون "

المرحلة الثانية

تبدأ من لحظة وقوفه على الصفا يدعو بدعوة التوحيد

المرحلة الثالثة

تبدأ بقوله سبحانه[2]

" **فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين** " .

وهذه المرحلة من أخطر مراحل الدعوة إذ تمت المواجهـة القويـة والشجاعة من الرسول ﷺ وأصحابه الذين لا يملكون سوى سلاح الإيمـان والصبر ، وأعداء الدعوة الذين يملكون كل وسائل القهر والتعذيـب ولقـد

---

(١) سورة الشـعراء ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦

(٢) سورة الحجر آيـة ٩٤ . .

استمرت تلك المرحلة حتى الإسراء والمعراج

المرحلة الرابعة

تبدأ من الإسراء والمعراج حتى الإعداد للهجرة ، ولقد نُظمتْ الدعوة خلال تلك المرحلة تنظيماً دقيقاً نجحت من خلاله فى الانتشار حتى وصلت إلى يثرب والقبائل العربية المجاورة

المرحلة الخامسة

تبدأ من الهجرة وتأسيس المجتمع المسلم على قواعد ثلاثة وهى :

١. علاقة المسلم بخالقه وذلك من خلال بناء مسجد قباء ومسجد الرسول فى المدينة

٢. توثيق العلاقة بين المهاجرين والأنصار والمؤاخاة بينهم

٣. توثيق العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب من خلال عقد معاهدة بين المسلمين واليهود وبين نصارى نجران

المرحلة السادسة

وتبدأ من إعداد المسلمين للدفاع عن الدعوة والانتقال بهم من مرحلة الأمن والصفح والعفو حتى عن المسيء ، والصبر وتحمل الأذى إلى مرحلة الاستعداد للدفاع وردع العدوان ، وكسر شوكة الكافرين وذلك من خلال السرايا والغزوات التى أعدها الرسول ﷺ

١ – أنها أمة داعية إلى الخير قال تعالى : (١)

" **ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون** "

٢– وهى خير أمة بما تحمله من دين الله وبما أوجبه الله عليها من تبليغه ونشره وهى الحارسة الأمينة على كل معروف والعين الساهرة التي ترصد كل منكر وتتعقبه وتنهى عنه وتحذر منه قال تعالى : (٢)

" **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** " .

٣ – الأمة الشاهدة شهادة صدق وحق على الأمم السابقة ومواقفها من أنبيائها قال تعالى : (٣)

" **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** " .

٤ – أمة راكعة ساجدة عابدة وفاعلة للخير مجاهدة في سبيل الله ومختارة من بين أمم الدنيا لتنال شرف اجتباء الله لها وتسمية الخليل إبراهيم عليه السلام لها وشهادة الرسول ﷺ عليها .

---

(١) سورة آل عمران آيـة ١٠٤.

(٢) سورة آل عمران آيـة ١١٠.

(٣) سورة البقرة آيـة ١٤٣.

قال تعالى [1]

" يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول عليكم شهيداً وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولٰكم فنعم المولى ونعم النصير "

ومنذ أن صدع الرسول ﷺ بدعوة الإسلام والتف من حوله الصحابة الأخيار رضوان الله عليهم ومن تبعهم عبر القرون والأمة الإسلامية تتقدم مسيرة الإنسانية بوحي السماء ومنهج الأنبياء وسلوك الأتقياء تقود سفينة الإنسانية التي تتقاذفها أمواج الشر وتعصف بها عواصف الفتن . وتكسر شوكة الكفر وتنزل به الضربات الموجعة القاتلة حينما يشمخ بأنفه ، ويكشر عن أنيابه . وتحرر الأمم والشعوب من ظلم العباد واستعباد الطغاة وتخرج الناس من ظلام الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم وهي في سبيل ذلك في حالة نفير دائم واستعداد مستمر تحقيقاً .

لقوله تعالى : [2] " انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون "

---

(١) سورة الحج آية ٧٧ - ٧٨.

(٢) سورة التوبة آية ٤١.

حتى في عصور ضعف هذه الأمة وتكالب الأعداء عليها فإنها لم تهمل تبليغ الدعوة ونشر الإسلام بل قيض الله لها من الأفراد والهيئات وبعض الحكام والعلماء من يبذلون الجهد لنشر الإسلام .

والإنسانية الآن وهي تقف على مشارف القرن الواحد والعشرين تشهد القرن العشرين يلفظ أنفاسه وتغرب شمسه ويجمع رحاله غير مأسوف عليه لهي أحوج ما تكون إلى الإسلام لينقذها من فساد العقيدة وضلال العقول وتحلل الأخلاق والعالم الآن يمد يده كالغريق للأمة الإسلامية لتنشله من بحار التيه وعواصف الفتن . ولتنقذ البقية الباقية من إنسانية الإنسان التي افتقدها خلال القرن المنصرم الذي اتسم بالمعالم والملامح التالية .

١ - اصطلت البشرية في العقد الأول من هذا القرن وفي منتصفه الأول بحربين عالميتين أزهقت فيها أرواح ما يربو عن الخمسين مليونا من البشر فضلا عما خلفته الحرب من دمار رهيب وهلع وفزع لمن اشترك فيها أو عاصرها من الشعوب ولا سيما بعد إلقاء القنبلتين الذريتين على مدينتي هيروشيما ونجازاكي باليابان أثناء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م.

ولم يكن العالم الاسلامى بمنأى عن هذه الحروب بل اصطلى بلظاها ولفحته نارها لأنه كان يخضع للاحتلال من قبل الدول المشتركة في الحروب وما كادت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها ألا وتنشب حروب مدمرة اكتوى المسلمون بنارها فنشبت حرب فلسطين بين العرب

واليهود الذين تمكنوا بمساعدة الدول الأوروبية وأمريكا من إنشاء دولــة إسرائيل والتي بدأ التخطيط لها والتآمر لإقامتها في مدينة بال بسويســر عام ١٨٩٧ برئاسة اليهودى هرتزل وما أعقب ذلك من اتفاقيـــات بيــن الدول الأوربية بتقسيم العالم الاسلامى كإتفاقية سيكس - بيكو عام ١٩٠٤ ، ووعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بإنشاء وطن لليهود بفلسطين عــام ١٩١٧م وما أعقب ذلك من سقوط الخلافة الاسلامية فـــى تركيـا عــام ١٩٢٤ وإبعادها عن الاسلام وقطع صلتها بالعالم الاسلامى على يد كمال أتاتورك ثم نشبت الحروب فى فلسطين أعوام ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٣ .

تمكنت اسرائيل وحلفاؤها من هزيمة العرب باستثناء حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر التى تحقق فيها العبور العظيم واقتحـــام خط بارليف وكسر شوكة جيش اسرائيل الذى لا يقهر .

ولقد كان آحد أسباب الهزيمة هو إبعاد الاسلام عـــن إدارة هـــذا الصراع الذى تمتد جذوره إلى فجر الدعوة الاسلامية واستدرج العـــرب طوعا وكرها ليدخلوا هذه المعارك باسم القوميـــة العربيـــة أو الوطنيـــة او تراب الأرض ولقد جاءت اتفاقية السلام والتى لم تكتمل نهايتها بعـــد تبعد الاسلام تماماً عن حسم هذا الصراع بل تعمل اسرائيل على ضـرب الصحوة الاسلامية المعاصرة تحت مسمى مكافحة الارهاب والتطرف.

كما شهد هذا القرن مآسى الحرب بين المسلمين وغـــيرهم وبيـــن المسلمين وبعضهم البعض فكانت حرب اليمن عام ١٩٦٢م والتى أقحمت فيها مصر واستمرت سنوات عدة وكانت هى العامل الرئيسى فى هزيمـــة

مصر أمام اسرائيل عام ١٩٦٧م كما نشبت الحرب بين الهند وباكستان تمخضت عنها هزيمة باكستان وانقسامها إلى دولتين : باكستان وبنجلاديش ، كما دارت رحى الحرب بين العراق وإيران استمرت زهاء عشرة أعوام وما كادت تضع أوزارها حتى فاجأ حاكم العراق العالم بالغزو المدمر للكويت فنشبت حرب الخليج وهزمت العراق هزيمة نكراء وما زال الشعب العراقي يحصد رعونة حاكمه وفرض القيود والاغلال عليه وفق قرارات الامم المتحدة ومجلس الأمن .

كما شهدت هذا القرن حروب التحرر والاستقلال في الجزائر وفيتنام والعديد من بلدان أسيا وأفريقيا .

وهكذا اصطبغت أعوام هذا القرن بدماء الأمم والشعوب وكانت دماء المسلمين أرخصها دماء وأكثرها غزارة ومع غروب شمسه وأفول نجمة تدفقت دماء المسلمين فى البوسنة والهرسك فى حرب إبادة بشعة وتصفية للمسلمين وقف العالم الغربى منها موقف المتفرج المغتبط ووقف العالم الاسلامى مقيد الاغلال لا يملك سوى الشجب والاستنكار وما لحق بالمسلمين فى البوسنة والهرسك لحق بالمسلمين فى الشيشان حينما بطشت روسيا بالشعب المسلم غير أن إرادة الله كتبت لشعبي البوسنة والشيشان النصر ورد المعتدين .

مما سبق يتضح مدى حاجة البشرية للاسلام ليضمد جراحها ويكفكف دموعها ويحقق لها-الأمن والأمان والسلام الذى افتقدته خلال قرن من الزمان .

٢- سقوط الشيوعية وإنهيار الإتحاد السوفيتى

لقد كان القرن العشرون قرن الشك والإلحاد وإبعاد الدين عن المجتمعات الانسانية وعزله عن واقع الحياة والتحلل من الفضائل والانغماس فى الرزائل ولم يعد الإيمان باليوم الآخر يشغل ذهن العالم . كل هذا بسبب بعض النظريات والمذاهب والفلسفات التى علا صوتها وارتفع شأنها خلال القرن العشرين والتى كانت وقعها إليما وحصادها مدمرا على فكر الانسان وسلوكه وكان من أخطر تلك المذاهب نظرية كارل ماركس فى الاقتصاد : والتى تقوم على الايمان بالمادة دون غيرها وتفسر التاريخ البشرى تفسيرا ماديا وتسقط هذه النظرية من سجل الانسانية تاريخ الانبياء والرسل فكفرت بالأديان وتنكرت لوحى السماء وعملت على استئصال الدين ولا سيما الإسلام . فلقد قامت الثورة البلشفية فى روسيا عام ١٩١٧م ومنذ ذلك التاريخ حتى سقوط الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م .

بإبادة جماعية للمسلمين استشهد قرابة العشرين مليون مسلم وحرموا على مَن عاش ممارسة شعائر الاسلام واقتسم الاتحاد السوفيتى والويالات المتحدة الامريكية العالم خلال القرن العشرين وبسطا نفوذهما على الهيئات الدولية كالأمم المتحدة ومجلس الأمن ونشبت الحرب الباردة بينهما ووقع العالم الاسلامى تحت نفوذهما . وبعد أربعة وسبعين عاما من الحكم الشيوعى والذى كان يرزح تحت استبداده وقهره قرابة المائة مليون مسلم شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى وفق سنته الكونية التى

المرحلة السابعة

نبدأ من فتح مكة وحتى انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى

وفي هذه المرحلة تتابعت التشريعات لبناء الدولة على هدى من الله ، وخلال هذه الفترة نظم الرسول ﷺ شئون المسلمين الدينية والدنيوية ، وجاء بكل التشريعات التي تتضمن استمرار الإسلام وخلوده .

هذه المراحل نموذجاً كاملاً لتنظيم الدعوة وتحقيق اهدافها والتي تحققت يقول الله تعالى :

اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا (١)

وعلى من يتصدى للدعوة إلى الله أن ينظم أهدافه ويوضح أغراضه ويضع برنامجاً زمنياً لكل هدف آخر وبذلك يستطيع الدعاة أن يصمدوا في وجه أعداء الإسلام ويحققوا أهداف الدعوة الإسلامية

(١) سورة المائدة آيـة٣.

ثالثاً: التعرف على أحوال المدعويين

من مناهج الدعوة أن يكون الداعية على ادراك كامل وإحساس صدق بأحوال البيئة التى يمارس الدعوة فيها ، وأن يتعرف علـــى مشــاكل مــن يدعوهم فإن لكل تجمع مشاكله وقضاياه

فمشاكل المجتمعات الزراعية تختلف عن مشاكل الطبقات العاملـــة ، وما يفكر فيه المثقفون يختلف عما يفكر فيه الفلاحون والعمـــال . فالداعيـــة يخاطب كل جماعة وفق تفكيرها وتصورها وهو بهذا السلوك يســـتطيع أن يكون مركز استقبال لنبض الأمة وإحساسها ، والمعبر عن آمالها وآلامـــها بعرض مشكلة من المشاكل على بساط البحث الأسلامى ويقدم الحل لها مـــن مفهوم إسلامى صادق ، فمثلاً يعانى المجتمع المصرى مشاكل خانقة ومعقدة كمشكلة الإسكان وما يتفرع عنه من مشاكل اجتماعيـــة كـــالأنصراف عـــن الزواج وانتشار الانحراف الجنسى والخلقى

والمشكلة الإقتصادية التى ينتج عنها خراب الذمم وفساد الضمـــائر ، وانتشار الرشوة والاختلاس والتعامل بالربا وما يتبع ذلك من تفاوت طبقـــى وظلم اجتماعى يؤدى إلى فتن لا يعلم إلا الله منتهى أمرها

وسط هذه الأجواء المكفهرة والملبدة بغيوم المشاكل الاجتماعية يـــأتى صوت الدعوة الإسلامية من خلال توجيهات وإرشادات الداعية معبراً فـــى صدق وإخلاص كيف تذوب تلك المشاكل بين ظلال الإسلام وهدى القـــرآن

وسنه محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكى يثمر الداعى فى دعوته ويتحقق يهدف من رسالته فعليه أن يعرف أنواع المدعويين ليخاطب كل قسوه بمــ بين قلوبهم ويأخذ بأيديهم نحو الإسلام ، ولقد قسم الدكتور عبد الكريم زيدان فى كتابه (أصول الدعوة) أصناف المدعويين على النحو التالى :

١. الملأ : وهم أشراف القوم وقادتهم وخلال دعوات الأنبياء نجد هذه الفئة هى التى تتصدى للدعوة خوفاً على سلطانها :

قال تعالى [(١)]

" وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون ، وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين "

وقال تعالى [(٢)]

"وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد ، ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق "

ويرجع معاداة تلك الفئة لدعوات الأنبياء والمرسلين إلى تخلقهم بالصفات التالية:

١. الكبر ٢. حب الرياسة والجاه ٣. الجهالة

---

(١) سورة سبأ ٣٤ ، ٣٥

(٢) سورة ص ٧

والداعية لأمثال هؤلاء يجب أن يكون ذكيا فيعظهم بـــدون تجريـــح أو تطاول ويمكنه سرد قصص القرآن الكريم فى دعوات المرسلين وتصـدى تلك الفئة للدعوة مبينا عاقبة أمرها

٢- جمهور الناس

وهم أكثر استجابة للدعوة والدعاة إذا ما أحســـن العـرض وصـــح القصد، وكان الداعى لله قدوة حسنة واستطاع أن يملـــك نواصـــى القلـوب بحسن حديثه وروعة بيانه وعامة المسلمين ليسوا على وتيرة واحدة فمنـــهم المحافظون على الأسلام فتكون الدعوة إليهم ببيان فضلهم عند ربهم وحســـن مكانتهم فى الدنيا والآخرة

ومنهم جماعة خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، فهؤلاء يدعون إلـــى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة حتى يغلب العمل الصالح العمل السـىء ، وتوجد جماعة انحرفت عن طريق الخير وتمكن الشـيطان مـن نفوسـها فارتكبت المحرمات وعاثت فى الأرض فسادا ، وأمثال هـــؤلاء يبصـــرون بذنوبهم ويوضح لهم مغبة ارتكاب المعاصى ثم يكـــون الوعيـد الشـديد ، واستحضار مشاهد يوم القيامة ولا سيما ما يتعلق بالعصاة من عذاب السعير، وفى نفس الوقت لا يوصد أمالهم باب الأمل فى مغفرة الله فيوضح الداعـــى أن باب السماء مفتوح لمن يطرق أبواب رحمة الله تائبا مستغفرا " فـــالداعى ينظر إلى العصاة نظرة إشفاق ورحمة فهو يراهم كالواقفين على حافـــة واد

عميق سحيق في ليلةٍ ظلماءَ يخاف عليهم من السقوط ويعمل جهده لتخليصهم من الهلاك (1)

رابعاً : التعاون بين العاملين في ميدان الدعوة

لقد شهد القرن الرابع العشر الهجرى موجات عاتية من الاحتلال العسكرى والغزو الثقافى والضغط الاقتصادى على ديار الإسلام وفى الوقت الذى تختلف فيه الكتلة الشرقية والغربية فى وجهات النظر السياسية الإقتصادية ، وتقوم الحرب البادرة بينهما إلا أنهما يلتقيان على هدف واحد وهو تطويق الإسلام والقضاء عليه وتقسيم العالم الإسلامى إلى مناطق بين الكتلتين ، ولقد كان من الواجب إزاء تلك الغزوات الاستعمارية أن يتحد الدعاة جميعا ويقفون صفا واحد فى وجه أعداء الإسلام

غير أن الساحة الإسلامية تشهد تمزقا فى ميدان ادعوة مما أضعف اليقظة الإسلامية المعاصرة وتمزق الجهد الإسلامى بين اختلاف دعاته واجتماع أعدائه عليه

وحينما نلقى نظرة على ساحة الدعوة نجد هيئات عديدة تعمل فى مضمار الوعظ والأرشاد وهذه الهيئات هى :

---

(1) أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان ص٣٦٤.

الأزهر الشريف ويشتمل علي

(أ) إدراة الوعظ والإرشاد : ووعاظـــها ينتشـــرون فـــى المراكـــز والمحافظات

(ب) مجمع البحوث الإسلامية : ويتولى الإشراف علـــى الدراســات الإسلامية ، وتغطيه مطالب الدول الإسلامية من علماء الأزهر

(جـ) المعاهد الأزهرية : والتى تضم المئات من علمـــاء الأزهـــر وهؤلاء لا تقل لهم ميدان الدعوة إذ يقتصرون على مهام التدريـــس فقـــط ، ولا يمارس الوعظ والإرشاد إلا القليل منهم

٢- وزارة الأوقاف

وهى تتولى الإشراف على المساجد والأنفاق عليها وتدبير الأئمة لـــها ، ومساجد الأوقاف تمثل نسبة ضيئلة من مساجد مصر

٣. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

٤. الطرق الصوفية

٥. الجمعيات الإسلامية

وهى جمعيات عديدة ما يتبع منها الشئون الاجتماعيـــة قرابـــة ألـــف وخمسمائة جمعية دينية وخيرية غير أن من يعمل فى حقـــل الدعـــوة منـــها لا يتجاوز أصابع اليد ، وهى (الجمعية الشرعية - جماعة أنصـــار الســـنة المحمدية ، جمعية العشـــيرة المحمديـــة - جمعيـــة الشـــبان المســـلمين -

جماعة الإخوان المسلمين)

هذه الهيئات والجمعيات التى تنتسب إلى الدعوة لله غير أنهم يختلفون فى المناهج والوسائل وهم متفرقون ومتنازعون وتشهد ساحة لدعوة صرع فكرياً بين لجميع . وتراشقاً بالكلمات فيما بينهم ، وتعمق الخلافات فى الأمور الفرعية هذه الخلافات حصرت جهد الدعاة بين اروقة لمساجد فقط ، بينما تركت المدارس والجامعات ، والمصانع بدون توجيه دينى ، وتربية إسلامية صحيحة فحدث فراغ دينى لدى الشباب ، فاستولت عليه التيارات الإلحادية وجنح البعض للتطرف ، وتكفير المجتمع.

من خلال هذا العرض السابق يتضح ما يدور فى ساحات الدعوة والدعاة من خلافات تحول دون اليقظة الإسلامية المنشودة .

ولهذا يجب أن يكون من منهج الدعوة التعاون بين العاملين فى هذا المضمار ، والتنسيق بين تلك الهيئات وذلك باتباع المناهج التالية .

١. أن تنأى الهيئات العاملة فى ميدان الدعوة عن الخلافات الفرعية التى انغمست فيها طوال القرن الرابع عشر ، وأن يوضع أمام الجميع منهج القرآن والسنة فى الدعوة إلى الله .

٢. ألا تقتصر الهيئات العاملة فى ميدان الدعوة على الوعظ والإرشاد فحسب ، ولكن يجب عليها أن تقتحم ميدان العمل الاجتماعى من خلال رؤية صادقة لمشاكل المجتمع كمشكلة الإسكان ، وعزوف الشباب عن الزواج وفساد الذمم

٣. الإهتمام بالطفولة وعلى الأزهر أن يحبب المسلمين فى إدخال أبنائهم الأزهر منذ المرحلة الابتدائية ، وهذا خير مما يحدث الأن وينتج عنه كارثة فى ميدان الدعوة ، لا تخفى على أحد.

٤. يجب على الأزهر أن يكون راعى حركة الدعوة الإسلامية وأن تستظل كل الهيئات والجمعيات بظله الوراف ، وهذا يستوجب على الأزهر ، وأن يصدع بكلمة الحق فى كل القضايا السياسية والاجتماعية وأن يحسم الخلاف فى الأموية الفقهية التى تثير نزاعا بين الدعاة ، وأن يضع الأزهر ميثاق عمل لدعاته نابعا من منهج الدعوة من القرآن والسنة وأن يحث علماءه على البعد عن البدع والتقاليد التى تعارف عليها المجتمع ، وهى ليست من الدين فى شىء.

٥. فى امكان الأزهر أن ينظم دراسات فى الدعوة للراغبين فيها من أبناء المسلمين من مختلف التخصصات ويجيز لهم بعد الدراسة أن يدعوا إلى الله ، وهذا يقضى على الفوضى فى ميدان الدعوة وتتلاشى كل صور التجرؤ على دين الله ممن تستهويهم رغبة الدعوة وهم لا يملكون مقوماتها.

هذه بعض مناهج الدعوة والدعاة

ما ينبغى أن يكون عليه بيت الداعية وأسرتة

إن حياة الداعى إلى الله مرآة صادقة لما يدعو إليه وإن قوة شخصيته تكمن فى تأثيره على من ينتسبون إليه بصلة الرحم أو النسب أو المصاهرة ، وبيت الداعية هو حقل التجارب الأولى لدعوته ، وأولى ثمرات غرسه فيه تنبثق القدوة الحسنة ، والاسوة الطيبة فهو بيت الأمة يقصده القاصى والدانى ، فيشعر بظلال الإسلام بين جنبات هذا المنزل ، ويحس بحرارة الإيمان تسرى بين أهله ولن يتأتى إلا بالتربية الإسلامية لمن فى هذا البيت .

ولقد أعد الإسلام منهجا كاملا لتربية الأسرة فى القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ ، وذلك من خلال القواعد التى نوجزها فيما يلى :

قوامة الرجل علي أهله

لكى تستقيم الأسرة وتشع السعادة بين رحاب المنزل المسلم فلابد أن يمارس الرجل ما خلقه الله من أجله وما يتانسب مع طبيعته وفطرته وهو أن يتولى شئون بيته وأن يراعى أسرته وأن يحسن توجيه زوجته وأبنائه نحو الإسلام . قال تعالى

" الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ،(١)

(١) سورة النساء آية ٣٤.

وبما انفقوا من أموالهم"

والقوامة الحقة تثمر ثمرا طيبا كما أخبر الله تعالى فى آخر الآية السابقة " فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله "

(١)

وقال تعالى

" ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم"

وهذه الدرجة ليست درجة للتسلط أو الإذلال للزوجة ولكن درجة تحمل المسؤلية وأعباء الحياة. قال ﷺ:

" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الأمام راع ومسؤل عن رعيته ، والرجل فى أهله راع وهو مسؤل عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسؤلة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسؤل عن رعيته ، فكلكم راع ومسؤل عن رعيته "

١. حسن معاشرة الزوج لزوجته ، واحترام الزوجة لزوجها إن اسمى رابطة بعد الله ورسوله هى الرابطة الأسرية قال تعالى :

"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم

---

(١) سورة البقرة آيــة ٢٢٨.

مودة ورحمة . إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون (١)

والمودة والرحمة ينبعان من خلال حسن المعاشرة والأحترام المتبادل بين الزوج وزوجته ، وبهذا يصبح المنزل واحة فيحاء ، وروضة غناء.

قال الله تعالى : (٢)

" وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا "

وبهذا الفهم قال عمر بن الخطاب لرجل وقد هم بطلاق زوجته بدعوى أنه لا يحبها فقال له أو كل البيوت بنيت على الحب ؟ فأين الرعاية والذمم ؟ ولا تقوم المعاشرة على أساس المصالح المادية واستغلال كل طرف للآخر ، بل تقوم على البذل والتضحية من الآباء ، والطاعة والبر ، والإحسان من الأبناء. ومن حسن المعاشرة والانفاق دون إسراف أو تقتير

قال رسول الله ﷺ : (٣)

" إذا انفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها [أى يقصد بها وجه الله

---

(١) سورة الروم آيـة ٢١.

(٢) سورة النساء آيـة ١٩.

(٣) رياض الصالحين ص١٤٤.

تعالى والتقرب إليه] فهى صدقة له "

ولقد حدد الرسول صلى الله وعليه وسلم حقوق الزوجة وذلك فيما روى عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه : قال : " أن تطعمها إذا طعمت ، وإن تكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ، ولا تهجر إلا فى البيت .

(حديث حسن رواه أبو داود)

هذا وكما امر الإسلام الزوج بحسن المعاملة والمعاشرة أوجب على المرأة طاعة زوجها ، والتزام أوامره فى حدود طاعة الله عزوجل ، قال ﷺ " خير متاع الرجل زوجة صالحة إن نظر إليها سرته ، وإن امرها أطاعته ، وإن غاب عنها حفظته فى بيته وماله"

وعن معاذ بن جبل ﷺ ، عن النبى ﷺ قال : [1]

لا تؤذى إمرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك دخيل [أى ضيف ونزيل] يوشك أن يفارقك إلينا .

٣- حمل الأهل على فرائض الإسلام

حينما يقف الداعي بين الناس خطيبا أو محاضرا يدعو المسلمين إلى

---

(١) المصدر السابق ١٤٣.

فرائض الإسلام فاذا كان أهله ملتزمين بها ومحافظين عليها فسوف يتسعر بالغبطة والرضا لأنه نجح كقدوة حسنة لأهله ، ومن ثم يسهل على المسلمين اتباعه .

أما حينما يكون هناك انفصال بين الداعي وأهله هو فى واد وهم فى واد آخر ، فحينما يتكلم عن موضوع ما يشعر باحباط نفسى ، وتمزق وجدانى ، ومن ثم تخرج الكلمات منه ميتة بلا روح فيها ولاعاطفة فيقل تاثيرها وينعدم جدواها.

ولهذا يجب على الداعية أن يبدأ بأهل منزله لأداء شعائر الاسلام .

قال تعالي **"وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى"**(١)

ولقد كان من دعاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام " رب اجعلنى مقيم الصلاة ، ومن ذريتى ، ربنا وتقبل دعاء "(٢)

وقال الله تعالى عن النبى إسماعيل عليه السلام فى القرآن الكريم :

"واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا

---

(١) سورة طه آيــة ١٣٢.

(٢) سورة ابراهيم آيــة ٤٠.

· وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا (١)

وقال ﷺ : "مروا أولادكم بالصلاة ، وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنسن ، وفرقوا بينهم فى المضاجع (٢)

٤- أن يلزم الداعى أهله بآداب الإسلام

الإسلام بكل فرائضه ، وتشريعاته دعوة إلى مكارم الأخلاق ، ولو ذهبنا نفرد كل خلق بالكتابة عنه لطال بنا المقام . غير أنه مما يجب التنويه عليه أن الداعى الى الله ملزم بحمل أهله على آداب الإسلام ومنها على سبيل المثال لا الحصر.

١. حقوق الجيران

٢. آداب الطريق

٣. آداب الاستئذان داخل البيوت

٤. آداب المأكل والمشرب داخل البيت ، والمعاملة بين من فى المنزل

٥. سلوك لزوجة والأبناء فى الطريق العام ، وداخل المنزل ، ولقد ذكرت سورة النور العديد من تلك الاداب

---

(١) سورة مريم آية ٥٥

(٢) رواه أبو داود حسن صحيح.

وبهذا السلوك الإسلامى الملتزم يكون بيت الداعى إلى الله بالقدوة الطيبة والأسوة الحسنة . وعليه أن يقتدى بخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاشرته لأهل بيته كزوج لأمهات المؤمنين رضى الله عنهن ، وكان يحنو على أبنائه ويقول .

{ خيركم ، خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى }

وعن أنس بن مالك قال :

" خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لشىء فعلته لم فعلته

وبهذا يتألف بيت الداعى بين ظلال الإسلام ، وهدى القرآن ، وسنة محمد عليه الصلاة والسلام

أساليب الدعوة إلى الله

إن أشرف عمل وأسمى هدف وأنبل رسالة هـــي الدعـوة إلـــى الله وإن رسل الله ما ارتفع شأنهم ، ولا خلد ذكرهم إلا بالدعوة ، والمقصود بهذا الشرف الرفيع ينبغى أن ينهج نهج الأنبياء والمرسلين فى الدعوة إلى الله.

فالدعوة ليست عملا مرتجلا ولا انفعال موقوتا ولا عاطفـــة جيَاشـــة تثور أحيانا ثم تهدأ أحيانا أخرى وإنما هى فن الإقناع بأسلوب يستحوذ علـــى القوب ويستولى على المشاعر ، ويأخذ بالألباب .

هى كيفية التعرف على علل النفوس وأمراض المجتمعات فيشـــخص الداء ويصف الدواء من ينابيع الإسلام الصافية ، يخـــاطب بـــه المســـلمين فتسرى الموعظة فى نفوسهم سريان الروح فى الجسد ، فينتـــج عـــن هـــذا الارشاد الديني والتربية الاسلامية التشبع العقلى والانفعال الوجدانى بالاسلام فيلتزم المسلم بالاوامر الإلهية ويتجنب النواهي ، ويتغلغل فى أعماقـــه تلـــك الأسس التى ذكرها الرسول ﷺ فى قوله :

" ثلاثٌ من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكـــون الله ورســـوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يلقى به في النار "

فالداعى مهمته الوصول إلى القلوب بأقصر طريق وبأقل كلمـــات ، وعليه أن يتابع من يدعوهم ، فلا يقول كلمة ويمضي ، ولكنه يقول ويلاحـــظ

ويتابع رواده كالزارع الذى يتعهد زرعه حتى يثمر وينضج .

أما حينما يقول الداعى كلمته ويمضى هو ومن يستمع إليه كل إلــــى حال سبيله فإن الرابطة تزول بمجرد سماع الخطبة والموعظة ، ولا يعـــدو الأمر سوى شهوة كلام ولذة استماع فحسب .

إن الداعى إلى الله ليس إنسانا محدود الثقافة أو قليل التجارب بل هــو شخص موهوب ذو ملكات خاصةوقدرات معينة لا تتسنى لكثير من الناس .

وإن الانسان ليتأمل ويتعجب ثم يتحسر حينما تضع كليتـــا الحربيــة والشرطة شروطا دقيقة ، وقيودا صعبة لا تنطبق إلا على القليل ممن يريــد أن يلتحق بهما ، وكليتا الطب والهندسة تختاران نوابغ الطلاب ونبهاءهم بينما للأسف كلية أصول الدين أو اللغة أو الشريعة يســـاق لــها الكثــير ممــن لا يملكون من وسائل الدعوة شيئا ، وهذا هو الواقع المؤلم ، ومن يخفيـــه ، أو يتستر عليه فهو ظالم لنفسه وللدعوة وللدعـــاة ، هــذا ولكى يتحقــق ما نرجوه ونتمناه ، ويزول ما نتألم منه ونتحسر عليه فينبغـــى أن نوضــح أساليب الدعوة ، وهذه الأساليب لايزعم أحد أنه ابتكرهـــا أو تفلســف بــها أو اخترع قواعدها بل هى موجودة فى القرآن الكريم وبين ريــاض الســنة النبوية الشريفة ، وأساليب الدعوة فى القرآن والسنة تحتاج إلى كتاب خـاص ومنهج كامل غير أننا نسوق لأبنائنا الطلاب بعضا من تلك الأساليب علـــى سبيل المثال لا الحصر ومنها ما يلى :

أولاً: الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

يحدد القرآن الكريم أسلوب الدعوة الذى يعتمد على الحكمة فى القول وحسن الموعظة والمجادلة بالتى هى أحسن.

قال تعالي : " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ، وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولاتك فى ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون"[1]

يقول الأستاذ سيد قطب : " يرسم الله المنهج للرسول الكريم ، وللدعاة من بعده .. فلننظر فى دستور الدعوة الذى شرعه الله فى القرآن الكريم ، إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله لا لشخص الداعى ولا لقومه ، فليس للداعى من دعوته إلا أنه يؤدى واجبه لله والدعوة بالحكمة ، والنظر فى أحوال المخاطبين وظروفهم ، والقدر الذى يبينه لهم فى كل مرة حتى لا يثقل عليهم ، ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها والطريقة التى يخاطبهم بها ، والتنويع فى هذه الطريقة حسب مقتضاياتها ، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة فى هذا كله وفى سواه.

---

(١) سورة النحل آيات ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨.

بالموعظة الحسنة : التى تدخل إلى القلوب برفق وتتعمق بالمشاعر بلطف لا بالزجر والتأنيب فى غير موجب ، ولا يفضح الأخطاء التى قد تقع عن جهل أو حسن نية ، فإن الرفق فى الموعظة كثيرا ما يهدى القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة ويأتى بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ.

وبالجدل بالتى هى أحسن

بلا تحامل على المخالف ولا تزيل له وتقبيح حتى يطمئن إلى الداعى ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة فى الجدل لكن الإقناع والوصول إلى الحق .

فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها وهى لاتتنزل عن الرأى الذى يدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة وسرعان ما يختلط على النفس قيمة الرأى وقيمتها هى عند الناس فتعتبر التنازل عن الرأى تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها.

والجدل بالحسنى هو الذى هدهد من هذه الكبرياء الحساسة ويشعر المجادل أن ذاته مصونة وقيمته كريمة ، وان الداعى لا يقصد إلا كشف الحقيقة فى ذاتها ، والاهتداء إليها فى سبيل الله لا فى سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأى الآخر ، ولكى لا يغالى الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآنى إلى أن الله هو الأعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو الأعلم بالمهتدين فلا ضرورة للجاجة فى الجدل أما البيان والأمر بعد ذلك لله

هذا هو منهج الدعوة ودستورها مادام الأمر فى دائرة الدعوة باللسان

والجدل بالحجة ، أما إذا وقع الاعتداء على أهل الدعوة فإن الموقف يتغير ، فالإعتداء عمل مادى يدفع بمثله إعزازا لكرامة الحق ، ودفعا لغلبة الباطل على إلا يتجاوز الرد على الاعتداء حدوده إلى التمثيل والتقطيع فالإسلام دين العدل والاعتدال ، ودين السلم والمسالمة أنما يدفع عن نفسه وأهله البغى ولا يبغى.

"وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به "

وليس ذلك بعيدا عن دستور الدعوة فهو جزء منه فالدفاع عن الدعوة في حدود القصد والعدل يحفظ لها كرامتها وعزتها فلا تهون في نفوس الناس ، والدعوة المهينة لا يعتنقها أحد ، ولا يثق أنها دعوة الله ، فالله لا يترك دعوته مهينة لا تدفع عن نفسها ، والمؤمنون بالله لا يقبلون الضيم ، وهم دعاة الله والعزة لله جميعا ثم أنهم أمناء على إقامة الحق في هذه الأرض وتحقيق العدل بين الناس وقيادة البشرية إلى الطريق القويم فكيف ينهضون بهذا كله وهم يعاقبون ولا يعاقبون ؟ ويعتدى عليهم فلا يعتدون.

ومع تقرير قاعدة القصاص بالمثل فإن القرآن الكريم يدعو إلى العفو والصبر حتى يكون المسلمون قادرين على دفع الشر ووقف العدوان ، وفى الحالات التى يكون العفو فيها والصبر أعمق أثرا وأكثر فائدة للدعوة فأشخاصهم لا وزن لهم إذا كانت مصلحة الدعوة تؤثر العفو أما إذا كان العفو والصبر يهينان الدعوة ويرخصانها فالقاعدة الأولى هى الأولى ، ولأن لصبر يحتاج إلى مقاومة للانفعال وضبط للعواطف وكبت للفطرة فإن

القرآن يصله بالله ، ويزين عقباه .

" ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله"

فهذا الدين يعين على الصبر وضبط النفس ويوحى القرآن للرسول صلى الله وعليه وسلم وهي وصيته لكل داعية من بعده ألا يأخذه الحزن إذا رأى الناس لا يهتدون ، فإنما عليه واجب يؤديه ، والهدى والضلال بيد الله وفق سنته في فطرة النفوس ، واستعداداتها واتجاهاتها .. ومجاهدتها للهدى أو الضلال ، وألا يضيق صدره بمكرهم فإنما هو داعية لله ، فالله حافظة من المكر والكيد لا يدعه للماكرين الكائدين ، وهو مخلص في دعوته لا يبتغي من ورائها شيئا لنفسه ، وقد يقع به الأذى لامتحان صبره ، ويبطىء عليه النصر لابتلاء ثقته بربه ، لكن العاقبة مضمونه ومعروفة.

"إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"

(١)

ومن كان الله معه فلا عليه ممن يكيدون وممن يمكرون

هذا هو دستور الدعوة إلى الله كما رسمه عزوجل

---

(١) (ظلال القرآن) للمرحوم سيد قطب تفسير سورة النحل .

ثانياً: الدعوة إلي الله على علم وبصيرة

لقد اتضح من خلال تفسير آيات سورة النحل السابقة أن من أساليب الدعوة إلى الله ، الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

كذلك من وسائل الدعوة أن يدعو الداعى على علم وبصيرة تتسم بحصافة العقل ورجاحة الرأى.

قال تعالى [(١)]

" قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على وبصيرة أنا ومن اتبعنى"

ويتحدث المرحوم د/ محمد بن فتح بدران على بصيرة الدعاة فيقول:

" هى جماع العلم الواسع والبيان والساطع ، والبرهان القاطع ، والمعرفة القلبية ، والانفعالات النفسية والإدراك الواعى ، والفهم العميق ، والتغلغل فى نفوس المخاطبين " ولقد كان رسل الله رجالا ذوى بصائر مشرقة تتغلغل داخل الكيان البشرى وتغوص فى أعماق النفس الإنسانية فتكتشف ما بداخلها من علل وأمراض ، والأدلة على ذلك كثيرة ومنها.

١. حينما قال رجل لرسول الله ﷺ : عظنى وكان بالرجل حدة وغضب ، فقال ﷺ كلمة شافية أصابت مكمن الداء . قال له : " لا تغضب لا تغضب.

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٨.

٢. حيثما قدم رجل على رسول الله ﷺ يعلن إسلامه ، على أن الرجل لا يستطيع الامتناع عن تناول الخمر ، فعاهده صلى الله وعليه وسلم على عدم الكذب فكان هذا سببا فى امتناعه عن الخمر

والدعوة إلى الله حينما تكون على بصيرة ، وهدى تصل إلى مجامع القلوب وتتشرح بها الصدور ، وهى سمة من سمات الأنبياء والمرسلين (١)

والدليل على ذلك .

"عندما كلف الله موسى عليه السلام بدعوة فرعون وقومه سأل الله أشياء تعينه على أداء المهمة الشاقة "

١. سأل الله أن يشرح صدره لأداء الرسالة حتى تصبح عنده هواية ومتعة تهون معها الشدائد

" قال رب اشرح لى صدرى "

٢. وسأل تيسير الأمر وتذليل العقبات ومن ذلك تليين القلوب . وتحوينها بالعطف عليه ودفع الشدائد التى تعرقل السبيل ووقايته من كيد الكائدين .

٣. وطلب منه أن يحل عقدة لسانه ويرزقه الفصاحة والحكمة المؤثرة ليكون ذلك أعون على التأثير

" واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى " .

٤. وطلب رفيقا ومساعدا من أهله تتوفر فيه الثقة والأمانة " واجعل لى وزيرا

---

(١) كيف ندعو الناس للسيد الاستاذ عبد البديع صقر ص٣٧.



من أهلى هارون أخى أشد به أذرى واشركه فى أمرى ".

٥. وأوضح أنه مؤمن بربه راغب في رضاه " كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثير إنك كنت بنا بصيرا "

وعلى هذا الدرب ، درب البصيرة والهدى والتوفيق من الله ينبغى ان يكون أسلوب الدعاة .

أما حينما تكون الدعوة من غير بصيرة أو تؤدى على أنها وظيفة لارساله ، وتكليف لا تشريف ، فإنها تكون قليلة الأثر والنفع يروى أن رجلا قال للحسن البصرى كلاما حسنا غير أنه لم يتأثر به فقال له الحسن .

" **إما أن يكون بنا عيب أو بك إذا لم يؤثر ففينا قولك** "

مما سبق تتضح بعض أساليب الدعوة إلى الله التى جاءت فى القرآن الكريم وأقوال الرسول ﷺ وأفعاله وهى خير زاد للدعاة .

رابعاً: الحرص على تبليغ الإسلام ونشرة

الدعوة إلى الله ليست أمراً ثانوياً ولا شعوراها مشياً في تكوين الأمة وليست كلمات رنانة وخطب عصماء تلوكها الألسنة في المحافل ولا هدايا وجوائز تمنح في المناسبات إنها أعمق من ذلك وأعظم شأنا إنها جزء من كيان هذه الأمة، ومعلم من معالمها البارزة، وسمة من سماتها المميزة وركن أساسي من أركان معتقداتها بالانتساب اليها شرفت وبتبليغها بلغت ذرا المجد وارتقت مراقي الكمال قال تعالى:

" **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** " (١)

ولن يتحقق ذلك إلا حينما تعي الأمة الإسلامية خطورة أمانة الدعوة إلى الله وعظم مسئوليتها وأن يحرص المجتمع المسلم بكافة هيئاته ونظمه السياسية والثقافية والإعلامية والتربوية والتعليمية والاقتصادية على تبليغ الإسلام داخل أوطان المسلمين بالتفقه في الدين وتطبيق أحكامه وتحقيق مقاصده وإلى غير المسلمين بشرح الإسلام لهم وتأمين وصول الدعاة إليهم وإزالة المعوقات التي تحول دون تبليغ الإسلام ونشره بين الأمم سواء كانت هذه المعوقات بسبب جهل بعض المسلمين بدينهم وإساءة التصرف مما يشوه صورة الإسلام وينفر منه أو كانت هذه المعوقات بسبب الحقد الأسود والغل الدفين اللذان ينفثان في

(١) سورة آل عمران آية ١١٠.

صدور أعداء الإسلام تآمرا دائماً وعدوانـا مستمراً . فجهل بعض المسلمين بدينهم ، وحقد غيرهم عليهم يوجب على الدعاة الحرص الشديد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا الحرص ممتزج بالعقيدة الثابتة والعقل المفكر والقلب المطمئن والإصرار على تبليغ الإسلام مهما كانت العوائق والموانع وأن يتعامل الدعاة مع من يلتقون بهم أو يتحدثون إليهم بالرفق واللين . وأن يتحسسوا موطن أقدامهم ومواقع كلماتهم وحدود الرؤية عن حولهم ودراسة أحوال ونفسية من يخاطبونهم . فالدعوة لله ليست انفعالاً عاطفياً أهوجا وليست شعورا زائدا عاصفا ولقد عانى حقل الدعوة من الانفعال الأهوج والشعور العاصف ونجح أعداء الإسلام وبعض المسلمين الذين تربوا على موائد الاستشراق والتبشير والاستعمار في استدراج بعض أبناء المسلمين لعدد من القضايا والمواقف واستثارهم فيها فكان رد الفعل عنفا وقتلاً ودماء وأشلاءً مما ترتب على ذلك وضع الإسلام والمسلمين في قفص الاتهام والظن بهم ظن السوء وخرج الإسلام والمسلمون يلعقون جراحهم ويعتصرون آلامهم وأعداء الإسلام في فرحة غامرة وسعادة طاغية بما يدور بين المسلمين وقد بدأوا يجنون ثمار هذا الاستدراج والاستثارة فاصبح بعض الساسة يتوجسون خيفة من الإسلام ويضيقون الخناق على دعاته والبعض من الحكام ورجال الفكر العلمانيين) يريدون أن يحصروا الإسلام في دائرة العبادات فقط ويضيقون ذرعا ويتأففون من كل دعوة لصبغ الحياة الاجتماعية بصبغة الإسلام ولقد تحقق للأعداء ما أرادوه وخططوا له فأبعد الإسلام

تماماً عن القضايا المصيرية التي تواجه المسلمين في هذا العصر كقضية فلسطين ، وتهويد القدس والسلام مع إسرائيل وتطبيع العلاقة معها مع تآمرها المستمر وعدوانها الدائم وتطويع المسلمين للثقافة والأخلاق الغربية كل هذا بسبب عدم الحرص على توجيه الرأي العام الإسلامي توجيها سديداً يشعر من خلاله بحلاوة الأيمان وعظمة الإسلام كما تساهم أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة على تحقيق الأمور التالية:

١. تعزيز النزعات المادية لدى الإنسان والتوجه نحو شهوتي البطن والفرج ووأد التوجه الديني وقتل العاطفة الدينية .

٢. الترويج للإباحية والانحطاط الأخلاقي .

٣. تشجيع المرأة المسلمة على تقليد المرأة الأوربية في كل مظاهر حياتها .

٤. تعود المسلم على عدم احترام الوقت .

٥. إثارة دوافع الاستهلاك الترفي الذي يولد الحقد الاجتماعي والتفاوت الطبقي .

٦. تعميق الشعور بالتخلف لدى المسلم ودفعه لليأس بسبب ما يعرض عليه ويشاهده من نمط الحياة الغربية المترفة .

٧.الترويج للسلوك العدواني والعنف من خلال مشاهدة أفلام الجريمة .

٨. تعميق وقصر العلاقات الإنسانية على علاقة المرأة والرجل من خلال الحب والغرام والعشق والمخادنة وإضعاف العلاقات الأخرى

كعلاقة المسلم بالله سبحانه وتعالى وبالرسول ﷺ وعلاقته بتاريخ أمتـــه وقضايا وطنه وعلاقته بأقربائه وذوى رحمه وأصدقائه .

التعتيم الإعلامي على الإسلام ورموزه الذين تألق بـــهم تـــاريخ الإسلام وتلألأت بأعمالهم صفحاته في كافة الميادين والعمل على إبـــراز الفنانين والممثلين والممثلات ونجوم الكرة بحيـــث أصبحـــت صورهـــم وأعمالهم مستقرة في عقل الأمة ووجدانها وفى بـــؤرة شـــعورها بينمـــا السيرة العطرة والرجال الاماجد على هامش الشعور أو لا يعرف عنـــهم شىء .

وقد ظن القائمون على هذا التوجه الإعلامى أن هـــذا الأســـلوب يحول دون الشباب والتطرف الدينى أو يشغلهم عن القضايا الساخنة التى تشغل عقل ووجدان العالم الإسلامى ولكن ما حدث خلاف ذلك فإنه كلمـــا ازدادت البرامج التافهة الهابطة وكلما حيل بين الأمة ودينها فـــإن الأرض تتفجر بالفتن وتهتز بالعواصف وتتزلزل بالأحداث الدامية التى لم يشـــهد العالم الإسلامى لها مثيلاً خلال تاريخه القديم والحديث .

وهذه الأمور تستوجب من الدعاة عملاً دؤوبـــا وجـــهداً مخلصـــاً وخطوات متأنية لا إثارة فيها ولا انفعال . وحرصاً شديداً علـــى تبليـــغ الإسلام والدعوة إليه هذا الحرص يتحقق ويؤتى ثماره حينما يشعر الدعاة أن الدعوة إلى الله رسالة لا وظيفة ، ورغبـــة صادقـــة وتحركـــا ذاتيـــا لا تحكمها اللوائح ولا يقيدها الروتين ولا تقتصـــر علـــى الأقـــوال دون الأفعال . هذا الحرص وتلك الرغبة تؤتى أكلها كل حين بأذن ربها حينـــا

تخرج الكلمات من القلب خالصة ، وهادئة ، مقنعة شجاعة ، فلا يـــتردد في نصيحة خوفاً من ذى جاه . ولا تحبس الكلمات فى حلقة خوفـــاً مــن تقرير يكتب أو علاوة تمنع ، وهو فى كل هذا يــدرس ســاحة الدعــوة وأحوال المدعويين . ويستكشف أغوار نفوسهم وموطن عللــهم ومكمــن الداء فى سلوكهم ويعطى لكل موقف حقه فى الوعظ والأرشاد دون تزيـد أو نقصان ودون استثارة للفتن الهوج ودون تحريــك للخلافــات التــى تعصف بالمسلمين كما يجب على الداعى إلى الله أن يكــون ذو بصــيرة مستنيرة ورأى ثاقب ، وحكمة بالغة يضع الحكمة فى التربة التى يــرى أنها صالحة لتؤتى ثمارها أما النفوس القاحلة والقلوب المريضة والسلوك المعوج فلا يتسرب اليأس إلى نفسه مـــن علاجــهم ولا توهــن قوتــه ولا تضعف عزيمته من مواجهتهم بل يحرص كل الحرص على الألتفاف من حولهم وتطويقهم بالكلمة الطبية ، والموعظة الحسنة ويكــون كقــائد الجيش المحنك الذى يستطلع جيش أعدائه ويرصــد تحركاتــه ويبصــر ثغرات ينفذ إليه منها ليتمكن منه.

وكذلك الدعاة فهم جيــش الإســلام ســلاحهم الكلمــة الصادقــة والموعظة الحسنة والقدوة الطيبة وهـــم يواجــهون جيــوش الضُــلال والمضللين الذين مكن لهم فى الأرض وأتيح لــهم التوجيـه الاعلامــى المتسلح بالتقنية العلمية الحديثة و لامكانات المادية الهائلة لتـــى ســوف تتحطم شراعه وتتكسر نصاله وتقل شوكته إن شاء الله حينمـــ يخلــص الدعاة فى دعوتهم ويحرصون على تبليغ الإسلام ونشره مـــهما كــانت

السدد والصدود . لا تفتر لهم عزيمة ولا تلين لهم قناة ولا يتسرب إليهم بأس .

وإننا نضع أمام العاملين في حقل الدعوة حرص الانبياء وإصرارهم على تبليغ دين الله لأممهم وأقوامهم ومن ذلك :

١. نوح عليه السلام يتحدث القرآن عن إصراره وحرصه الشديد على هداية قومه وأنه لاحقهم بدعوته وحاصرهم برسالته أثناء الليل وأطراف النهار قال تعالى . (١)

" **قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً. فلم يزدهم دعائي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً** " .

٢. شعيب عليه السلام يعلن أن وجهته الإصلاح :

قال تعالى : (٢)

" **إن أريد إلاَّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب** " .

ويهدد قومه ويصر على دعوته قال تعالى : (١) " **ويا قوم اعملوا**

---

(١) سورة نوح آيات ٥-٩.

(٢) سورة هود آية ٨٨.

على مكانتكم إنى عامل سوف تعملون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هـو كاذب وارتقبوا إنى معكم رقيب "

٣. هود عليه السلام :

حينما هدده قومه أن آلهتهم التى يعبدونها من دون الله لن يسلم من أذاها وأنها قد مسته بالسوء , فجاء رد هود عليه السلام حازما وشجاعا لم يأبه بالتهديد ولم يضعف أمام الوعيد بل تبرأ من آلهتهم وأعلن تحديه لـهم أن يمسوه بأذى لأنه مؤمن بالله ومتوكل عليه قال تعالى (٢) :

" إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشـهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظـرون إنـى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتـها إن ربـى على صراط مستقيم " .

فعلى الدعاة أن يستضيئوا بما ذكره القرآن الكريم عن هـود عليه السلام وأن يسترشدوا بما ترشد إليه الآيات والتى نوجزها فيما يلى :

١. على الدعاة إلى الله أن لا يأبهوا بتهديد أو وعيد .

٢. البراءة من العادات والتقاليد والبدع والخرفات التى يعتادهـا الناس واستنكار ما يعانيه المجتمع من أوجه الانحراف والفساد .

٣. ألا يضعف الدعاة فى هذا العصر أمام كيداً أعـداء الإسـلام

---

(١) سورة هود آيـة ٩٣.

(٢) سورة هود آيـة ٥٤-٥٦.

أو جهل بعض أبنائه .

٤. توكل الدعاة على الله فى دعوتهم والإعتماد عليه هذا التوكـل والاعتماد يذيل أمام الدعاة العقبات ويذلل لهم الصعاب .

وعلى هذا الدرب تتابع الانبياء والمرسلون عبر مسيرة البشـرية يبذلون غاية جهدهم وأقصى طاقاتهم إلى توحيد الله وعبادته ويحرصـون فى تفان وإخلاص لأخراج أممهم من ظلال الكفر إلى نور الإيمان .

وحينما نرقب سير الدعوة الإسلامية التى شاد دعائمـها وأرسـى قواعدها وطبق مناهجها وأساليبها رسول الله ﷺ خلال الأحاديث النبويـة وعبر التطبيقات العملية من بدء الدعوة فى مكة المكرمة وارتفاع شـأنها وإعلان دولتها فى المدينة المنورة نرى أساليب نشـر الإسـلام تتمـيز بأسلوب فريد ومنهج متميز ، وأن الوصول إلى عقل الانسان وقلبه لـه طرق شتى ووسائل متنوعة سنوضحها فى المبحث التالى :

وسائل تبليغ الدعوة إلي الإسلام ونشرة

قبل ان نعرض لوسائل تبليغ الاسلام ونشر تعاليمه فإننا نضع فـى إيجاز القواعد الأساسية التى ترتكز عليها الدعوة الاسلامية وهذه القواعـد والأسس ضرورية وحتمية لانطلاق العمل الإسلامى المنظم سواء داخـل الوطن الاسلامى أم وراء حدوده وهى كما يلى :

١. الدعوة إلى الله تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والجـدل الحسن المحمود قال تعالى : (١)

" **أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** "

وهذا المنهج يشمل المسلمين وكذلك غير المسلمين من أهل الكتاب قال تعالى : (٢)

" **ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلمـوا منـهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن لـه مسلمون** "

٢. الدعوة إلى الله تقوم على البصيرة الواضحة ليلـها كنـهارها

---

(١) سورة النحل آيـة ١٢٥.

(٢) سورة العنكبوت آيـة ٤٦.

قال تعالى :[1]

قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين "

٣. الدعوة إلى الله تقوم على :

الرحمة قال تعالى :[2]

" فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا تفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين "

وقال تعالى :[3]

" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم "

اللين : قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام حينما أمرهما بالذهاب الى فرعون :[4]

" فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى "

---

(١) سورة يوسف آيـة ١٠٨.

(٢) سورة آل عمران آيـة ١٥٩.

(٣) سورة التوبـة ١٥٨.

(٤) سورة طـه ٤٤.

(١)

<u>اللطف والحذر وعدم الإثارة :</u> قال تعالى عن أهل الكهف :

" **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحد إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذا أبداً** "

٤. الدعوة الاسلامية تؤسس الايمان بوجود الله ووحدانيته بجانب وحى السماء ورسالات الانبياء على الأدلة العلمية والبراهين العقلية والتدبر فى الأنفس والآفاق فهى ترتكز وتعتمد على الأسس التالية :

(٢)

أ- العلم - قال تعالى :

" **قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون** "

(٣)

ب- التفكر - قال تعالى :

" **كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** "

(٤)

جـ- الفقه - قال تعالى :

" **قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون** "

---

(١) سورة الكهف آية ١٩ ، ٢٠.

(٢) سورة الأنعام آية ٩٧.

(٣) سورة يونس آية ٢٤.

(٤) الأنعام آية ٩٨.

(١)

د- الايمان - قال تعالى :

" إن فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون "

(٢)

هـ- السمع - قال تعالى :

" إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون "

(٣)

و- البصر قال تعالى :

" فاعتبروا يا أولى الأبصار "

(٤)

وقال تعالى :

" أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزّلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج "

---

(١) الأنعام آية ٩٩.

(٢) سورة يونس آية ٦٧.

(٣) سورة الحشر آية ٢.

(٤) سورة ق آيات ٦-١١.

(١)

ز - العقل : قال تعالى :

" إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون "

(٢)

ح - العمل المنتج المفيد فى الدنيا والآخرة قال تعالى :

" إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا

٥. الدعوة الاسلامية لا تقوم على :

(٣)

(أ) الإكراه : قال تعالى :

" لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى"

(٤)

وقال تعالى :

" ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين "

(ب) لا تقوم على العدوان :

(٥)

قال تعالى :

" وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين "

---

(١) سورة الرعد آيــة ٤.

(٢) سورة الكهف آيــة ٣٠.

(٣) سورة البقرة آيــة ٢٥٦.

(٤) سورة يونس آيــة ٩٩.

(٥) سورة البقرة آيــة ١٩٠.

(١)

(جـ) لا تقوم على الإساءة والتجريح لاعدائها قال تعالى :

" **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون**

(٢)

وعن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

" **ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللّعّان ، ولا الفاحش ولا البذئ** "

(رواه الترمذى وقال حديث حسن)

(د) لا تقوم على الأذى بكل أنواعه حسيا أو معنوياً للأحياء

(٣)

والأموات قال تعالى :

" **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثما مبيناً** "

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

" **لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا** "

رواه البخارى

(هـ) لا تقوم الدعوة الاسلامية على سوء الظن وتتبع عورات

---

(١) سورة الأنعام آيــة ١٠٨.

(٢) رياض الصـــالحين ص٥٥٣.

(٣) سورة الأحزاب آيــة ٥٨.

الناس والتجسس عليهم واغتيابهم أو السخرية منهم قال تعالى : (١)

" يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاثم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم "

وقال ﷺ :

" إنك إن تتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أوكدت تفسدهم "

رواه أبو داود بإسناد صحيح

(و) الدعوة الاسلامية لا تقوم على الغدر وترويع الآمنين وقتل المستضعفين وحمل السلاح والتهديد به .

عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال :

" لا يُشرْ أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده فيقع فى حفرة من النار "

(متفق عليه)

وقال رسول الله ﷺ :

من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع وإن كان

---

(١) سورة الحجرات آيـــة ١١ ، ١٢.

أخاه لأبيه وأمه "

(رواه مسلم)
( )

ومن وصايا الرسول ﷺ للمجاهدين فى سبيل الله :

" انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخاً فانيا . ولا طفلا صغيراً ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين "

(رواه أبو داود)

وكان أصحاب النبى ﷺ فى سفر فأخذ بعضهم من أخيه حبلاً وهو نائم فاستيقظ ففزع فقال ﷺ :

" لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً "

وقال ﷺ :

" من مر فى شىء من مساجدنا أو أسواقنا بنبل فليأخذ على نصالها لا يعقر بكفه مسلماً "

(رواه البخارى)

هذه بعض القواعد والأسس التى ترتكز عليها الدعوة الاسلامية فى تبليغ الاسلام ونشره .

هذا وإن ما يرتكب فى هذه الأيام من أحداث عنف مروعة فى بعض أقطار الاسلام كالجزائر وصعيد مصر والتى لم يشهد لتاريخ لها مثيلاً فى القسوة والانتقام أمر شاذ وغريب على المسلمين والاسلام منه

---

(١) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول جـ ٤ ص٣٦٧.

براء وإنه من الظلم البين للإسلام ومن الاساءة البالغة لدين الله أن ترتكب هذه الأعمال باسمه أو يقوم بها البعض تحت شعار الاسلام .

وإن على الساسة والزعماء ورجال الفكر وعلماء التربية وأجهزة الأمن والإعلام أن تبحث عن ظاهرة العنف المتبادل بين الدولة وبعض الجماعات . وليبحثوا وينقبوا عن الدوافع وراء هذه الفتن الهوج فسوف يجدون إن كان لديهم الشجاعة والاخلاص أن الاسلام يترفع عن العنف ويلعن الارهاب وأن هناك أسباب كامنة نشير إلى بعض منها :

١- الأصابع الخفية لأعداء الإسلام والمسلمين

التي تحرك الفتن لزرع الرهبة والخوف من الحكم بالاسلام ويضعون حاجزاً مخيفاً يحول بين الأمة ودينها وإن أصابع الاتهام تشير إلى دور المخابرات الامريكية والأوربية والموساد الاسرائيلي في حوادث العنف في العالم الاسلامي .

٢-جهل المسلمين بدينهم والفراغ الديني لدى الشباب

إن روافد الثقافة الاسلامية تكاد تجف وإن ينابيع التربية الدينية الصحيحة لم تعد تشفي عليلا أو تروي غليلا . فإن مواد التربية الدينية تقلصت في مناهج التربية والتعليم في المراحل الثلاث الأولى . وأوصدت تماماً في المرحلة الجامعية . كما أن أجهزة الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة اتجهت بإمكاناتها العلمية والمادية لتقرير النزعات المادية وإثارة الشهوات الجنسية وليس للبرامج الدينية سوى نافذة صغيرة ما تكاد تفتح إلا وتغلق وينعدم آثرها أمام السيل الجارف من البرامج

الهابطة والفن المبتذل . هذا بجانب تتضاؤل دور المساجد فى تعريف المسلمين بدينهم وذلك بسبب مقومات كثيرة سنفرد لها بابا خاصاً فى هذا الكتاب ففى غيبة الفهم الصحيح للإسلام تبذر بذور الفتن :

٣- التفاوت الإجتماعى والطبقى فى الامة

إن تنقل الأمة بين النظام الاشتراكى الذى طالت سنو ته منذ قيام الثورة عام ١٩٥٢ الى النظام الرأسمالى والإنفتاح الإقتصادى عقب حرب السادس من أكتوبر ٧٣ – العاشر من رمضان أدى إلى ظهور طبقة من الأثرياء الذين أبطرهم الغنى وأفسدهم المال فاتجهوا إلى الاستهلاك الترفى دون احترام لمشاعر ملايين الذين يعيشون على الكفاف وعدم مراعاة للشباب الذى تخرج من الجامعة وأوصدت أمامه ابواب العمل وفتحت للمحاسيب والمعارف والأقارب من ذوى المنصب والجاه وتلفت الشباب حوله فوجد آماله تحطمت وسنوات عمره ضاعت فى تعليم لم يجن ثماره فانقلب على عقبيه وقد امتلأ صدر البعض منهم غلاً أسودا وحقداً دفيناً على الدولة ومؤسساتها .

٤- إنفلات الزمام فى التحاور الفكري إلي التراشق بالسلاح

إن من أسباب العنف أن الأذان قد سدت عن كل دعوات التحاور الفكرى والمجادلة بالتى هى أحسن ودفع دعاة العلمانية والتغريب الذين يملكون أزمة الثقافة والتوجيه للرأى العام الدولة أن تبتعد عن ساحة الحوار بالكلمة وأوعزوا أن هذا تنازل واسقاط لهيبة الدولة ومن ثم تم تصعيد المواقف والعنف بين الدوله وبعض الجماعات وغدا الأمر ليس أمر إسلام ينتحلون اسمه ويستظلون سواء هؤلاء وهؤلاء برايته ولكن انقلب الأمر وانفلت الزمام وخرج إلى ثأر يصطلى أبناء الأمـة بلفظاه ويكتوون بناره وظلم الاسلام بتعاليمه وشرائعه ظلما بينا وأسىء فهمه بين العالمين وبدأت توضع السياسات وتعد الخطط والمؤمرات لتطويقه والاجهازى عليه ومنع انتشاره .

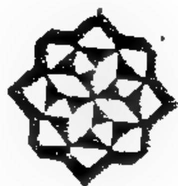
٥- التباطوء والتسويف فى تقنين الشريعة الإسلامية وتطبيقها

منذ الغزو الفكرى والاحتلال الأجنبى والشريعة الاسلامية بعيدة عن مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والتربوية ولقد أفلس الفكر الغربى والشيوعى فى تحقيق العدالة والأمن والرخاء وقد سبق أن أوضحنا حصاد الانسانية الأليم خلال القرن العشرين ومن ثم أصبحت الشريعة الاسلامية محط آمال المسلمين أفرادا وجماعات وهيئات ومؤسسات ومع إلحاح الأمة فى المطالبة بتطبيق الشريعة عير فإننا نجد التسويف والمراوغة والتعلل بأعذار واهية وأسباب مختلفة للحيلولة دون التطبيق الفورى أو حتى على مراحل واكتفى فى هذا المجال باللجان تعقد

والتوصيات تتخذ مما يثير حفظية البعض ويوغر صدروهم ضد الدولة .
وهم فى ذلك قد جانبهم الصواب . وامتطـوا مركـب العنـف و الغلـو
والتطرف . وهذا لا يقره الاسلام ولا يأمر به إطلاقاً كما على الدولـة أن
لا تصم أذانها عن الدعوة لتطبيق الاسلام فى مجالات الحيـاة المختلفـة
فهذا صمام أمن لها وقطع للذرائع والشبهات التى تلصق بها .

مما سبق يتضح ان ما يحدث فى أقطار المسلمين من فتن لا تمـت
للدعوة الاسلامية بصلة وأن وسائل الدعوة إلى الله اختط الرسول ﷺ لها
منهجاً وأرسى لها دعائم وأقام لها دولة .

الفكر المتطرف
أسبابه - آثاره - واجب الدعاة نحوه



ويشمل الفصول التالية :

١ - نشأة التطرف وأسبابه وظواهره .

٢ - الأمور التى تطرف فيها بعض الشباب

٣ - كيفية احتواء هذا الفكر وعلاجه .

الفكر المتطرف

لقد اتضح [illegible] فكر بعض الجمعيات الإسلامية التى كانت لها صفة رسمية زهاء نصف قرن أو يزيد وأبرزت آثارها إيجابا وسلبا على مسيرة الدعوة ، وإنه لمن موجبات البحث أن نتعرض لبعض الأفكار التى اتسمت بالغلو والتطرف لاسيما بين الشباب المثقف فإن هذه القضية من أهم القضايا التى تواجه الدعوة وترجع خطورة هذه القضية إلى الأبعاد الخطيرة التى تنجم عنها والتى حددها بعض الباحثين فيما يلى[1] :

١ ـ البعد الأول :

ما يصيب المجتمع وأبناءه ونظمه ومؤسساته من تعرض لآثار العنف الذى يصل فى حده الأقصى إلى درجة الهدم والتخريب الجماعى ومايصاحب هذا من هزات نفسية فى ضياع الأمن واهتزاز الاستقرار وانفتاح الباب لما لا يعلمه إلا الله من احتمالات الفوضى ومخاطر المجهول .

٢ ـ البعد الثانى :

ما يصيب الشباب نفسه من محنة تزهق فيها أنفس وتراق دماء ويفجع بها آباء وأمهات وتختلط على الآلاف فيها معالم الطريق وتصاب حولهم ملايين أخرى بالحيرة واضطراب الرؤية والضياع .

---

(١) الأهرام عدد ١٩٨٣/١/١٥ ص٣ . . للدكتور أحمد كمال أبو المجد .

٣ ـ البعد الثالث :

ما يصيب الدين فى كثير من النفوس من اهتزاز وما يؤدى إليه هذا العنف والصدام المتكرر بين فريق من المتدينين والدولة من الاعتقاد بوجود نوع من الحتمية بين الدخول فى طريق التدين والدعوة إلى الإسلام وبين الوصول للنهايات المحزنة وهو اعتقاد من شأنه أن يلقى ظلالا مؤسفة من الشك وسوء الظن بالمتدينين عموما وأن يضعهم فى موضع نفسى واجتماعى شاذ فهم متهمون حتى يثبتوا براءتهم .

ورغم هذا فإن الكتاب والباحثين لا يتعرضون لهذا الفكر إلا إذا تعرض المجتمع لبعض مظاهر العنف فيناقشون أصحابه بين أقبية السجون والمعتقلات حينا وفى الندوات العامة حينا أخر ، ثم تطوى صفحات التطرف والمتطرفين دون علاج حاسم ورأى سديد ، ولا تفتح ملفات هذا الفكر إلا على أصوات عنف جديد فيشارك فى الإدلاء بالرأى من يعى مشاكل الدعوة والشباب ومن لا يعيها ومن له بالإسلام صلة ونسب ومن لا صلة له بالإسلام سوى الاسم فقط ، لذا رأيت أن أفرد هذا الباب لتلك الدراسة الموضوعية التى تحتوى على الفصول التالية :





الفصل الأول
أسباب التطرف ومظاهره

هذا الفصل يتضمن موضوعات ثلاثة هي ما يأتي :

اليقظة الإسلامية بين الشباب :

إذا ما أريد للأمة الإسلامية أن تتبوأ أزمة القيادة والريادة كما أراد الله لها وكما جاهد الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم من أجلها فلا بد أن تعتمد على قاعدتين أساسيتين .

القاعدة الأولى :

عقيدة تؤمن بها وإسلام تحافظ عليه وشرع الله تطبقه .

القاعدة الثانية :

شباب يصون هذه العقيدة ويحيها ويرفع لواءها ويسترخص المهج والأرواح فى سبيلها .

فالعقيدة والشباب بينهما ترابط وثيق وازدواج كامل ولا يمكن الفصل بينهما والعقيدة بلا شباب نصوص تردد وتراث يحفظ وكلمات تلوكها الألسنة ليس لها فى دنيا الناس حياة ، والشباب بلا عقيدة قوة طائشة وكيان متآكل ومتهدم لايعرف له وجهة وليس له ولاء للدين أو الوطن . هذا ولقد أتى على الشباب حين من الدهر خلال العقدين الخامس والسادس من القرن الرابع عشر الهجرى فضل الطريق وتنازعته الأهواء وتلقفته أيد خبيثه وعقول ماكرة من شيوعية ملحدة وصهيونية غادرة وفاجرة وصليبية حاقدة ، فضلا عن أجهزة إعلام لم تحسن الرعاية والتوجيه

الإسلامى . فأفرغت عقول الشباب من الدين فأصبح التدين رجعية والإسلام جمودا والإلحاد تحررا والعبث بالمقدسات انطلاقا والانغماس فى الرذيلة مدنية وتطورا ، وأريد لهذا الشباب أن ينضوى تحت شعارات جديدة وبراقة وكان يدفع به ليهتف « شعب جيل جديد - حرية - اشتراكية وحدة ولكن مالبث هؤلاء الشباب أن استيقظوا على الحقيقة المؤلمة وهى :

أن ما ألقى فى روعهم كان سرابا خادعا لم يسفر عما يجيش فى صدروهم من آمال عراض فها هى ذى الأوطان تحتل والهزائم تتوالى ، والحرية تسجى والوحدة العربية تنفصم عراها والأزمات الاقتصادية تشتد وطأتها ولم يحصد الشباب سوى الندامة وخيبة الأمل ومن ثم استيقظ من داخلة داعى الإسلام يأخذ بيده وسط الركام والحطام وكان الشباب بين الأمواج الهادرة المتلاطمة يمد يده لمن ينشله قبل أن يغرق ولكنه لم يجد اليد الحانية التى تنشله من وهدة الانحراف وتضعه بين ظلال الإسلام وهدى القرآن وسنة محمد ﷺ ولم يعثر على الدعاة الصادقين المخلصين ليضيئوا له غياهب الظلمات فلم يجد بدا من تكوين جماعات إسلامية بين أروقة الجامعات ومن أوائل هذه الجماعات .

جماعة شباب الإسلام بكلية الهندسة "جامعة القاهرة :

أسست فى نوفمبر عام (١٩٧٢ م) ثم انتشر التيار الإسلامى فى معظم الجامعات المصرية فأصبح لكل كلية جماعة إسلامية نشطة ، ولقد نجحت تلك الجماعات فى الميادين التالية :

١ - الالتزام بالسنة والتأدب بأدب النبوة فى السلوك والمظهر .
٢ - إحياء سنن إسلامية كادت تندثر كصلاة العيد فى العراء وسنة الاعتكاف ، والسواك واقتفاء السنة فى العبادات وتجنب البدع والخرافات .
٣ - تطويع الأنشطة الطلابية فى الجامعات للخير العام ومن ذلك طبع لكتب والمذكرات الجامعية وإقراض الطلاب الفقراء وطباعة سلسلة من الكتيبات الإسلامية بسعر فى متناول أيدى الطلبة والطالبات .
٤ - إنشاء المعسكرات الإسلامية التى تختلف عن المعسكرات الترفيهية التى كانت تبتعد عن الخلق الإسلامى .

٥ ـ إقامة أسابيع إسلامية يحاضر فيها الدعاة ، وتعرض فيها الكتب الإسلامية .

٦ ـ انتشار الحجاب حيث استجابت الفتاة الإسلامية لداعي الإسلام فتركت التبدل والسفور بعد طول عهد به وترويج له منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجرى .

٧ ـ استطاعت الجماعات الإسلامية أن تتصدى للفكر الشيوعى ولدعاة العلمنة والتغريب الذين تربوا على موائد الاستشراق والتبشير .

٨ ـ نجحت تلك الجماعات فى تنمية الشعور الإسلامى وخلق رأى عام إسلامى مستنير بين أروقة الجامعات فى فترة وجيزة لم تحققه العديد من الجمعيات الإسلامية التى طال عمرها وعملها فى حقل الدعوة .

غير أن هذه الجماعات كان ينقصها القيادة الواعية والخبرة والتريث ، وكان الواجب على دعاة الأزهر وأجهزة الإعلام أن يسارعوا إلى الشباب ليوجهوهم إلى الخير ولكنهم تركوا الشباب يندفع بقوة وتهور فاتجهوا إلى النقد اللاذع والتهكم الصارخ والتطاول على السلطة فضلا عن بعض الأعمال التى اتسمت بالتسرع والاندفاع مما أدى إلى تقييد أنشطتها ، ثم وصل الأمر إلى إلغائها مما دفع بعض الشباب إلى الانتماء لجمعيات سرية كانت تباشر نشاطها خفية واستارا .

ومن أشهر تلك الجماعات جماعة أطلق عليها « جماعة التكفير والهجرة » وأطلقت على نفسها الجماعة المؤمنة أو جماعة المؤمنين ثم وُجِدَ على ساحة الدعوة جماعات كثيرة كجماعة الجهاد والتبليغ ، القطبيين ، الفرماوية مما يعجز عنه الحصر .

بعد هذا العرض الموجز لنشأة الجماعات الإسلامية بين أروقة الجامعات فإن من موجبات هذه الرسالة أن نقف على أسباب التطرف الذى يؤدى إلى ظاهرة العنف وإراقة الدماء لاسيما أن هذه الظاهرة فى نمو واطراد فبينما كان المشتركون من الشباب فى قضية الفنية العسكرية عام (١٩٧٤م) عددا قليلا يتضاعف هذا العدد فى قضية التكفير والهجرة عام (١٩٧٧م ثم يصل فى عام ١٩٨١م) إلى ما يربو على الألفين ممن انطبق عليهم قرار التحفظ والاعتقال .

وهذا نذير للدعاة لكى يتحركوا (لاسيما كليات الدعوة) لدراسة تلك الظواهر وأسبابها وطرق احتوائها . وإننى إذ أتجه لهذا بتوفيق الله فإنما أضع اللبنة الأولى فى

مضمار الدراسات العليا لهذه الدراسة أملا أن يتجه الباحثون إلى هذا الميدان الذى مازال بكرا رغم أهميته وخطورته .

أسباب التطرف :

قبل أن نذكر أسباب التطرف تبرز الأسئلة التالية :

١ - لماذا يتجه الشباب لتكوين جماعات سرية رغم وجود جماعات رسمية فى ساحة الدعوة كالجمعية الشرعية وأنصار السنة ، والشبان المسلمين ؟

٢ - لماذا لا يتحرك الشباب المتدين فى ساحة تلك الجمعيات ؟

٣ - لماذا تنصرف جموع الشباب عنها بل ويضطر البعض للتورط فى جماعات سرية ؟

أجاب عن هذا الأستاذ فهمى هويدى المحرر بجريدة الأهرام فقال :

« إن استعراض قائمة المؤسسات الدينية فى مصر يكشف عن حقيقة بالغة التأثير فى فاعليتها وهى أنها فى مجموعها تحولت إلى مؤسسات قطاع عام كلها تتبع الدولة بصورة أو بأخرى بل إن بعضها يتولى قيادتها ضباط سابقون، كلها صارت أجهزة رسمية أو شبه رسمية بينما نشاطها الأساسى فى الشارع وسط الجماهير ، ترتب على ذلك أن هذه المؤسسات تبنت دون اتفاق فكرا واحدا وشغلت نفسها بمخاطبة السلطة أكثر مما شغلت نفسها بالتحرك وسط الشباب بوجه خاص حتى أولئك الذين اتجهوا إلى الشباب فإن بعضهم كان يستهدف استخدام هؤلاء الشباب لأدوار معينة لهذه الأسباب عجزت تلك المؤسسات أن تتحول إلى ساحة حوار ينضج بالفكر الدينى يشد الشباب المثقف الذى يرفض السلبيات . ثم يستطرد قائلا :

لنصحح وضع المؤسسات الدينية ونعاملها بصورة تختلف عن معاملة المجمعات الاستهلاكية »

وبجانب ما ذكره الأستاذ فهمى هويدى بجريدة الأهرام فإن هناك أسبابا عديدة تحول بين الكثير من الشباب وبين تلك الجمعيات الرسمية ومنها :

١ - أن كل جمعية اهتمت ببعض الأمور دون أن تأخذ بعين الاعتبار كل القضايا الإسلامية .

٢ ـ الخلافات بين تلك الجماعات حتى إن كل جمعية تعتقد أن رأيها صواب ورأى غيرها خطأ .

هذا وإن التطرف فى الفكر والغلو فى الرأى قد اختلف الباحثون فى توضيح أسبابه ، فالبعض يرجعه إلى أمور اقتصادية كأزمة الإسكان وارتفاع أعباء المعيشة وعدم قدرة الشباب على الزواج . وهذا السبب سطحى يبتعد عن لب المشكلة وجوهرها ، فالشباب المتدين لا يأبه بمظاهر الحياة بل إن الكثير منهم لا يتكلف شططا فى ملبسه أو مسكنه حتى اقترانه بالزوجة لا يرهقه ماديا ولا نفسيا ، والبعض يرجعه إلى العقد النفسية والانطواء . يقول الدكتور جمال أبو العزايم : هناك مظهران من مظاهر الشخصية :انطواء وانطلاق والظاهرتان مرضيتان .(١)

ويذهب إلى هذا الرأى الشيخ محمد زكى رائد العشيرة المحمدية فيقول :(٢)
« بالبحث والتجربة ثبت أن الأكثرية الغالبة من أصحاب هذه الدعوة والمنضمين إليها مصابون بعقد نفسية وأزمات عصبية ، وأنهم يجدون فى التشدد ومخالفة المجتمع والحقد عليه ما تطمئن إليه أزماتهم وعقدهم »(٢)

وهذا الرأى وسابقه يجانبهما الصواب فإن الشخص المعقد نفسيا والمنطوى لا يؤثر فى الآخرين ولقد نجح هؤلاء الشباب فى التأثير على الكثير وأصبح لهم إتباع ورواد عديدون .

ومن الآراء التى تبعد أسباب التطرف عن حقيقتها وواقعها ما يذكره الدكتور إبراهيم العدوى حيث يقول :
« إن التطرف وافد علينا » (٣)
وهذا السبب والأسباب السابقة مجتمعة أسباب واهية فالمشكلة أعمق من هذا وأحل خطرا وإننى أرجع التطرف فى الفكر والغلو فى الرأى والجنوح عن حد

---

(١) اللواء الإسلامى ١٩٨٢/٧/٢٧
(٢) الأهرام العدد ٣٢٠٨٢ الجمعة يوليو ١٩٧٧
(٣) اللواء الإسلامى ١٩٨٢/٧/٢٧

الاعتدال واللجوء إلى العنف إلى الأسباب التالية :

أولا : التباطؤ والتسويف فى تقنين الشريعة الإسلامية وتنسيقها :

منذ الغزو الفكرى والاحتلال الأجنبى والشريعة الإسلامية بعيدة عن مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والتربوية ولقد أفلس الفكر الغربى والشيوعى فى تحقيق العدالة والأمن والرخاء ، وباء دعاتهما فى البلاد الإسلامية بالفشل الذريع وخرجت الشعوب من التبعية للشرق أو الغرب خاوية الوفاض صفر اليدين ، ومن ثم أصبحت الشريعة الإسلامية محط آمال المسلمين أفرادا أوْ جماعات ومؤسسات ومع إلحاح الأمة فى المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية غير أننا نجد التسويف والمراوغة والتعلل بأعذار واهية والتذرع بأسباب مختلفة للحيلولة دون التطبيق الفورى ، أو حتى على مراحل واكتفى فى هذا المجال باللجان تعقد والتوصيات تتخذ والقرارات تعلن والوعود والآمال حول تطبيق الشريعة تعلن بين كل آونة وأخرى ولكن مع وقف التنفيذ مما يثير حماس الشباب وغيرتهم وإذكاء عواطفهم لتطبيق الشريعة الإسلامية فيؤدى هذا إلى ثورة الشباب ويلجئهم إلى الثورة والعنف والتطرف بدعوى عدم جدية مايقال عن تطبيق الشريعة الإسلامية .

ثانيا : الفرق الشاسع بين مثالية الإسلام وأوضاع المسلمين :

حينما يطالع الشباب المسلم تاريخ الإسلام لاسيما إبان حياة الرسول ﷺ وخلال تاريخ الصحابة وعبر التراث الإسلامى العظيم يجد البون شاسعا والاختلاف كبيرا بين هذا التاريخ المتألق فى عظمة وشموخ وواقع المسلمين المزرى ، حيث تنتشر المحرمات وتهتز القيم وتسوء العلاقات بين أبناء الأمة ويضرب الفساد أطنابه وتعمق جذوره فضلا عما نزل بالمسلمين من هزائم متوالية واقتطاع أجزاء من ديار الإسلام فى فلسطين ولبنان وأفغانستان وغيرها حتى غدا المسلمون كالأيتام على مائدة اللئام

ويتلفت الشباب فيجد دعاة العلمانية والإلحاد وأجهزة الإعلام تعاليهم يصك الآذان وتبارك الانحراف من خلال قصص الحب وأفلام الهوى ومسلسلات الرعب ، ومما يزيد الأمر سوءاً استشراء الظلم الاجتماعى والتفاوت الطبقى وظهور أصحاب الملايين من المغامرين وسماسرة السوق السوداء ويقارن هذا كله بما يقرؤه ويعرفه عن الإسلام

فيصطدم وجدانه وتتمزق نفسه بين مثالية الإسلام وواقع المسلمين فيضيق ذرعا بهذا الواقع ويتبرم به ويثور عليه وقد يدفعه الحماس إلى العنف مستندا إلى بعض النصوص التى يساء فهمها والأدلة الشرعية التى لا يحسن فهمها فمن ثم يلجأ إلى التطرف والعنف .

ثالثا : تضييق الخناق على الدعوة والدعاة :

إن المتتبع لمسيرة الدعوة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الهجرى يجد محاولات إجهاض اليقظة الإسلامية كلما اشتد ساعدها وصلب عمودها ومن أشهر تلك المحاولات ضرب التيار الإسلامى النشط فى أعوام (١٩٤٨ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٥م) ثم التحفظ على معظم العاملين فى الحقل الإسلامى عام (١٩٨١م) وحظر الجماعات الإسلامية فى الجامعات المصرية ، فضلا عما شهده بعض الدعاة من ألوان التعذيب فى غياهب السجون والمعتقلات وإن النواة الأولى للتطرف نشأت بين أقبية السجون عام (١٩٦٥م) حينما زج بالآلاف بمجرد الشبهة والمظنة وكان من بين هؤلاء شكرى مصطفى الذى عانى مما نزل به ومن معه من ألوان القهر والتعذيب فتطرف هو وجماعة معه وأعلنوا كفر الدولة لأنها سامتهم العذاب ، وكفر الأمة لرضائها بهذا ولقد تمكن شكرى مصطفى من أن يستقطب مجموعة من الشباب مما أدى إلى أحداث عام (١٩٧٧ م) الدامية وتم إعدام هذا الشاب وبعض رفاقه ، وبين كل آونة وأخرى يصدر من القرارات ما يوغر صدر الدعاة ومن ذلك المادة (٢٠١ [illegible]) عقوبات من القانون ٢٩ لسنة ١٩٨٢م) والذى ينص على ما يلى :

« كل شخص ولو كان من رجال الدين أثناء تأديته وظيفته ألقى فى بعض أماكن العبادة أو فى محفل دينى مقالة تضمنت مدحا أو ذما فى الحكومة أو فى قانون أو فى مرسوم أو قرار جمهورى أو فى عمل من أعمال جهات الإدارة العمومية ، أو أذاع أو نشر بعض نصائح أو تعليمات دينية أو رسالة مشتملة على شيء من ذلك يعاقب بالحبس وبغرامة لا تقل عن مائة جنيه ولا تزيد على خمسمائة جنيه أو بإحدى العقوبتين » .

مثل هذا القانون يكمم أفواه الدعاة فلا يبدون نصحا ولا يقاومون منكر

ألسنتهم فتفتقر ساحة الدعوة من الدعاة ولن يبقى إلا من يتخذ الدعوة وسيلة للارتزاق .

وفى نفس الوقت الذى يضيق فيه على الدعاة نجد دعاة العلمانية والإلحاد ورحلات الفن الهابط والأدب الرخيص وبائعات الهوى يصولون فسادا ويجولون عبثا دون رقيب أو حسيب بل ينظر إليهم على أنهم القدوة حيث تحوطهم أجهزة الاعلام بهالة كاذبة من النفاق مما يوغر صدور الشباب ويثير حفيظتهم إلى التطرف .

والعنف لا يولد إلا العنف ، وإن توجس الحذر والخيفة من التيار الإسلامى هو من أهم أسباب العنف والتطرف وستكرر ظاهرة الغلو والجموح كلما نظر إلى المد الإسلامى نظرة شك وريب . ومما يزيد الخوف لدى الشباب ما ينشر فى بعض الكتب والمجلات من وثائق خطيرة ضد الدعوة والدعاة ، هذه الوثائق حينما يقرؤها المسلم حتى لو كان لايحمل من الإسلام سوى اسمه فقط فإن الدم يغلى فى عروقه والغيظ يتملكه ويستيقظ فى الصدور غريزة البقاء وكوامن الفطرة « فطرة الإسلام » فتنتابه عوامل كثيرة تدفع به إلى التطرف والعنف ومن هذه الوثائق :

١ ــ ما نشر فى مجلة الدعوة العدد الثانى والثلاثين صفر ١٣٩١ هـ عن تقرير للمخابرات الأمريكية يفصح بخطة حديدة لتصفية الحركات الإسلامية .
٢ ــ ما نشر فى كتاب الشيخ محمد الغزالى « قذائف الحق » عن وسائل غسل مخ الإخوان المسلمين عام (١٩٦٥ م) .
٣ ــ ما نشر فى كتاب المستشار على أبو جريشة « دعاه لابغاة » وأخطرها الوثيقة المؤرخة فى عام (١٩٧٨م) بعنوان مكافحة تسييس الدين أو تدين السياسة ، ومع احتمال أن مثل هذه الوثائق مزيفة أو مبالغ فيها غير أن نشرها فى أكثر من كتاب على لسان علماء أجلاء وطبعها ونشرها والتزام الصمت حيالها وعدم إنكارها رسميا يوحى بأن لها نصيبا من الحقيقة يرشح هذا ما أعقب نشر تلك الوثائق من أحداث أكدت ما ذكرته هذه الوثائق ومنها :

أ ــ دعوة لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة .... .
ب ــ ملاحقة ظاهرة التدين بين الطلاب ومهاجمتها والسخرية منها .
حـ ــ قرارات التحفظ على كثير من الدعاة عام (١٩٨١م) هذه الأمور مجتمعة

تتفاعل داخل كيان الشباب فتجنح به إلى الغلو والتطرف ومن ثم يتجه إلى العنف .

رابعا : التحرك الصليبي ضد الإسلام :

لقد عاش غير المسلمين فى كنف الإسلام عيشة وارفة الظلال ينعمون بالحرية الدينية لا ينقص لهم عهد ولا تخفر لهم ذمة وحينما يقارن بين الأقليات الإسلامية فى ديار الكفر وما يتعرضون له من إبادة جماعية وبين ما يهنأ به غير المسلمين فى ديار الإسلام من منزلة كريمة وعيش آمن يحمد القوم الله لما هم فيه من نعمة يغبطون عليها غير أن الصراع بين الإسلام وأعوانه لا ينطفىء لهيبه ولا تخمد جذوته فالحقد المرير والغل الدفين ينفثان سمومهما بين كل حين وآخر ، والمسلمون بين ظلال الإسلام السمح الكريم يتقبلون هذا بصدر رحب أحيانا ، وقد يضيقون به حينا ويصل الأمر إلى التآمر والفتنة بين طبقات الأمة وأن تنتزع الأقلية من الأكثرية المسلمة حقوقها بل وتعدها غريبة عن ديارها .

وبلغت الإثارة لدى الشباب المسلم منتهاها حينما نشر أمر المؤتمر المسيحى الذى عقد فى الإسكندرية فى (٥ / ٣ ١٩٧٣ م) ولقد ذاع أمر هذا المؤتمر وما اتخذ فيه من قرارات وتوصيات لتنصير الأمة المصرية ولقد سرى أمر هذا المؤتمر سريان النار فى الهشيم لحوادث الفتن الطائفية وجنوح الشباب للعنف والتطرف .

خامسا : الفراغ الدينى لدى الشباب :

سبق أن ذكرت فى التمهيد لهذا الفصل أنه ما من نهضة تؤسس إلا على قاعدتين : العقيدة ، الشباب . يرى هذا واضحا فى رسالات الأنبياء والمرسلين ومن خلال التربية الإسلامية للشباب ، ولكن ما حدث ويحدث لأبناء هذا الجيل أنه ينشأ على مناهج تعليمية صلتها بالدين صلة مقطوعة منذ بدء المرحلة الابتدائية وحتى انتهاء حياة الجامعية لا أدل على ذلك من أن مادة التربية الدينية ينظر إليها بعدم الاهتمام والاكتراث وتوضع فى ذيل قائمة المناهج المقررة فتتساوى مع مادتى التربية الموسيقية والتدبير المنزلى يضاف إلى ذلك ما تقوم به بعض أجهزة الإعلام من وضع المسرحيات الهزلية التى تسخر من المدرس خاصة مدرس اللغة العربية فينهزم من داخله فيضعف تأثيره فى طلابه ، وليت المدرسة فحسب كانت من أسباب الفراغ الدينى لدى

الشباب ولكن هناك أمور كثيرة أحدثت هذا الانفصام بين الشباب والتدين منها .
١ - الأسرة وعدم رعاية أبنائها دينيا .
٢ - أجهزة الإعلام التي ساعدت بنصيب أوفر في خلق هذا الفراغ الديني حيث نجحت في احتواء الشباب واستقطابه نحو متابعة الأفلام والمسلسلات مما يدفع الشباب إما إلى الانحلال الخلقي أو إلى التطرف الفكري .

سادسا : خلو الميدان من الدعاة :

يعاني حقل الدعوة نقصا خطيرا في عدد الدعاة نظرا لانصراف الناس عن الدراسات الدينية لعوامل كثيرة أهمها :

١ - طول الدراسة في الأزهر وازدواج التعليم فيه .
٢ - انقراض حفظة القرآن الكريم .
٣ - عدم الاهتمام بالدعاة ماديا وأدبيا .
٤ - تناول أجهزة الإعلام رجل الدين بالتهكم والسخرية وذلك من خلال المسرحيات كمسرحية (الشيخ متلوف) ، (حلمك يا شيخ علام) وغير هذا كثير وكثير ....

هذه العوامل دفعت بالشباب بعيدا عن الأزهر وكاد يغلق أبوابه لولا أنه فتح الباب على مصراعيه للطلاب الذين أوصدت في وجوههم أبواب التربية والتعليم لضعف المستوى وقلة المجموع فيتحملون أعباء الدعوة مرغمين ، ومن ثم أصبحت الدعوة وظيفة لا رسالة بل إن العديد من العاملين في ميدان الدعوة لا يوسعون معارفهم بالاطلاع وذلك بسبب أعباء الحياة المرهقة وارتفاع سعر الكتاب ارتفاعا يجعله ليس في متناول الدعاة والشباب ، فضلا عن عدم إجادة الكثير لحفظ القرآن الكريم . هذه العوامل مجتمعة أحدثت فجوة بين الدعاة والشباب فعزف الشباب عن الدعاة ورضي العلماء بهذا العزوف واستراحوا له ومن ثم جنح الشباب إلى الغلو والتطرف .

سابعا : عدم فقه الأدلة الشرعية :

كذلك من أسباب التطرف عدم الفهم الصحيح للأدلة الشرعية والأخذ بظاهر النص دون التعمق في أسبابه ومقاصده ، وتغير ظروفه أو أن يعكف الشباب على قرءة بعض كتب السلف قراءة سطحية بدون معلم أو مرشد فيفهمون النص الشرعي من غير تعمق فيه ويقطعونه عن سابقه ولا حقه لتبرير تطرفهم . وبجانب الأسباب السابقة فهناك أسباب أخرى تزيد من حدة التطرف ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ عدم فهم أسرار اللغة العربية والوقوف على أوجه البلاغة وأسرار البيان .

٢ ـ استنفاد الجهد فى القضايا الفرعية فكم من جدل ينشب وخلاف يشتد حول حلق اللحية أو الأخذ منها أو إسبال الثياب أو تحرك الأصبع فى التشهد أو مصافحة المرأة الأجنبية وعدم مصافحتها ـ واقتناء الصور الفوتوغرافية ، فى الوقت الذى يواجه فيه الإسلام بتكالب الأعداء عليه من كل حدب وصوب .

٣ ـ الإسراف فى التحريم . يقول الدكتور يوسف القرضاوى(١) :

« كان السلف لا يطلقون الحرام إلا على ما علم تحريمه جزما فإذا لم يجزم بتحريمه قالوا نكره كذا أولا نراه أو نحو ذلك من العبارات ولا يصرحون بالتحريم . أما الميالون إلى الغلو فهم يسارعون إلى التحريم دون تحفظ .. هم دائما مع شدائد ابن عمر ولم يقفوا يوما مع رخص ابن عباس » .

هذه الأسباب تضافرت جميعها على نشأة التطرف ودفعت بالشباب إلى أحضان الغلو والعنف .

جـ ـ مظاهر التطرف :

إن للتطرف مظاهر سلوكية تبرز من خلال تصرفات الإنسان وعلاقته بالآخرين ولقد حدد الدكتور يوسف القرضاوى مظاهر التطرف فى النقاط التى أوجزها فيما يلى :(٢)

١ ـ التعصب للرأى وعدم الاعتراف بالرأى الآخر .

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف د . يوسف القرضاوى ص٧٤

(٢) المرجع السابق ص ٣٩

٢ – إلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم الله به .
٣ – التشدد فى غير محله .
٤ – الغلظة والخشونة .
٥ – سوء الظن بالناس .
٦ – السقوط فى هاوية التكفير .

هذه المظاهر جعلت البعض يتوجس خيفة وحذرا من التدين والمتدينين وكانت سببا رئيسيا فى الإحجام عن التطبيق العملى للإسلام ولقد كان أهم أثر من آثار التطرف وظواهره أنه اتخذ ذريعة لإحباط وتطويق التيار الإسلامى عامة المعتدل منه وغير المعتدل وهذا انتكاس لليقظة الإسلامية المعاصرة وتعويق للدعوة والدعاة فلقد حرم ميدان الدعوة من آلاف من الشباب الذين التزموا الإسلام التزاما عمليا طيبا وكانوا طلائع النهضة الإسلامية الحديثة ومحط آمال الإسلام والمسلمين ، ولكن هذه الآمال تبددت بسبب فئة تطرفت وتعسفت فى عدد من القضايا الفكرية التى سنتناولها بالبحث والدراسة فى الفصل التالى .





الفصل الثانى

القضايا الفكرية التى تطرف فيها الشباب

قبل أن نلقى الضوء على القضايا الفكرية التى دفعت الشباب إلى الغلو والتطرف فإنه مما تجدر الإشارة إليه أن هذا الفكر ليس وليد اليوم ولا الأمس القريب ولكنه ضارب فى أغوار الزمن وممتد فى أعماق التاريخ منذ فجر الإسلام ، ويكاد المؤرخون والباحثون يجمعون على أن الخوارج هم اللبنة الأولى لصرح المغالاة وذلك منذ خروجهم على الإمام على كرم الله وجهه بعد قضية التحكيم حيث قالوا قولتهم المشهورة : « لا حكم إلا لله » .

ورتبوا على هذا القول كفر الإمام على كرم الله وجهه والحكمين أصحاب الجمل وكل من رضى بالتحكيم كما أفرزت ساحة الصراع رد فعل لأعمال الخوارج وهو ظهور فئة تشيعت لآل البيت وتغالوا فى هذا غلوا أبعد الكثير منهم عن ساحة الإسلام الحق ، ولقد انقسم الخوارج إلى نحو عشرين فرقة يجمعهم مذهب واحد وهو تكفير أصحاب الذنوب وشذ عن ذلك الأباضية :[1].

(حيث قالوا : إن العمل شرط لتمام الإسلام ولا يرون كفر العصاة من المسلمين ومن سماهم كفارا فإنما أراد كفر النعمة المرادف عند غيرهم لكلمة الفسق والمعصية) .

وعلى مدار التاريخ الإسلامى تظهر بين حين و آخر جماعة تشتط فى فكرها

---

(١) الحكم وقضية تكفير المسلم - سالم البهنساوى ص٤

وتغلو فى آرائها ومن ذلك ما ظهر فى عصر المأمون من جماعة القرامطة والباطنية لذين تأولوا فى الدين تأويلات أسقطت الفرائض وأباحت المنكرات كذلك ظهرت فرق وجماعات كثيرة يطول المقال إذا ما تعرضنا لها بالبحث .

وعلى هذا فالفكر المتطرف روافده فكر الخوارج والأفكار الأخرى برزت خلال مسيرة الدعوة والدعاة عبر التاريخ الإسلامى وهو فكر متداخل ومتفرع تفريعات عديدة يصعب تناولها فى فصل واحد خلال ثنايا هذه الرسالة ولهذا فقد حصرت ذلك الفكر فى أمهات القضايا الرئيسية قبل أن أتناولها بالبحث والدراسة فإنه يجدر التعريف لغويا بالكلمات التالية :

١ - الغلو　　　　٢ - التطرف　　　　٣ - التشدد

الغلو جاء فى لسان العرب[1] .

غلى الشيء غلولاً وانغل وتغلل دخل فيه ، يكون فى الجواهر والأعراض وغل بصر فلان حاد عن الصواب .

وجاء فى المصباح المنير[2] غلا فى الدين غلوا من باب قعد تصلب وتشدد حتى جاوز الحد وفى التنزيل « لا تغلوا فى دينكم »

٢ - التشدد جاء فى لسان العرب « الشدة الصلابة وهى نقيض اللين وكل ما أحكم فقد شد وشدد والمشادة المغالبة . والمشادة فى الشيء التشدد فيه » .

٣ - التطرف :

« الطرف بالتحريك الناحية من النواحى وتطرف الشيء صار طرفا وطرف كل شيء منتهاه » وأصله فى الحسيات كالتطرف فى الوقوف والجلوس ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف فى الدين أو الفكر أو السلوك .

وعلى هذا فالغلو والتشدد مجاوزة حد الاعتدال والنأى عن التوسط فى الأمور والأدلة الشرعية من القرآن والسنة تنهى عنه وتحذر من مغبته هذا ومما تجدر ملاحظته

---

(١) لسان العرب ص٣٢٨٩

(٢) المصباح المنير ص٥٤٢

أن التطرف والتشدد تختلف النظرة إليهما والحكم عليهما باختلاف البيئات فمن نشأ في بيئة متدينة فإنه يعتبر أقل تقصيرا وذنبا عظيما وجرما كبيرا ، وأن حرصه الشديد على استكمال أعمال الإسلام في نفسه ليس تطرفا بل هو الحق الذى يلتزم به ويدعو الآخرين إليه .

ومن نشأ في بيئة صلتها بالدين شبه منقطعة فإنه يعتبر أى تمسك بالدين تطرفا حتى إنه يعد من يلتزم بالسنة فى المأكل أو الملبس أو إطلاق اللحية أو ارتداء الفتاة المسلمة للحجاب تطرفا ومن يطالب بتطبيق الشريعة مغاليا ومتشددا ، وهذا خلط للأمور ومزج بين الخطأ والصواب . هذا ومن المسائل التى تطرف فيها الشباب ما يلى :

أولا : الإعراض عن العلماء وعدم الأخذ عنهم .

ثانيا : عدم العذر بالجهل .

ثالثا : تكفير المجتمع واعتزاله والهجرة منه .

رابعا : الخروج على الحاكم وقتاله .

هذا ولقد راعيت فى الترتيب السابق التسلسل الفكرى ، فإن كل مسألة تأخذ بسابقتها وتمهد لما بعدها . فهذا الفكر يبدأ بالنأى عن العلماء وينتهى إلى الخروج على الحاكم وقتاله وسوف أستعرض كل قضية من هذه القضايا فى ضوء الأدلة الشرعية متوخيا الحقيقة العلمية المجردة والانتصار للحق أيا كان وجهته فى إيجاز غير مخل إن شاء الله تعالى .

أولا : الإعراض عن العلماء :

وهو أولى خطوات التطرف حيث لا يأبه الشباب برأى عالم أو يسترشدون بأقوال فقيه بل يقرأون النص من الكتاب والسنة يعملون فيه رأيهم دون أخذ أو مناقشة أو مراجعة للعلماء بل إنهم أسقطوا جهود الفقهاء عبر العصور المتتالية مع ملاحظة أن علماء السلف والخلف رضوان الله عليهم لم يتركوا مسألة فى العقيدة أو التشريع إلا أدلوا فيها برأيهم . فيكف استساغ أحداث السن أن يدلوا بدلوهم فى أمور خطيرة تمس العقيدة دون الرجوع إلى هؤلاء الأعلام ؟

يقول قائلهم (١)

« إن الله سبحانه أنزل لنا كتابه وأوحى إلى النبي ﷺ ما أوحى فأصبح القرآن والسنة هما الحجة على العالمين وأنه لا رأى لفقيه أو لعالم أو لهيئة فوق كلام الله سبحانه وكلام الرسول ﷺ » .

وهذا كلام ونظائره من أقوالهم مقبول بل ومجمع عليه فيما فيه نص وفق القاعدة الأصولية .

« لا اجتهاد مع النص » وكما اشتهر عن أئمة المذاهب يقول كل منهم إذا صح الحديث فهو مذهبي .... إلخ . ولكن مالا نوافق عليه ولا نقبله إغفال آراء العلماء عبر التاريخ الإسلامي فبهذا يلغى عقل الأمة وفكرها وقد قال تعالى:(٢)

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

ومن عوامل حفظه أن الله قيض له العلماء والفقهاء العاملين بعلمهم بحيث لا يخلو قرن من القرون من عالم حجة أو فقيه مجدد أو داعية مرشد ، والقرآن الكريم يأمر بتخصيص جماعة يرجع إليها في العلم والمشورة والفتوى : قال الله تعالى:(٣)

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

ويحث القرآن على الفهم والاستنباط قال تعالى : (٤)

﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ .

وإن هؤلاء المعرضين عن العلماء والمتأففين منهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة فلقد كان في الإمكان أن يتلقى مباشرة من الله سبحانه ، ولكن جبريل عليه السلام

---

(١) اللواء الإسلامي ـ السنة الأولى العدد ١٦ رجب ١٤٠٠هـ

(٢) سورة الحجر آية ٩

(٣) سورة التوبة آية ١٢٢

(٤) سورة النساء آية ٨٣

كُلف ليكون المبلغ والمعلم عن الله لرسوله ﷺ :

ولقد أشاد القرآن بفضل جبريل وعلمه فقال تعالى : ﴿ علّمه شديد القوى ﴾ (١) .

وإن مجيء جبريل وجلوسه بين يدى الرسول ﷺ على الهيئة التى روى بها حديث عمر بن الخطاب « الإسلام والإيمان والإحسان » مما يشير إلى وجوب التزام المتعلم بالمعلم والخضوع له والتأدب معه . وموسى عليه السلام رغم نبوته وأنه كليم الله تلقى العلم من رجل يصفه القرآن الكريم بقوله تعالى (٢) .

﴿ فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ .

ويلازمه موسى عليه السلام ويتشدد العبد الصالح فى إلقاء الأوامر مما يرشد بجواز تلقى الفاضل من المفضول .

ثم هناك قدرات خاصة لمن يريد أن يأخذ من الأدلة الشرعية مباشرة دون الرجوع للعلماء ومن هذه القدرات :

أن يكون على إلمام باللغة العربية وأسرارها ويميز بين الألفاظ الحقيقية والكنايات وأن يفرق بين العام والخاص والمطلق والمقيد والمجمل والمفصل ، وأن يقف على حقيقة الواجب والمندوب ، وهذا كله لا يمكن للشباب أن يحصله بدون معلم أو أن يسبر أغواره من غير موجه ويقف على أسرار البيان فى معانى القرآن .

هذا وإن النأى عن العلماء لهو غرور بين وانحراف واضح لاسيما وأننا فى عصر التخصص والمتخصصين وإذا كان القانون والعرف يدينان من يزاول مهنة وهو ليس من أهلها فكيف يترك الدين لكل شارد ووارد من أحداث السن الذين يضيقون ذرعا بالعلماء وينهون عن التلقى منهم وينأون عنهم بل وينالون منهم ولقد كان السلف والخلف يفخرون بأنهم لم يأخذوا العلم من الصحف وإنما أخذوه عن أساتذة لهم وكلما كثر هؤلاء الأساتذة عند الآخذ عنهم أنه أصبح مأمون الخطأ مقبول القول لدى الآخرين فكانت توجد الإجازات العلمية بحيث لا يسمح للعالم بأن يجلس

---

(١) سورة النجم آية ٥

(٢) سورة الكهف آية ٦٥

للتدريس أو أن يتصدى للفتوى إلا إذا أجيز من شيوخه وما الاجازات العلمية الموجودة الآن إلا نماذج للأخذ عن العلماء ولهذا قالوا : (١)

« لا يؤخذ القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي » .

يعنون بالمصحفي الذي حفظ القرآن من المصحف دون أن يتلقاه بالرواية والمشافهة من شيوخه وقرائه المتقنين ويعنون بالصحفي الذي أخذ العلم من الصحف وحدها من غير أن يتلمذ على أهل العلم ويتخرج على أيديهم . مما سبق يتضح أن البعد عن العلماء كان أولى خطوات التطرف ومن أهم الأسباب التي دفعت الشباب إلى المسائل التي سأتناولها في الأبحاث التالية إن شاء الله .

ثانيا : عدم العذر بالجهل :

اتضح من خلال العرض السابق أن الإعراض عن العلماء كان سببا في انحدار الشباب إلى متاهات الغلو والتطرف والخوض في أمور جنحت بهم بعيدا عن الفهم الصحيح للإسلام ومن هذه الأمور :

عدم العذر بالجهل الذي اتخذ ذريعة لتكفير المسلمين والانعزال عنهم واستباحة دمائهم وهذه القضية تبارت فيها عقول مفكري الإسلام قديما غير أنها برزت على ساحة الفكر في الآونة الأخيرة ، فيثور الجدل ويحتدم النقاش كلما برز هذا السؤال . ما حكم من أتى ذنبا وهو جاهل بأحكام الشرع ؟ هل يأثم أم يعذر بجهله ؟ لقد تعددت الآراء وتضاربت وكثرت الاستدلالات والرد عليها . وقبل أن نستعرض أدلة القائلين بعدم العذر بالجهل وتوضيح مدى خطورة هذا الفكر فمما يجدر ملاحظته أن توجد عوارض تعترى الإنسان تسقط عنه التكليف سواء بصورة كلية أو جزئية وهي تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : عوارض ليست من قبل المكلفين أنفسهم مثل :

١ - الجنون ٢ - العته ٣ - النسيان ٤ - الإغماء

٥ - النوم

وهذا القسم يرفع الحرج والتكليف عمن أصيب به

---

(١) الصحوة الإسلامية . يوسف القرضاوي ص٩٠

القسم الثاني : عوارض تأتي من قبل المكلفين أنفسهم مثل :

١ ـ السفه ٢ ـ السُكْر ٣ ـ الإكراه ٤ ـ الخطأ .

٥ ـ الجهل وهو موضوع بحثنا :

وقد استدل القائلون بعدم العذر بالجهل بأدلة نذكر منها ما يلي :

١ ـ قول الله تعالى : (١) .

﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ .

فاستدلوا بهذا على عدم العذر بالجهل وفق هذا الميثاق . قال الشيخ رشيد رضا : (٢)

« الآيات تدل على أن من لم تبلغه بعثة الرسول لا يعذرهم يوم القيامة بالشركة بالله تعالى ولا بفعل الفواحش والمنكرات التي تنفر منها الفطرة السليمة وتدرك ضررها وفسادها العقول المستقلة وإنما يعذرون بمخالفة هداية الرسل فيما شأنه ألا يعرف إلا منهم وهو أكثر العبادات التفصيلية ، وبهذا لا يقبل من الخلق الاعتذار بالجهل وبمثل هذا التفسير ونظائره استمدوا آراءهم وبالغوا فيها »

٢ ـ روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : (٣)

« قلت : يا رسول الله ، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه ؟ قال : لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » .

---

(١) الأعراف آية ١٧٢ ، ١٧٣

(٢) تفسير المنار ـ الشيخ محمد رشيد رضا جزء٩ ص٣٨٨

(٣) صحيح مسلم شرح النووي جـ٣ ص٧٩

٣ – روى الإمام أحمد عن طريق ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال [1]

«دخل الجنة رجل فى ذباب ودخل النار رجل فى ذباب قالوا: وكيف ذلك يارسول الله ؟ قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئا فقالوا لأحدهما :

قرب قال : ليس عندى شىء أقرب قالوا : قرب ولو ذبابا فخلو سبيله فدخل النار . وقالوا : للآخر فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنه ».

فاستدلوا بهذا الحديث بكفر من أتى شيئا على سبيل الإكراه والجهل .

فاستنتجوا من ظواهر هذه الأدلة ونظائرها–واستندوا أيضا إلى ما يراه المعتزلة القائلون بالتحسين والتقبيح العقليين – أن الإنسان جبل على معرفة الخير من الشر وأنه لا يعذر لجهله ولقد ترتب على هذا القول عدم نجاة أهل الفطرة ، وكذلك من لم تبلغهم الدعوة ولم يعذروا عوام المسلمين الواقعين بين براثن الأمية والجهل فأعلنوا أن المسلمين فى هذا الزمن فسدت عقيدتهم وخرجوا عن دين الله لجهلهم جل أحكام الإسلام .

وهذا الفكر جد خطير فهو يؤدى إلى إخراج الجم الغفير من المسلمين من حظيرة الإسلام وهو مخالف لفكر جمهور أهل السنة والجماعة الذين يقررون ما يلى :

« أن من ثبت له عقد الإسلام بالشهادتين أو كونه ولد لأبوين مسلمين فإنه لايزول عنه الإسلام وإن خالف الشرع فى أمر من أمور الدين إلا أمرا حكم الشرع بكفر فاعله ويكون عامدا عالما بالتحريم » أما من خالف الشرع مع الجهل فإما أن يكون بدار الإسلام حيث تتوافر مظنة العلم ويسهل طلبه ، أو ليس بدار الإسلام بحيث لا تتوافر مصادر العلم والمعرفة .

فإن كان الجاهل فى دار الإسلام بحيث يتمكن من السؤال والمعرفة فإنه يكون

---

(١) صحيح مسلم شرح النووى جـ٣ ص٧٩

عاصيا ولا عذر بجهله ولكن هذا العصيان لا يخرجه من حظيرة الإسلام ويعذر على تقصيره .

وإن كان الجاهل ليس فى دار الإسلام أو نشأ ببادية أو بمكان منعزل أو شوه له الإسلام بحيث لا يعرف عنه شيئا إلا ما يلقى من أباطيل وأكاذيب ينشرها أعداؤه ولم تتوافر مصادر المعرفة فإنه يعذر بجهله حتى تقام عليه الحجة فإن أقيمت الحجة فأنكر كفر بذلك .

وهذا الرأى أرجحه وأختاره للأدلة الكثيرة التى أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

١ ـ قال الله تعالى [١] .

﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ .

قال ابن كثير فى تفسيرها : [٢]

« إخبار عن عدل الله وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسل إليه » .

وقال القرطبى : [٣]

« وفى هذا دليل واضح على أنه لا يجب شىء من ناحية العقل » .

٢ ـ قال تعالى : [٤]

﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴾ .

يقول الإمام الشنقيطى : [٥]

« إن الله جل وعلا لا يعذب أحدا من خلقه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة

---

(١) سورة الإسراء آية ١٥
(٢) ابن كثير مجلد ٥ ص٥٠
(٣) تفسير القرطبى ص٢٠١٤
(٤) سورة النساء آية ١٦٥
(٥) أضواء البيان للإمام الشنقيطى جـ٣ ص٤٢٩

حتى يبعث رسولا فينذره ويحذره فيعصى ذلك الرسول ويستمر على الكفر والمعصية بعد الإنذار والإعذار » .

٣ ــ قال تعالى : (١)

﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ، ذكرى وما كنا ظالمين ﴾ .

فعد الله من يعذب بدون إرسال الرسل ظلما ونفاه عن ذاته عز وجل ثم هناك آيات كثيرة يضيق المقال عن ذكرها .

ومن السنة الشريفة يستدل على العذر بالجهل بأدلة كثيرة نذكر منها :

١ ــ ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله إذا أنا مت فأحرقونى ثم اسحقونى ثم ذرونى فى اليم فوالله لأن قدر الله على ليعذبنى عذابا ما عذبه أحداً من العالمين ففعلوا به ذلك فقال الله له ما حملك على ما فعلت قال خشيتك ــ فغفر له » .

فهذا الرجل شك فى قدرة الله وفى إعادته إذا ما ذرى جسده وهذا كفر باتفاق المسلمين لكن كان الرجل جاهلا لا يعلم ذلك .

٢ ــ روى قتادة عن عبد الأسود بن سريع عن النبى ﷺ أنه قال : (٢)

« يعرض على الله سبحانه وتعالى الأصم الذى لا يسمع شيئا والأحمق والهرم ورجل مات فى الفطرة فيقول الأصم : رب جاء الإسلام وما أسمع شيئا ، ويقول الأحمق : رب جاء الإسلام وما أعقل شيئا، ويقول الذى مات فى الفطرة : رب ما أتانى لك من رسول فيأخذ الله مواثيقهم ليطيعنَّه فيرسل الله تعالى إليهم:ادخلوا النار فوالذى نفسى بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما » .

فيؤخذ من هذا الحديث أن الله تعالى لا يكلف أحدا بما ليس فى طاقته .

---

(١) الشعراء آيتا ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٢) الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم جـ١ ص٦٠

قال تعالى :

﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ (1)

كذلك ممن يرى العذر بالجهل الإمام ابن تيمية فلقد جاء فى كتاب الفتاوى مايلى :

« هذا مع أنى دائما ومن جالسنى يعلم ذلك منى أنى من أعظم الناس نهيا عن أن ينسب إلى معين تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا قامت عليه الحجة الرسالية التى من خالفها كان كافرا تارة وفاسقا أخرى ، وعاصيا أخرى وإنى أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ فى المسائل الخبرية والقولية والمسائل العملية ومازال السلف يتنازعون فى كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية » (2)

ويزيد ابن تيمية الأمر إيضاحا لتنقطع حجج المتأولين والمفترين عليه الذين ينسبون إليه أصول آرائهم وتطرفهم الفكرى فيقول رحمه الله :

« وحقيقة الأمر فى ذلك أن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال : من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذى قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التى يكفر قائلها .

ويستطرد رحمه الله قائلا :

ثم الشخص المعين ينتفى حكم الوعيد فيه بتوبة أو حسنات ماضية أو مصائب مكفرة أو شفاعة مقبولة .

فإنه وإن كان القول تكذيبا لما قاله الرسول ﷺ لكن قد يكون الرجل حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة وقيل هذا لايكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لا يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئا » (3)

مما سبق عرضه من كلام الإمام ابن تيمية يتضح أيما إيضاح أنه من القائلين بالعذر

---

(1) سورة البقرة .

(2) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جـ3 ص229

(3) المرجع السابق جـ3 ص231

بالجهل خلافا لما ألصق به . هذا ومما يقطع حجج القائلين بعدم العذر بالجهل أن الرسول ﷺ تقبل أعذار بعض المسلمين الذين ارتكبوا أعمالا عن عمد فلم يكفرهم بهذه الأعمال ولم يطلب منهم إعادة النطق بالشهادتين والأمثلة عديدة غير أنى أسوق بعضا منها فيما يلى :

أولا : عن عبد الله بن أبى أوفى قال :

« لما قدم معاذ من الشام سجد للنبى ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ ؟ قال : أتيت الشام فوجدتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت فى نفسى أن أفعل ذلك لك فقال رسول الله ﷺ فلا تفعلوا فلو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » (١)

ولقد استدل الإمام محمد بن على الشوكانى بهذا الحديث فى أن من سجد جاهلا لغير الله لم يكفر (٢)

فما أقدم عليه معاذ رضى الله عنه أمر يمس أهم شىء فى الإسلام وهو التوحيد .

ثانيا : ما رواه البخارى عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل خيبر ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يلتفون حولها وينوطون بها أسلحتهم فقالوا :

يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال : الله أكبر قلتم كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة .... الخ الحديث فلم يعلن الرسول ﷺ كفرهم ولم يطلب منهم إسلاما جديدا .

ثالثا : روى الإمام مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما : (٣)

« أن رجلا أهدى لرسول الله راوية خمر فقال النبى ﷺ : هل علمت أن الله حرمها ؟

فقال : لا فسار الرجل رجل آخر قال ﷺ فيم ساررته ؟

---

(١) رواه أحمد وابن ماجة

(٢) نيل الأوطار للشوكانى جـ٦ ص٢٣٦

(٣) الراوية : القربة

قال : أمرته ببيعها

فقال النبى ﷺ إن الذى حرم شربها حرم بيعها ففتح الرجل المزادة « القربة » حتى أذهب ما فيها [1]

فيستدل بهذا الحديث على أن رسول الله ﷺ قبل عذر الرجل لأنه جهل تحريم الخمر وبين له الحكم بدون تعنيف أو تكفير .

مما سبق يتضح أن العذر بالجهل مبدأ من مبادىء الإسلام اتفق عليه جمهور العلماء من أهل السنة ، وإذا كان الأمر كذلك فإن من موجبات البحث تصحيح فكر القائلين بعدم العذر بالجهل وأن نرد على ما ساقوه من أدلة لم يحسنوا فهمها . فمن هذه الأدلة :

أولا : قول الله تعالى :

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ﴾ ...إلخ الآية فيستدلون بهذه الآية على مذهبهم بالعهد المأخوذ على بنى آدم منذ الأزل وعلى هذا فتوحيد الله والإيمان به ومعرفة الفضائل والرذائل تدرك بالعقل وفق هذا الميثاق ولا عذر بالجهل سواء وجدت مظنة العلم كدار الإسلام أم لم تثبت وهذا شطط فى القول وغلو فى الفكر ؛ إذ إن العهد المأخوذ على بنى آدم ليس عهد تكليف وقطع أعذار ولكنه عهد الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وميثاق مودع فى كيان الإنسان بحيث لو استنطقت كل خلية لنطقت بالخالق الله سبحانه وتعالى .

غير أن العهد المأخوذ على البشر لا يتذكرونه ولا يعرفون عنه شيئا إلا عن طريق الوحى بدليل قول الله تعالى [2]

﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ﴾ .

قال القرطبى فيها ثلاثة أقاويل :

أحدها : لا تعلمون شيئا مما أخذ عليكم من الميثاق فى أصلاب آبائكم .

---

(١) القرطبى جـ٦ ص٢٨٩

(٢) سورة النحل آية ٧٨

الثانى . لا تعلمون شيئا مما قضى عليكم من السعادة والشقاء .

الثالث : لا تعلمون شيئا من منافعكم »[1]

ولقد نفى الله سبحانه وتعالى المؤاخذة والتعذيب إلا بعد إقامة الحجة بإرسال الرسل قال تعالى [2] ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ .

جاء فى أضواء البيان :[3]

« الآيات القرآنية مصرحة بكثرة بأن الله تعالى لا يعذب أحدا حتى يقيم عليه الحجة بإنذار الرسل وهو دليل على عدم الاكتفاء بما نصب من الأدلة وما ركز فى الفطرة وقد قال الله « نبعث رسولا » ولم يقل نخلق عقولا وننصب أدلة ونركز فطرة » .

فالذى تقوم عليه الحجة وينقطع به العذر هو إرسال الرسل هذا ولقد أوضح الله سبحانه وتعالى أن جميع من فى النار قد قطع عذرهم فى الدنيا بإرسال الرسل ولم يكتف بالعهد أو الأدلة المبثوثة فى الكون على وجود الخالق قال تعالى :[4]

﴿ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا ﴾ .

وبهذا تسقط دعاوى من يستدل بآية الأعراف على عدم العذر بالجهل .

ثانيا : استدل أصحاب هذا الرأى بما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت :

« يا رسول الله إن ابن جدعان كان فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لاينفعه ...»الخ الحديث .

فليس فى هذا الحديث دليل على ما ذهبوا إليه من عدم العذر بالجهل فإن الرسول

---

(١) القرطبى ص٣٧٦٧ مطبعة الشعب

(٢) سورة الاسراء الآية (١٥) .

(٣) أضواء البيان للإمام الشنقيطى جـ٣ ص٤٠١

(٤) سورة الملك آيتا ٨ ، ٩

ﷺ لم يخبر أن ابن جدعان فى النار ولكنه ﷺ أخبر أن ما قدمه من عمل لا يفيده ولا يثاب عليه قال تعالى :

﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ﴾[1] .

ثالثاً : ما رواه الإمام أحمد عن طريق ابن شهاب من حديث دخل الجنة رجل فى ذباب ودخل النار رجل فى ذباب إلى آخر الحديث فيجاب عن ذلك الحديث بأمرين :

الأول : أن العذر بالإكراه من خصائص هذه الأمة وأن هذا من الإصر الذى رفع عن أمة الإسلام يشهد بهذا دليل المخالفة فى قوله ﷺ :

« إن الله تجاوز عن أمتى الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه » .

فإنه يفهم من قول الرسول ﷺ « تجاوز عن أمتى » أن غير أمته لايتجاوز عنه الإكراه .

هذا ولقد استثنى الله الإكراه من المؤاخذة قال تعالى :

﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾[2] .

وبهذا يحمل الحديث على انه من خصائص الأمم السابقة .

الأمر الثانى : يرد عليهم بأنه يفهم من الحديث أن الأول رفض تقديم شىء لأنه لا يملك وحينما دل على ما يقربه ولو ذبابا قدمه مطمئنة بها نفسه .

والثانى رفض التقديم بحجة أنه لا يقدم لغير الله فصارت له الجنة . وعلى هذا فلا يستدل بهذا الحديث على عدم العذر بالجهل أو الإكراه .

ومما يقطع حجج القائلين بعدم العذر بالجهل أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يقيموا الحد على من ارتكب كبيرة على سبيل الجهل والأدلة فى هذا كثيرة غير أننى

---

(١) سورة الفرقان آية ٢٣

(٢) سورة النحل آية ١٠٦

أسوق الدليل التالى لكيلا تبقى أدنى شبهة فى موضوع العذر بالجهل :

حدث هشام بن عروة عن أبيه عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : (١)

(توفى عبد الرحمن بن حاطب وأعتق من خلى من رُقيقه ، وكانت له نوبية قد صلت وصامت وهى أعجمية لم تفقه فلم يرعه إلا حبلها وكانت ثيبا فذهب إلى عمر بن الخطاب فحدثه فأرسل إليها عمر فسألها فقال :

« إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

وبهذا يتهاوى أهم صرح من صروح التطرف وأخطره وهو عدم العذر بالجهل الذى بنوا عليه جل مسائلهم ومنها تكفير المجتمع واعتزاله الذى سنتناوله إن شاء الله فى المبحث التالى .

ثالثا : تكفير المجتمع واعتزاله :

من المسائل التى تطرف فيها بعض الشباب مسألة تكفير المسلم وما ترتب على هذا من مقاطعة المسلمين واعتزالهم وهذه القصة قديمة ترجع إلى صدر الإسلام حينما ظهر الخوارج على ساحة الدعوة وقالوا بتكفير مرتكب الكبيرة مخالفين فى ذلك أهل السنة والجماعة مما حدا بالمعتزلة على أن يقولوا : إن مرتكب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين ولقد كان يظن أن مثل هذه الآراء طويت واندثرت ولكن برز هذا الفكر من جديد وجاء من يعتقد أن المجتمع كافر وأنه قد رجع القهقرى إلى الجاهلية التى كانت سائدة قبل بعثة الرسول ﷺ ومن ثم فالمسلمون كافرون وإن صاموا وصلوا ووجد من يضيف إلى ذلك الفكر بدعة المفاصلة الشعورية وهى :

« مجاراة المسلمين فى عباداتهم ومعاملاتهم مع الاعتقاد بكفرهم وتأولوا ذلك بأنهم فى عصر الاستضعاف » .

هذا وقبل أن نأتى على هذا الفكر فنجلو ظلمته ونبدد شبهته فينبغى أن نقف على معنى الكفر فى اللغة العربية فلقد جاء فى لسان العرب مايلى : (٢)

« أصل الكفر لغة تغطية الشىء تغطية تستره » قال الليث :

« إنما سمى الكافر كافرا لأنه غطى قلبه كله وكل من ستر شيئا فقد كفره وكفره

---

(١) الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم جـ٤ ص١٨١

(٢) لسان العرب ص٣٨٩٨

والكافر الزارع لستره البذر فى التراب » .

الكفر شرعا :

جحد ما ثبت من الدين بالضرورة .

أنواع الكفر :[1] :

الكفر صنفان أحدهما الكفر بأصل الإيمان وهو أربعة أنواع :

١ ـ كفر إنكار :

وهو أن يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد .

٢ ـ كفر جحود :

أن يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وأمية بن أبى الصلت، ومنه قوله تعالى :

﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ يعنى كفر جحود .

٣ ـ كفر معاندة :

وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به حسدا وبغيا ككفر أبى جهل وأضرابه .

٤ ـ كفر نفاق :

وهو أن يقر بلسانة ويكفر بقلبه فمن لقى الله سبحانه وتعالى بشىء من هذه الأنواع لن يغفر الله له قال تعالى :

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [2] .

ثانيهما : ما يطلق عليه كلمة الكفر مجازا فقد وردت بعض النصوص ظاهرها يفيد الكفر أو الشرك بقصد الزجر والتخويف من الوقوع فى المعاصى ولا يقصد من تلك النصوص الخروج على الإسلام وذلك لورود أدلة عديدة لا تنفى الإسلام عمن ارتكب ذنبا من الذنوب التى أطلق لفظ الكفر على من اقترفها فمن الأحاديث

---

(١) الحكم وقضية تكفير المسلم البهنساوى ص٦

(٢) سورة النساء الآية ٤٨ .

النبوية التى تصف بعض الذنوب بالكفر على سبيل المجاز مايلى :

١ ــ جاء فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« من حلف بغير الله فقد أشرك وفى رواية فقد كفر » .

٢ ــ قال ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » رواه البخارى ومسلم .

٣ ــ قال عليه الصلاة والسلام « من أتى حائضا فقد كفر » .

٤ ــ قال ﷺ عن النساء :

« فرأيت أكثر أهلها « النار » النساء لكفرهن قيل أيكفرن بالله ؟ قال ﷺ : لا ولكن يكفرن الإحسان ويكفرن العشير » .

فهذه الأحاديث أطلقت كلمة كفر والشرك وقصد بهذا الزجر والوعيد الشديدين .

القواعد التى يبنى عليها تكفير المجتمع :

هذا الفكر المتطرف يرتكز على قواعد منها مايلى :

١ ــ الحاكمية ومعناها : الخضوع لحاكمية الله وحده ؛ لأن المسلمين فى عصرنا لا يدركون معنى شهادة أن لا إله إلا الله وبالتالى لم يدخلوا الإسلام وهى نفس الكلمة التى ترددت إبان الفتن بين الإمام على ومعاوية حينما صاح الخوارج بكلمة « الحكم لله » .

٢ ــ لا إيمان بلا عمل .

٣ ــ من لم يكفر الكافر فهو كافر .

٤ ــ الفهم المباشر للأدلة الشرعية دون الرجوع لعلماء السلف أو الخلف .

٥ ــ عدم العذر بالجهل والذى بحث فى فصل سابق .

٦ ــ البيعة لإمام الجماعة[١] وهى شرط أى جماعة إسلامية بل الجماعة التى ينتسبون إليها فقط .

---

(١) الحكم وقضية تكفير المسلم ص٣١

ومن لم يبايع إمامهم وينخرط فى جماعتهم فهو كافر ، وإن صلى وصام وكان فى جماعة أخرى وذلك اعتقادا منهم بأن جماعتهم هى جماعة المسلمين أما غيرها فهى تساعد على استمرار الجاهلية بسبب عدم مفاصلة المجتمع وإعلان كفره .

تحديد أصحاب هذا الفكر :

إن من المتعذر حصر هذا الفكر فى جماعة إذ إنهم جماعات شتى ولكل جماعة أمير يبايعونه ومنهج يلتزمون به ، ومما يزيد البحث صعوبة ووعورة أن هذا الفكر لا ينتشر فى كتب تطبع وتوزع ولكن يتناقله الأعضاء فحسب بمذكرات بخط اليد توزع على أفراد الجماعة أو بواسطة أشرطة تسجيل أو من خلال ندواتهم واجتماعاتهم التى ينأون بها بعيدا عن الأعين ، والكثير من أعضاء تلك الجماعات يتخذون مبدأ الكمون والتستر هذا وإن الجهة الوحيدة التى تقف على مبادئهم وتعرف الكثير عن تلك الجماعات هى أجهزة الأمن وهى بدورها تشارك فى هذا الغموض فلا تطلع علماء الأزهر ورجالات الفكر على مطبوعاتهم وآرائهم وأدلتهم التى يعتقدونها ليتمكن العلماء من مناقشتهم والأخذ بيدهم إلى الصواب .

ولهذا سأرجع إلى التقسيم الذى قسمه المستشار الهنساوى فلقد قال : (١)

« انقسم اصحاب هذا الفكر إلى طائفتين :

١ - طائفة أظهرت أنها لاتقول بكفر من خالفهم وبالتالى فإن الذين لايؤمنون بهذا الفكر ليسوا كفارا وتجوز الصلاة خلفهم وأيضا زوجات أصحاب هذا الفكر لسن كافرات ولا ضرورة لفسخ عقود زواجهن .

٢ - طائفة تمسكت بالمفاصلة الصريحة ، وأعلنت كفر إخوانهم الذين لايقولون بكفر من خالفهم ولو كانوا من الآباء والأمهات .

ولقد قسموا المسلمين إلى عدة أقسام :

١ - من آمن بالفكر واتبعه فهو المسلم الذى له الولاء الكامل .

٢ - من آمن بالحاكمية فقط ولم يؤمن بالجماعة أو لم ينخرط فيها لسبب ما فلا ولاء له وحكمه حكم الكافر .

---

(١) الحكم وقضية تكفير المسلم ص٣٧

٣ - من لم يؤمن بالعقيدة و لم يحاربها ووقف منها موقفا سلبيا تبلغ إليه الدعوة فإن التزم بمفهومها الكامل فهو المسلم له الولاء الكامل وإن آمن بالمفهوم دون الالتزم فلا ولاء له وحكمه حكم الكافر .

٤ - كل من حارب الفكر فهو كافر والعداء له صريح .

وبهذا القسم الشاذ أخرجوا المسلمين من ربقة الإسلام بأدلة أساءوا فهمها و لم يحسنوا تأويلها .

أدلة القائلين بتكفير المسلم :

استدلت تلك الجماعات على فكرها بأدلة نذكر منها ما يلي :

١ - أن إبليس - أعاذنا الله منه - لم يجحد الله عز وجل وإنما هو عصى وأصر على المعصية فحكم الله بكفره وعلى هذا يقاس المسلم غير الجاحد لله المرتكب للمعاصي .

٢ - قال تعالى : (١)

﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيما ﴾ .

فقالو : إن قاتل النفس عمدا لم ينكر وجود الله تعالى وإنما ارتكب كبيرة فحكم الله بخلوده فى النار ولا يخلد إلا الكافر .

٣ - قال ﷺ : (٢)

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس فيها أبصارهم وهو حين ينتهبها مؤمن » .

قالوا : لقد نفى الرسول ﷺ الإيمان عمن ارتكب الكبائر ومن انتفى إيمانه فهو كافر .

---

(١) سورة النساء آية ٩٣

(٢) المحلى لابن حزم جـ١١ ص١١٩

ه النصوص بعض ما ساقوه من أدلة لإثبات نفى الإيمان عمن ارتكب معصية
كبائر وترتب على هذا القول تكفير المجتمع .
رد على هذه الأدلة بما يلى :
القول بأن إبليس لم يجحد الله عز وجل هو خطأ واضح لأن إبليس جادل
وب حكم الله فقال معترضا على أمره بالسجود كما أخبر الله تعالى : (1)
لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾ فاعتراض إبليس
على أمر الله له بالسجود هو جحد لصواب حكم الله ومن توهم الخطأ فى
الله عز وجل فقد نفى عن الله الكمال وجعل من نفسه ندا لله عز وجل
ب ويخطىء أحكام الله تعالى وهذا هو الكفر بعينه ، أما آدم عليه السلام فيختلف
ذلك تماما فلم يجادل فى صواب حكم الله ولكنه سارع إلى الإقرار بخطئه حينما
فقال كما أخبر الله تعالى :
الا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ سورة
راف آية (٢٣) .
وهذا هو الفرق الذى يجب أن يلاحظ بين من يأتى المعصية وهو مقر بحكم الله
رف بتقصيره ومن يستحل مخالفة أمر الله تعالى والخروج على شرعه ، ولا اختلاف
المسلمين على أن من استحل المعاصى فقد جحد أمر الله ومن يجادل فى أمر
فهو كافر .
وبهذا يسقط الاستدلال الذى استدلوا به على جواز تكفير المسلم بالمعصية .
٢ ـ أما الاحتجاج بخلود قاتل النفس المؤمنة عمدا فى النار فهو احتجاج مردود
مرين .
الأمر الأول : أن هذا النص خاص بقتل النفس المؤمنه عمدا وليس عاما يشمل
كل المعاصى حتى يحتج به دعاة التطرف على أن مرتكب الكبيرة كافر .
الأمر الثانى : أن الخلود ليس خلودا كخلود الكافرين ولكنه كناية عن المكث

---

(١) سورة الحجر آية ٣٣
(٢) مكتبة الإمام عدد ١٢ صـ ٢٤ وزارة الأوقاف

الطويل بدليل ورود الكثير من الأدلة التى تؤكد خروج كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله من النار قال ابن كثير :

« والذى عليه الجمهور من سلف الأمة وخلفها أن القاتل له توبة فيما بينه وبين ربه عز وجل فإن تاب وأناب وخشع وخضع وعمل عملا صالحا بدل الله سيئاته حسنات وعوض المقتول عن ظلامته وأرضاه » (١)

قال تعالى :﴿ **إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** ﴾ فلقد أوضحت هذه الآية أن الله يغفر كل الذنوب إلا الشرك بالله .

٣ - أما قول الرسول ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ... إلخ فإن الايمان المنتفى إيمان المستحل لهذا الفعل جاحدا لأمر الله عامدا عالما بالتحريم .

أما من يعلم بحرمة هذا الفعل غير أن ضعف الوازع الدينى فى نفسه وانعدام المسئولية الدينية لديه فهذا مؤمن عاص ، إما أن يقام الحد عليه فى الدنيا أو يحاسبه الله على ذنبه يوم القيامة ولا يخرجه الذنب من حظيرة الإسلام ولا يحكم عليه بالارتداد عن الدين بدليل أن رسول الله ﷺ أقام حد الزنا على ماعز والغامدية وحد السرقة على المرأة المخزومية ولم يعتبرهم كفارا ولم يقم عليهم حد الردة بل إن الرسول ﷺ نهى عن سبهم وقال عن الغامدية « والله لقد تابت توبة لو وزعت على أهل المدينة لشملتهم » .

وبعد سوق هذه الأدلة التى تزيل ما علق بذهن البعض عن تكفير المسلم فيبرز سؤال هام :

هل يجوز تكفير المسلم ؟

لقد اتضح خلال المباحث السابقة جواز العذر بالجهل وأن مرتكب الكبيرة ليس بكافر ومن ثم بداهة لا يجوز أن ينسب إلى مسلم كفر وفسوق ، غير أننى أسوق

---

(١) ابن كثير ص٣٢٥

بعض النصوص التى تحذر من التشكيك فى إيمان المسلم وتنهى عن تكفيره ومن ذلك ما يلى :

١ ــ روى أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : (١)

« ثلاث من أصل الإيمان الكف عمن قال لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل » .

٢ ــ عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (٢)

« لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » .

٣ ــ عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : (٣)

« أيما رجل قال لأخيه ياكافر فقد باء بها أحدهما » .

٤ ــ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : (٤)

قال رسول الله ﷺ « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه » .

اعتزال المجتمع والهجرة منه :

من أخطر مظاهر التطرف اعتزال المجتمع والهجرة منه ، ولقد اتخذ هذا الفكر عدة أنماط من السلوك الشاذ منها :

١ ــ عدم الترشيح للانتخابات العامة ، لأن المجالس النيابية تشرع من دون الله والإسهام فى ذلك كفر بواح لأنه اتباع للكفر أو رضاء به .

٢ ــ مقاطعة المساجد لأن الصلاة فيها خلف أئمتها تتضمن الشهادة لهم بالإيمان وهم كافرون .

---

(١) الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد جـ١٨ ص٣٣٠ أحمد البنا

(٢) التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول . منصور ناصف جـ١ ص٢٩

(٣) الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد جـ١٨ ص٣٤٩ أحمد البنا

(٤) سنن الترمذى جـ١٠ ص١٠٢

٣ - الهجرة إلى الصحراء أو الكهوف والجبال لأن ذلك هو السبيل الذى سلكه الرسول لإقامة دولة الإسلام .

٤ - التوقف عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؛ لأن المجتمعات كافرة وليس بعد الكفر ذنب ، وعدم المساهمة فى أى إنتاج لأن ذلك يؤدى إلى تماسك المجتمع الجاهلى .

٥ - مقاطعة المدارس والجامعات وإخراج الأبناء منها .

٦ - ترك الوظائف بالحكومة والشركات وممارسة أعمال التجارة والزراعة (١)

وهذا النمط من السلوك تدمير للمجتمع المسلم وهزيمة وجدانية وعقلية للشباب ويتيح لأعداء الإسلام من مختلف التيارات والاتجاهات أن يتملكوا أزمة الأمور ويتحكموا فى مقاليد الأمة بينما الشباب المسلم يعيش فى الصحراء غارقا فى متاهات الجدل والسفسطة وهذا فرار من ساحة الدعوة وهروب من مواجهة قوى التحدى للإسلام وانطواء على النفس ، ولقد غاب عن عقول هؤلاء أن الرسول ﷺ خلال مراحل الدعوة فى مكة والمدينة لم يعتزل الناس بل كان يرتاد أنديتهم ويتجول فى أسواقهم ويبايع ويشترى منهم وإبان العهد المدنى لم يعتزل ﷺ عن القبائل غير المسلمة أو اليهود بل عقد معاهدة لتنظيم حياة المسلمين مع غيرهم فهل بعد هذا يأتى من يوجب الهجرة ويدعو للاعتزال مستدلا بهجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ويرد عليهم :

بأن الهجرة فى صدر الإسلام كانت فرضا على المسلمين لتأمين الدعوة والانطلاق حتى انتهت دوافع الهجرة . فلقد روى أن مجاشع بن مسعود قد جاء بأخيه مجالد ابن مسعود إلى النبى ﷺ فقال :

هذا مجالد جاء يبايعك على الهجرة فقال النبى ﷺ : « لا هجرة بعد فتح مكة ولكن أبايعك على الإسلام والجهاد » ، كما روى البخارى أن السيدة عائشه رضى الله عنها سئلت عن الهجرة فقالت :

« لا هجرة اليوم كان المؤمن يفر بدينه إلى الله ورسوله مخافة أن يفتن فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام والمؤمن يعبد ربه حيث يشاء » .

---

(١) الحكم وقضية تكفير المسلم ص٢٣٩ البهنساوى .

إذن فدوافع الهجرة الآن من المجتمع الإسلامى غير موجودة والاعتزال ضرب من العبث الفكرى والسلوك الشاذ وتقطيع لأواصر المودة والقربى وترك ساحة الدعوة شاغرة ينعق فيها دعاة الإلحاد والعلمانية وإذا كانت المجتمعات الإسلامية الآن قد انحرفت فى بعض أمورها وانتشرت بين ربوعها البدع واقترفت الآثام والمحرمات جهارا فإن هذا ليس مبررا للاعتزال والهجرة ، لأنها رغم هذا كله فإنها تسمى دار الإسلام .

هذا وقد يحتج دعاة الهجرة والاعتزال بقول الله تعالى :[1]

﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا** ﴾ .

ويجاب عن هذا الاستدلال بأن هذه الآية نزلت فى شأن بعض المسلمين الذين أسلموا خفية فى مكة وأخرجهم المشركون يوم بدر لتكثير سوادهم .

قال الإمام ابن كثير :[2]

« هذه الآية الكريمة عامة فى كل من أقام بين ظهرانى المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنا من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع » .

ويرد أيضا على الذين يعتزلون أهلهم ويهجرون بيوتهم بحجة أنهم مرتكبون لبعض الآثام بأنه ما من صحابى من صحابة رسول الله أسلم إلا وكان معه فى منزله أب أو أم أو أخ يناصبه العداء ويذيقه ألوان العذاب فما هجر أحد أسرته ولا ترك بيته بل جاء القرآن يوضح أن اختلاف العقيدة لا يمنع من صلة الأهل والإنفاق عليهم ومصاحبتهم بالمعروف قال تعالى :[3]

﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا** ﴾ .

مما سبق يتضح أن تكفير المجتمع واعتزاله والهجرة منه فكر بعيد عن الفهم الصحيح

---

(1) سورة النساء آية ٩٧

(2) تفسير ابن كثير لسورة النساء ص٣٤٣

(3) سورة لقمان آية ١٥

للإسلام وتخوف بالدعوة الإسلامية إلى العزلة والانطواء ويوقع المجتمع ـــــم فى فتن لا يعلم مداها إلا الله حيث يتخذ هذا الفكر ذريعة لضرب التيار الإسلامى عامة وتقييد حركة الدعوة والدعاة .

رابعا : الخروج على الحاكم وقتاله :

من المسائل التى تطرف فيها بعض الشباب جواز الخروج على الحاكم وقتاله . وهذه القضية من أخطر قضايا التطرف فهى تفتح باب الفتن التى لا تبقى ولا تذر . ويتذرع أعداء الإسلام بهذا الفكر لضرب الحركة الإسلامية والحيلولة دون تقنين الشريعة وتطبيقها .

ومسألة الخلافة والإمامة والعلاقة بين الراعى والرعية تحظى من الإسلام والمسلمين باهتمام كبير ، ولا أدل على أهميتها وخطورتها من أن الصحابة رضوان الله عليهم حينما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ورغم الذهول وفداحة الخطب الجلل والحزن العميق الذى انتاب المسلمين جميعا لوفاة الرسول ﷺ وانقطاع الوحى فإن هذا كله لم يشغل بال المسلمين عن التفكير فى أمر الخلافة والبيعة فحسم هذا الأمر فى سقيفة بنى ساعدة قبل مواراة جثمان الرسول ﷺ وكذلك فعل أبو بكر الصديق وهو يجود بأنفاسه حينما عهد إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بتولى أمر المسلمين وحينما طعن أبو لؤلؤة المجوسى عمر بن الخطاب فلم يمنعه تمزق أوصاله من تدبير أمر إمارة المسلمين فكلف ستة من الصحابة وضم إليهم ابنه عبد الله وظل يتابع أمر الخلافة وهو يعالج سكرات الموت حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ، ومن ثم اختير عثمان ابن عفان رضى الله عنه .

« فالإمامة موضوعة لخلافة النبوة(1)

وحراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع » .

هذا وإن تنظيم الإسلام للعلاقة بين الحاكم والمحكوم يحتاج إلى رسالة خاصة وليس موضوع بحثى غير أنى سأجتزئ من قضية الحكم فى الإسلام ما يثيره البعض من

(1) الأحكام السلطانية للماوردى ص5

لاعتقاد جواز الخروج على الحاكم وقتاله وقبل مناقشة هذا الفكر فما تجدر ملاحظته :

أن الإسلام يوجب طاعة الإمام ما دام لا ينهى عن معروف ولم يأمر بمنكر ويستدل على ذلك بما يلي :

١ ـ قال تعالى : (١)

﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ﴾ .

٢ ـ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : (٢)

قال رسول الله ﷺ : « من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى » .

٣ ـ وعن أم الحصين الأحمسية أنها سمعت النبى ﷺ يقول : (٣)

« اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشى ما أقام فيكم كتاب الله عز وجل » .

٤ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : (٤)

« على المرء السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا طاعة » فهذه الأدلة الشرعية توجب طاعة الإمام .

أدلة القائلين بكفر الحاكم والخروج عليه :

استدل القائلون بجواز كفر الحاكم والخروج عليه الذى لم يلتزم بشرع الله ولم يطبقه بأدلة أهمها تلك الآيات الكريمات من سورة المائدة والتى تختتم بقوله تعالى :

أ ـ ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ « الآية ٤٤ » ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ « الآية ٤٥ » ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾ « الآية ٤٧ » .

فاستدلوا بهذه الآيات على أن من لم يحكم بما أنزل الله فهو إما كافر أو ظالم

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩

(٢) حديث متفق عليه رياض الصالحين ص٢٩٧

(٣) رواه الجماعة إلا البخارى وأبوداود نيل الأوطار جـ٨ صـ٢٨٤

(٤) رياض الصالحين ص٢٩٢

أو فاسق مما يستوجب ردته عن الإسلام ووجوب قتاله .

ب - استدلوا بفتوى ابن تيمية حينما سئل عن قرية « ماردين » التى كانت تحكم بالإسلام ثم تولى أمرها أناس أقاموا فيها حكم الكفر .

حـ - ماجاء فى تفسير ابن كثير فى قوله تعالى :

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله : (١)

« ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهى عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والمصطلحات التى وضعها رجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم .

د - كذلك استدلوا بكتابات المرحوم أبى الأعلى المودودى والمرحوم الأستاذ سيد قطب عن الحاكمية والجاهلية فاستنتجوا من هذه الأدلة القول بكفر حكام المسلمين فلقد جاء فى كتاب الفريضة الغائبة تأليف المرحوم محمد عبد السلام عن الحاكم مايلى :

« وحكام هذا العصر قد تعددت أبواب الكفر التى خرجوا بها عن ملة الإسلام بحيث أصبح الأمر لا يشتبه على كل من تابع سيرتهم هذا بالإضافة إلى قضية الحكم » ويقول فى فقرة أخرى: فحكام هذا العصر فى ردة عن الإسلام تربوا على موائد الاستعمار وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلى .

ثم يعدد مؤلف هذا الكتاب صفات التتار من خلال فتوى ابن تيمية ويعقب على فتواه بقوله :

« أليست هذه الصفات هى نفس صفات حكام العصر هم وحاشيتهم الموالية لهم الذين عظموا أمر الحكام أكثر من تعظيمهم لخالقهم » .

ثم يستطرد فى كتابه حتى يقول : (٣)

« فلا شك فى أن ميزان الجهاد الأول هو اقتلاع تلك القيادات الكافرة واستبدال

---

(١) تفسير ابن كثير ص١٢٣ .

(٢) الفريضة الغائبة ص٣

(٣) الفريضة الغائبة .

نظام إسلامي بها استبدالا كاملا ومن هنا تكون الانطلاقة » وهذا الفكر جد خطير إذ هو يفتح باب الفتن على مصراعيه وقد تسبب في وقوع أحداث دامية روعت فيها الأمة وأزهقت فيها أرواح وزج بالآلاف إلى غياهب السجون والمعتقلات وتوجس الكثير خيفة من اليقظة الإسلامية .

الرد على من يرى قتال الحاكم :

الحاكم في الإسلام متى انعقدت له البيعة من أهل الحل والعقد المعبرين عن رأى جموع المسلمين أو بعهد له من الحاكم الذى قبله وجبت طاعته . هذا ويرد على ما استدلوا به من قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

فإن ملخص ما قيل في تفسير تلك الآية مايلي : [1] .

« إذا رجعنا إلى المأثور في تفسير الآيات نراهم نقلوا عن ابن عباس رضى الله عنه أقوالا منها قوله : كفر دون كفر وظلم ودون ظلم وفسق دون فسق ، ومنها أن الآيات الثلاث في اليهود خاصة ليس في أهل الإسلام منها شيء وروى الشعبي أن الأولى والثانية في اليهود والثالثة في النصارى وهذا هو الظاهر ولكنه ينبغى أن ينال هذا الوعيد كل من كان منا مثلهم وأعرض عن كتابه إعراضهم عن كتبهم » .

وما فعله صاحب المنار هو ما نطمئن إليه ونعتقد أنه الصواب لقول على بنى أبي طلحة عن ابن عباس : [2]

« من جحد ما أنزل الله فقد كفر ومن أقر به ولم يحكم فهو ظالم فاسق » .

وعلى هذا فإذا جار الحاكم في حكمه وضاعت الحقوق ولم يأمن الناس على حياتهم ولم يأخذ بمبدأ الشورى فيجب على الهيئة التى اختارته أن تقدم له النصح وتقومه فإن أبى تقيله وليس يحق لفرد من الأمة أو لمجموعة من الأفراد أن يخلعوه من الحكم وإلا انقلبت الأمور إلى فوضى اجتماعية وثورات دامية ، لهذا جاءت السنة المطهرة بالصبر على هنات الحاكم درءاً للفساد وخشية الفتن .

---

(١) تفسير ابن كثير لسورة المائدة ص١٢٢

(٢) تفسير المنار جـ٦ ص٤٠٣ الشيخ رشيد رضا .

١ – فعن عرفجة قال : قال رسول الله ﷺ :

« ستكون بعدى هنات وهنات [١] من أراد أن يفرق أمر المسلمين وهم جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان » [٢]

٢ – وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [٣]

« من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإن من مات مفارقا الجماعة شبرا مات ميتة جاهلية » .

٣ – وعن عرفجة أيضا قال : سمعت رسول الله ﷺ : يقول

« من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » .

٤ – بل إن الإسلام لا يجيز بحال من الأحوال أن تمتد يد لقتل الحاكم ، لأن الرسول ﷺ حدد قتل المسلم في أمور ثلاثة فقال :

« لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة». فإذا ما أقام الحاكم الصلاة ولم ينكر ما علم من الدين بالضرورة فلا نحكم بكفره قال ﷺ : « إنه يستعمل عليكم أمراء فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال لا ما أقاموا فيكم الصلاة » [٤]

وإذا كان الظالم والفاسق تجوز إمامته فى الصلاة فقد سبق عند البحث فى الجمعية الشرعية فى الباب الثانى – الفصل الأول أن أفردت بحثا عن جواز إمامة الفاسق والمبتدع مستدلا بما جاء فى صحيح البخارى تحت باب (إمامة المفتون والمبتدع) وما ذكره ابن حزم فى كتابه الفصل فى الأهواء والملل « تحت عنوان (الكلام فى صلاة الفاسق) .

---

(١) جاء فى لسان العرب الهنات / الشرور والفساد مفردها هنة وقد تجمع على هنوات جـ٣ ص٣٦٦

(٢) رواه أبوداود والنسائى والحاكم

(٣) نيل الأوطار للشوكانى جـ٧ ص٧١١

(٤) التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول – منصور ناصف – جـ٣ ص٤٠

وإذا كان العلماء قد ارتضوا إمامة الفاسق والمبتدع في الصلاة أفلا يرتضى بالحكام المتكاسلين العاصين عن تطبيق شرع الله مغبة الوقوع في غش ؟

٥ - روى أحمد وأبو يعلى عن رسول الله ﷺ قال :

« يكون عليكم أمراء تطمئن لهم القلوب وتلين لهم الجلود ثم يكون عليكم أمراء تشمئز منهم القلوب وتقشعر منهم الجلود فقال رجل . أنقاتلهم يا رسول الله ؟ قال ﷺ : لا ما أقاموا فيكم الصلاة » (١)

مما سبق يتضح - والله أعلم - أنه لايجوز الخروج على الحاكم المسلم إلا إذا أنكر ما علم من الدين بالضرورة . فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال :

« بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان وعلى أن نقول الحق لا نخاف فى الله لومة لائم » . (٢)

وعن ابن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » . (٣)

هذا وإذا كانت الأدلة الشرعية توجب على الرعية طاعة الإمام وعدم الخروج عليه فإن لكثير من نصوص القرآن والسنة تلزم الحاكم أن يطبق شرع الله ويعدل بين الرعية وألا يجنح إلى الظلم والبطش والاستبداد بالرأى واتباع الهوى وأن يلتزم الشورى وبهذا تستقيم الأمور وتجتمع القلوب على هدى وبصيرة من شرع الله قال تعالى :

﴿ ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ . (٤)

---

(١) رواه الإمام مسلم

(٢) رواه البخارى ومسلم

(٣) التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول - منصور ناصف - جـ٣ ص٤٤

(٤) سورة المائدة آية ٥٠

وبعد : فلقد اتضح من خلال موضوعات هذا الفصل المسائل التى تطرف فيها بعض الشباب ، وظهر عبر الدراسة لفكرهم ومناقشة آرائهم أنهم اشتطوا فى القول وتغالوا فى الرأى وجانبهم الصواب فى تأويل بعض النصوص التى ساقوها تأييدا لما ذهبوا إليه وهذه الأمور التى بحث تعتبر أهم قضايا هذا الفكر ، وهناك مسائل أخرى لجماعات إسلامية كثيرة عرفت بعض أفكارها وخفى الكثير منها ولكن هذه القضايا المتنوعة والمتفرعة تفريعات عديدة ترجع جميعا إلى تلك الأمور التى أثيرت على بساط العرض والدراسة السابقة .

لهذا أكتفى بذلك دون الاستطراد فى باقى مسائل التطرف والمتطرفين ونختم هذا الباب بالفصل الثانى إن شاء الله .



الفصل الثالث

كيفية احتواء هذا الفكر وعلاجه

إن احتواء هذا الفكر وعلاجه يحتاج إلى دراسة متأنية وأبحاث هادئة وهادفة وسوف أحاول جاهدا بتوفيق الله أن أضع بعض الوسائل لعلاج تلك الظاهرة والأمر ليس أمر وضع حلول وطرح مقترحات على بساط العرض فما أكثر تلك المقترحات وما أكثر من تعرضوا لهذا الفكر موضحين أبعاده ومشخصين مواطن الداء وما أسهل هذا لدى الباحثين والمفكرين غير أن الأمر الصعب الذى ليس فى وسع الكاتب هو أمر التنفيذ وإبراز هذه الآراء وتلك المقترحات إلى ميادين الحياة العملية بحيث لا تبقى حبيسة القلم والقرطاس .

وأنى للكاتب تحقيق مايتمناه من رؤية أفكاره تحيا مع دنيا الناس ؟

وسوف أحاول جاهدا - بتوفيق الله - فى إيجاز أن أوضح أسلوب الاحتواء والعلاج واضعا هذه المقترحات نصب أعين المسئولين خاصة علماء الأزهر الشريف لعل هذه الأفكار تجد بصيصا من النور يبدد ظلام التطرف ويأخذ بالشباب إلى ظلال الإسلام وهدى القرآن .

وقبل أن استطرد فى بيان كيفية احتواء هذا الفكر فمما يجب ملاحظته أن هناك عدة أخطاء ارتكبت لعلاج تلك الظاهرة ، وكانت سببا فى تفاقم أمر التطرف وبروز بعض الأعمال الطائشة والتى تسببت فى تعويق اليقظة الإسلامية المعاصرة ومن هذه الأخطاء ما يلى :

أولا : خلق شعور عام بانعدام الثقة بين الشباب المتدين والدولة وكذلك بين

لشب وعلماء الأزهر مما أدى إلى نفور كل فريق من الآخر وإنشاء هؤلاء الشباب لأنفسهم دولة داخل الدولة وأسقطوا عن أتباعهم بفتوى من أنفسهم واجب الالتزام بالمجتمع والقانون ؛ لأنه في نظرهم مجتمع جاهلي وكافر وانتقل حق الأمر والطاعة داخل هذه الجماعات من سلطان أولى الأمر في الدعاة إلى سلطان الأمراء الذين نصبوهم على أنفسهم »[1]

ثانيا : محاولة استئصال هذا الفكر بالعنف وقوة القانون وبطش السلطان وكلما ازدادت الدولة في وسائل العنف والقهر تولد لدى أصحاب هذا الفكر شعور عميق بأنهم أصحاب رسالة يلاقون المحن في سبيلها كالأنبياء والمرسلين . ومعالجة الفكر بهذا الأسلوب جعله يتوارى ويكمن ويترقب لحظة يبرز فيها من جديد وهو أقوى عنفا وأشد شراسة .

ثالثا : معالجة هذا الفكر بين أقبية السجون .

إن هذا الفكر يتوارى ويستتر خشية البطش به ولا يعرف الدعاة عنه شيئا وبعض الدعاة لا يقوى على مواجهة هذه الأفكار حينما يفاجأ بالمناقشة بدون اطلاع على أصول هذا الفكر ، وأجهزة الأمن بدورها لا تنسق بينها وبين الدعاة فتطلعهم على ما لديها من كتب ودراسات حول هذا الفكر وحينما يتفاقم الأمر وتحدث المواجهة المريرة والدامية بين الشباب والسلطة تقام ندوات ومحاضرات بين أقبية السجون وغياهب المعتقلات . ومثل هذه الندوات تعطى نتائج سلبية إذ كيف يناقش إنسان وهو مكبل بالقيود والأغلال ؟ ثم إن هذا الأسلوب يزيد الجفاء وانعدام الثقة بين بعض الشباب وعلماء الأزهر ، إذ يشعرون من خلال تلك المحاضرات أن العلماء قد دفعوا باسم السلطة لمحاكمة أفكارهم وتمهيدا للأحكام التى ستصدر عليهم وتشويه صورتهم أمام الأمة . ولقد ثبت خطأ هذا الأسلوب فعقب اعتقال الكثير من جماعة الإخوان المسلمين عام (١٩٦٥م) أقيمت محاضرات وندوات ولم تثمر شيئا سوى مزيد من التطرف والعنف فى أعوام (٧٤ ، ٧٧ ، ١٩٨١ م) .

---

(١) الأهرام ١٩٨٢/١/٢٢ د . أحمد كمال أبو المجد ص٣

رابعا : المبالغة والتهويل والخوف من المتطرفين : فمن أخطاء معالجة هذا الفكر المبالغة في شأنه وإبراز بعض الشباب في صورة أناس فقدوا كل معالم البشرية وأن حياتهم تآمر وتخريب وأسلحة ومفرقعات وخطط ووثائق وعمالة لهذه الدولة أو تلك وتسلط أجهزة الإعلام لتشويه سيرتهم والتنديد بسلوكهم وإذا كان البعض القليل انحرف في فكره وأقدم على عمل طائش فما جريرة القاعدة الشبابية لكي تأخذ بجرم هؤلاء بينما نجد المتطرفين نحو الرذيلة ينغمسون في مستنقعات الفاحشة ولا يتعرض لهم أحد فيلحق بهم أدنى أذى بل ينظر اليهم على أنهم دعاة التقدم والتحرر وهم نجوم المجتمع وقدوته المثلى .

يقول الدكتور القرضاوى :[1]

« هل من الإنصاف أن ننحي باللائمة ونصب جام غضبنا على الشباب الذى يعيش للإسلام وبه محافظا على الصلوات هاجرا للمنكرات محصنا فرجه غاضا بصره حافظا لسانه يتحرى الحلال ويتوقى الحرام حريصا كل الحرص على ما يعتقد أنه أدب الإسلام ننكر على هذا الشباب الناشيء فى طاعة الله مهما يكن متشددا أو متزمتا على حين نسكت عن الشباب الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات من المائعين الذائبين الذين لا يكاد يميز الفتى فيهم من الفتاة ؟..

هل من الإنصاف أن ننكر على الفتاة التى تلبس النقاب على وجهها ونسخر من زيها وهى لم تفعل ذلك إلا إرضاء لربها واتباعا لدينها حسبما فهمت أو أفهمت ، على حين نرى الصنف الآخر من الفتيات المميلات المائلات الكاسيات العاريات فى الشوارع والشواطيء ولا يحرك أحد ساكنا ولا ينبس ببنت شفة ؟ هل من الإنصاف أن يتعالى الصراخ ويشتد النكير على ما سمى بالتطرف الدينى وأن يلوذ الجميع بالصمت تجاه التطرف اللادينى » .

خامسا : المزج والخلط بين التطرف كظاهرة بين بعض الشباب وبين اتجاه الشباب عموما نحو الإسلام فما تكاد تنحرف جماعة وتقدم على عمل طائش إلا ويتحمل التيار الإسلامى عامة تبعة هذا العمل وتوضع الصحوة الإسلامية فى قفص الاتهام

---

(١) الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف د . يوسف القرضاوى ص٣٣٩

حمد أنشطة الجمعيات وتصادر مجلاتها وتلغى الأنشطة الدينية بين أروقة الجامعات
ج بالآلاف إلى السجون بمجرد الظن والشبهة ويشعر كل شاب متدين أنه قد
حد بين لحظة وأخرى مما يولد شعورا بالمقاومة والعنف والإقدام على أعمال غير
ئولة ويائسة ولقد تعددت تلك الظاهرة فى فترات زمنية متلاحقة ، حدث هذا
سق فى أعوام (٤٨ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ٧٧ ، ١٩٨١م) مما أشاع جوا من انعدام
ة بين الشباب والدولة .

سادسا : استمرار إثارة الشباب :

من أخطاء التصدى للفكر المتطرف دوام إثارة الشباب واستعداء السلطة عليهم
يما تبرز بعض الأفكار الخاطئة إذا بأقلام النفاق وألسنة كل حاكم تغمس أقلامها
لحوم هؤلاء الشباب وسلوكهم وتنظم المسيرات تؤيد حملات التحفظ والإجهاز
شر الكتب بعنوان « رأى الدين فى إخوان الشياطين » ، ومعالم على طريق الخيانه
رجعية ، ودعوة لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة ، والمحاولات المستمرة
الاعتداء على قانون الأحوال الشخصية وفصل الدين عن الدولة وتبارى ألسنة
قلام فى هذا الهراء الفكرى الذى لا صدى له إلا عند أصحابه ومن الكتب التى
ث سمومها كتاب الدكتور فرج على فودة بعنوان « الوفد والمستقبل » هذا الكتاب
ضح موقف الأحزاب عموما وحزب الوفد خاصة نحو التيار الإسلامى فيقول فى
ص ٧٥ :

« إننا نؤمن بالمبادىء التالية :

أولا : نرفض رفضا تاما أى دعوة لإنشاء دولة دينية تحت أى شعار . إن بلادنا
ست فى حاجة إلى تكرار تجربتها مع الحكم المستتر خلف شعار الدين لأكثر من
ف عام .

ثانيا : إن الولاء للوطن يسبق الولاء لأى عقيدة .

ثالثا : إن رفع الشعارات الدينية هو المدخل السهل لأى جذب لاجتذاب مشاعر
بسطاء وهذا يمثل مدخلا سهلا إلى تفكك الوحدة الوطنية للبلاد والإرهاب الفكرى
لمواطنين .

رابعا : إذا كنا نرفض تدخل الدين فى السياسة فإننا ندين تدخل السياسة فى

الدين . إن تسييس الدين أو تديين السياسة وجهان لعملة واحدة هي المبرر للوحدة الوطنية في مصر .

خامسا : لا تأثير لديانة الفرد أو معتقداته على موقفه الحزبي أو السياسي أو الوظيفي في الدولة وثبوت عكس ذلك جريمة يجب أن تقمع ويعاقب من يرتكبها . لقد شهدت بلادنا دوائر انتخابية أغلبيتها مسلمة ويفوز فيها مرشح قبطي أو يهودي بإرادة شعبية حقيقية ، وشهدت بلادنا منصب رئاسة بل ورئاسة المجلس النيابي يتولاها قبطي دون أن يثير حرجا أو جرحا لمشاعر المواطنين وكان شعار الحزب الدين لله والوطن للجميع [1]

هذا الهراء الفكري المسموم والخبيث ينشر بدون استحياء أو خجل ولست في مقام الرد عليه ، لأنه فكر هش وضحل لا يقوى على مواجهة أو يصمد أمام دليل ولكن أعرض صورة لاستعداء التيار الإسلامي وإثارته وعدم احترام مشاعر الأمة في أعز مقدساتها وهو الإسلام ديناً ودولة ثم بعد هذا نملأ الدنيا صياحا من التطرف والمتطرفين .

ثم تتحدث بعض فقرات هذا الكتاب المطبوع طباعة أنيقة ويوزع مجانا عن الصراع الحتمي بين حزب الوفد واليقظة الإسلامية فيقول :

« سوف يكون الصراع حتى نهاية القرن في مصر بين الوفد والاتجاه السياسي الديني المتطرف .. يجب أن يتبين للجميع وأن يدركوا أن الحزب الوحيد المؤهل لقيادة هذا الصراع لمصلحة التقدم هو الوفد بكل قواعده » .

كان هذا هو اتجاه من يتطلعون لحكم مصر وليت العداء الأحمق لليقظة الإسلامية مقصور على أمثال هذا الدكتور فحسب ولكن هناك الشيوعيون الذين يضمهم حزب التقدم الوحدوي وهناك الكتاب الملحدون وهم ضروب شتى وأهواء متنازعه لا يجمعهم سوى الحقد والكيد للإسلام وهذا يخلق رد فعل لدى الشباب المسلم أشد عنفا وأكثر تحديا .

---

(١) هذه مغالطات تاريخية يقصد بها تضليل هذا الجيل فلم يحدث أن تولى رئاسة الوزراء غير مسلم سوى تلك الفترة التي تولاها بطرس غالي صنيعة الاحتلال والذي حاول مد امتياز قناة السويس ولكنه لقي جزاء خيانته على يد الشاب المسلم إبراهيم الورداني

هذه بعض الأخطاء فى معالجة الفكر المتطرف .

اراء ومقترحات لاحتواء الفكر المتطرف وعلاجه :

قبل أن نعرض ما نراه علاجا لقضايا التطرف فإنه مما يجدر ملاحظته ولا يخفى عن عين الكاتب وعقل المفكر أنه ما دام هناك انفصال تام بين الإسلام كدين ينظم لعلاقة بين أفراد المجتمع فى كل شئونه وبين واقع المسلمين اليوم الغارق فى دياجير الظلام ويترنح تحت وطأة المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية واستجداء الحلول من نظم الشرق والغرب فإن التطرف لن تغرب شمسه ولن يتوارى مهما اشتدت الضراوة به بل سوف يزداد ويلاحظ هذا من خلال تتبع هذا الفكر وأنه فى نمو واطراد رغم كل وسائل قمعه أو معالجة أفكاره هذا وإننى أضع فى إيجاز وسائل العلاج فيما يلى :

أولا : القضاء على كل أسباب التطرف :

سبق فى الفصل الأول من هذا الباب ذكر أسباب التطرف وأن أولى خطوات العلاج تكمن فى القضاء على تلك الأسباب السابق ذكرها ، لأنه إذا ما انتهت تلك الدوافع فلن يجنح أحد إلى الغلو والتطرف .

ثانيا : المعالجة الفكرية والسياسية والاجتماعية .

يلاحظ أن ظاهرة التطرف تبدو مركبة ومتداخله وكذلك يجب أن يكون العلاج مركبا ويشمل ميادين ثلاثة حددها الدكتور أحمد كمال أبو المجد وهى :

أ ـ الجانب الفكرى(١)

« يحتاج الجانب الفكرى إلى علاج فى المدى القريب وعلاج على المدى البعيد ففى المدى القريب يحتاج الأمر إلى الكشف عن الأخطاء العلمية التى يقع فيها أكثر هؤلاء المتطرفين فلا بد من مناقشة المسائل التالية :

١ ـ أسلوب الأخذ من المصادر الإسلامية وقواعد الاستدلال والترجيح بين الأدلة

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٨٢/١/٢٢ د. أحمد كمال أبو المجد ص٢

وقضية الأولويات فى عرض الإسلام على المسلمين وتوحيد الجهد الفكرى والحركى لخدمة الإسلام .

٢ - تصحيح الفكر فى قضية الإيمان والكفر والجاهلية ومعناها وحاكمية الله وما يقصد به ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من يملكه ؟ وما وسائله ؟ وأين تنتهى حدود الممارسة ؟ وقضية جماعة المسلمين التى أمرت الأحاديث النبوية بلزومها وعدم مفارقتها من هى ؟ وما شروطها ؟ وهل تصدق على كل تجمع صغير أو كبير ؟ وما علاقة المسلم بالآخرين ؟ ومسألة اعتزال المجتمع ومؤسساته : هل تجوز ؟ وهل لهذا الجواز حدود ؟

وتصويب هذا الفكر وتصحيحه ووضعه فى إطار الفهم الصحيح للأدلة الشرعية يحتاج إلى جهد علمى كبير وليس سوى الأزهر الشريف هو الذى يستطيع أن يقوم بأعباء هذا الجهد لهذا أقترح ما يلى :

أن يضم منهج كلية أصول الدين - خاصة قسم الدعوة - دراسة عن هذه الموضوعات لاتقتصر على الطلاب فحسب ولكن تطبع على الشباب مجانا والعلاج على المدى البعيد هو :

١ - يجب إعادة النظر فى قضية التعليم فى مصر خاصة التربية الإسلامية فى مختلف المراحل .

٢ - تعميق دور الأزهر وعلمائه وتوضيح علاقة الدعاة بالدولة والأمة .

٣ - وضع أجهزة الإعلام فى القالب الإسلامى الصحيح وأن تخضع كل البرامج للتوجيه الأخلاقى للمسلمين وأن يتم التنسيق بين تلك الأجهزة والأزهر والقائمين على أمر الشباب بحيث يعمل الجميع فى تناسق وتعاون بهدف وضع المسلم على الطريق الموصل لسعادة الدارين .

كما يجب إعداد دعاة متخصصين يعينون فى المدارس والجامعات والمصانع وكل موقع به تجمعات كثيرة خاصة القوات المسلحة ويتولى هؤلاء الدعاة الإشراف الدينى ويعطون من الصلاحيات ما يجعل رأيهم محل احترام كالمحتسب فى صدر الإسلام .

هذه ... يتحرك جمهور ... للأزهر والأوقاف صوب ... فقد ... سوى ... وبهذا الأسلوب يتم احتواء هذه الظاهرة ...

ب ـ ... السياسي

يجب على الأجهزة الرسمية والقيادات الشعبية أن تكشف عن القطيعة بينها وبين الجماعات الإسلامية وألا تتوجس الدولة خيفة من أصحاب هذا الفكر وهذا يتحقق بأمرين :

الأول : الانفتاح الفكرى والسياسى الذى يتيح الفرص للتعبير عن هذه الأفكار التى تتفاعل فى كيان الإنسان ومشاعره وإذا لم يجد لها متنفس فى التعبير عنها فإنه يتحول إلى طاقة حقد وغضب على المجتمع فالانفتاح الفكرى هو العاصم الحقيقى للشباب من ... التعصب .

يقول د . ... (١)

« إن غياب لغة الحوار وغياب الشباب عن ممارسته منذ الصغر ، وإغلاق منافذ التعبير عن الآراء والمواقف المخالفة كل ذلك هو الذى يغرى باللجوء إلى الوسائل الانقلابية » .

الثانى : تحقيق قدر من الثقة المتبادلة بين الأفراد والدولة ووضع حد لأزمة التصديق والثقة التى عانت منها الحياة السياسية وذلك بسبب الشعارات البراقة والوعود الكاذبة الفارغة مما يدفع الشباب إلى اليأس من كل إصلاح والجنوح إلى التغيرات بوسائل بعيدة عن أعين الدولة ومؤسساتها وحينما تعطى الثقة للمتدين وتوكل إليه بعض الأمور ويتقلد بعض المناصب ليس على سبيل الإغراء أو الاحتواء ولكن ثقة فى تدينه واطمئنانا إلى مسلكه الملتزم بآداب الإسلام فلا ريب أن هذا سيعود بالخير على الأمة . فإن الانحراف فى جهاز الحكومى وانتشار الرشوة والسرقة والإهمال . ... هو ـــــ

---

(١) الأهرام فى ٢٢-١٠-١٩٨٦م ص٣

يسند الأمر لأناس ماتت ضمائرهم وضعف إسلامهم ولله در الشاعر الإسلامي إقبال حينما قال :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحي دينا

جـ ـ الجانب الاجتماعي :

لا يمكن فصل التطرف عن الظواهر الاجتماعية والأحوال الاقتصاديه ولقد مرت الأمة خلال النصف الثاني من القرن العشرين بمرحلتين اقتصاديتين نتج عنهما الكثير من الآثار على السلوك الاجتماعي .

المرحلة الأولى :

الانغلاق الاقتصادى واتخاذ الأسلوب الاشتراكي منهجا وتطبيقا فحدثت تجاوزات وإهدار للقيم من خلال التأميم والحراسة ومصادرة الحريات وضرب التيار الإسلامي بقسوة في عامى (١٩٥٤ ، ١٩٦٥م) وتغلغلت هذه الأمور في وجدان الشباب الذى كان يطلق عليه جيل الثورة حتى كان التمزق النفسي إبان هزيمة يونيه (١٩٦٧م) مما جعل الشباب يبحث عن هويته الإسلامية التى غاب عنها ردحا من الزمن .

المرحلة الثانية :

الانفتاح الاقتصادى الذى ترتب عليه مايلى :

١ ـ فتح الباب على مصراعيه تحت شعار الانفتاح مما نتج عنه تفاوت اجتماعي رهيب يصل لدرجة الاستفزاز الذى يتحول إلى الغضب والثورة ، فضلا عن ظهور فئة أثرت ثراء فاحشا بطرق غير شريفة ومعاونة بعض ذوى السلطان مما جعل الشباب يتبرم ويضيق بالنظام كله .

٢ ـ تسببت هذه الفئة الطفيلية والمتسلقة والتى أثرت في فترة وجيزة إلى خلق نوع من الترف الاستهلاكي دون مراعاة لشعور جموع الأمة التى لا تملك حد الكفاف مما يولد شعورا بالحقد الاجتماعي ولا يجد متنفسا له سوى الانغماس في القراءة الدينية بدون معلم مما يؤدى إلى تأويل النصوص وفق ما يعانيه من ثورة كامنة فيثور على هذا الواقع ويعمل على تغييره معتقدا في قرارة نفسه أنه

مجاهد في سبيل الله وأنه يبغى إحدى الحسنيين إما نصر على النظام الجاهلي كما يعتقد أو الشهادة .

ولهذا سيظل الفكر المتطرف ما بقي النظام الاقتصادي المتهالك والمخرج من عدم تخليص هذا النظام من كل ما يغضب الله من ربا ورشوة واختلاس ... والعقاب الرادع لكل من تسول له نفسه استغلال الأمة .

وإذا ما كنا بصدد علاج الظواهر الاجتماعية التي تدفع بالشباب إلى التطرف فلنحى في النفوس الحياة الاجتماعية الإسلامية في الزواج من حسن الاختيار وعدم التغالي في المهور والبساطة في المسكن والملبس وهذا هو الحل الإسلامي والذي به يسهل احتواء أي فكر شارد أو رأى متطرف وتصان دماء وأرواح الشباب وهناك في الجعبة الكثير من المقترحات ولكني أمسك عن ذكرها منعا للاستطراد ؛ لأن الاتجاه إلى العمل الجاد ولو باقتراح واحد أجدى وأنفع من آلاف المقترحات التي تظل حبيسة في بطون الكتب وخزائن المكتبات . وبعد فهذه وسائل الاحتواء والعلاج لظاهرة التطرف وبدون هذه المعالجة وعدم احتواء الشباب والعناية به ولين الجانب له سيبقى التطرف ظاهرة متجددة تقرع سمع المجتمع وتهز كيانه بين كل حين وآخر مما يؤدى إلى فتن كقطع الليل المظلم لا يعلم سوى الله متى تنقشع .

أخطار البث الإعلامى المباشر
على الإســلام
وطرق مقاومته

لقد خلق الله الإنسان فى أحسن تقويم ومنحه العقل الذى يفكر به واللسان الذى ينطق به وأودع بين حنايا قلبه وخلجات نفسه المشاعر والأحاسيس التى تسمو به على الأجناس الأخرى التى تتعايش وتتعامل معه على ظهر الأرض قال تعالى :[1]

﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾

(١) سورة الاسراء ، آية ٧٠ .

هذا لتكرم و التفضيل ليس لكون الإنسان يأكل أو يتناسل فهذه فى حقه وسائل لتحقيق غايات أسمى وأهداف أنبل ولكن كرم الإنسان بأفضل ما أودعه الله فيه . وهو العقل .

والعقل فى اللغة : [1]

« الحجر والنهى ضد الحمق والجمع عقول

ورجل عاقل : وهو الجامع لأمره ونهيه

وقيل العاقل : الذى يحبس نفسه ويردها عن هواها أخذ من قولهم :

قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع من الكلام وقيل سمى عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط فى المهالك أى يحبسه

وقيل العقل التثبت من الأمور

وقيل عنه أيضاً : أنه التمييز الذى به يتميز الإنسان عن سائر الحيوان » .

فالعقل هو مركز التدبير ومحور التفكير ومناط التكيف وعلامة التميز واليه تتوجه دعوات الأنبياء والمرسلين لعبادة رب العالمين وشطره يهمس الشياطين من الانس والجن بالانحراف عن الصراط المستقيم .

فلقد خلق الله الإنسان مكوناً من :

١- حكمة العقل والتفكير

٢- عواطف القلب ومشاعر الوجدان

---

(١) لسان العرب ، ص ٣٠٤٤٦ ، ط دار المعارف .

٣ - شهوتى البطن والفرج

وليس من مصلحة الإنسان أن يسيطر أمر من هذه الأمور على الآخر وإنما الخير كل الخير أن تبقى هذه العناصر مجتمعة فى تناسق واتزان وتعادل دقيق تحدد طرق السير واتجاه الهدف وفق فطرة الله التى فطر الخلق عليها . قال تعالى : [1]

﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾

والعقل أن لم ينشأ ويترعرع بين ظلال الوحى الالهى فإنه يحطم نفسه ويدمر الإنسانية التى يقودها . كما يحدث فى هذا العصر حينما تخلص العقل من سيطرة الدين عليه وابتعد عن رحابه واستقى علومه الاجتماعية ونظمه الثقافية والاقتصادية من ينابيع آسنة ومصادر بشرية تتلاعب به وتزين له طرق الشر من خلال الغزو الاعلامى المباشر وغير المباشر .

وقد بدأ غزو العقل الإنسانى وتسميم الفكر البشرى ودفعه بعيداً عن الحق والصواب منذ أن خلق الله آدم عليه السلام وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لخلقه وتسليماً بحكمته فامتثلوا لأمره سبحانه وتعالى ما عدا الشيطان الذى أرغى وأزبد واستنكف وتكبر وتولى وأعرض وتوعد ...

---

(١) سورة الروم ، آية ٣٠ .

فأهبط من الجنة صاغراً ، قال تعالى :[1]

﴿ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين . قال أنظرني إلى يوم يبعثون . قال إنك من المنظرين . قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين . قال اخرج منها مذؤما مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ .

ومنذ هذا التاريخ بدأ الشيطان يغزو عقل الإنسان ويعبث بفكره وكان أول تسلل نجح فيه ومكنه الله منه لحكمة سامية هو غزوه لعقل آدم وحواء عليهما السلام والوسوسة لهما بالأكل من الشجرة رغم تحذير الحق سبحانه وتعالى لهما ، قال تعالى :[2]

﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما

---

(١) الأعراف ١٣ - ١٨ .

(٢) الأعراف ١٩ - ٢١ .

إني لكما لمن الناصحين ﴾

فمنذ بدء الخليقة ارتكز غزو العقول من قبل شياطين الإنس والجن على

قاعدتين :

القاعدة الأولى:

الوسوسة : جاء في لسان العرب.[1]

الوسوسة والوسواس : الصوت الخفي من ريح أو صوت جلي

والوسوسة والوسواس : حديث النفس .

يقال وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواسا والوسواس بالفتح هو الشيطان

وجاء في المصباح المنير [2]

الوسواس بالفتح مرض يحدث من غلبة السوداء يختلط معه الذهن ويقال لما

يخطر بالقلب من شر ولما لا خير فيه وسواس .

هذا ولقد تطورت أساليب الوسوسة عبر التاريخ حتى بلغ ذروتها وتفاقم خطرها من خلال البث الإعلامي سواء المباشر أو غير المباشر كما سنوضح بين ثنايا هذا البحث إن شاء الله .

---

(١) لسان العرب ، ص ٤٨٣ ، ط دار المعارف .

(٢) ص ٨٢٤ .

القاعدة الثانية:

أن غزاة العقول من الإنس والجن يرتدون رداء الصداقة ويتقنعون بأقنعة النصح ويقسمون بأغلظ الأيمان أنهم دعاة العلم ورسل الثقافة ولا أدل على تغريرهم بالشعوب أنهم أطلقوا على احتلال الاوطان ونهب الثروات ومسخ الاخــلاق لفظ « استعمار » والأولى أن يطلق عليه « استخراب » وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ﴾

فقد دلف إلى عقليهما وتسلل إلى قلبيهما من بابى غريزة الملك والتملك وغريزة حب البقاء والخلود فخدعهما وغرر بهما وهو يرتدى ثوب الناصح الأمين . كما أخبر القرآن الكريم فى أكثر من موضع .

ومنذ فجر التاريخ الإنسانى أصبح العقل البشرى ميداناً لدعوات المرسلين ومضمارا لوسوسة الشياطين . يسمو ويرقى ويتألق كلما استضاء بنور الوحى الالهى . وينكس ويهوى فى ظلمات سحيقة كلما أصغى لشياطين الانس والجن .

واستمر هذا الصراع بين الخير والشر لا ينطفئ لهيبه ولا تخمد جذوته يتعاقب قرنا بعد قرن يحمى وطيسه ويشتد رحاه بين رسالات الانبياء والمرسلين وبين دعوات الشياطين حتى ختمت الدعوات والنبوات بخير خلق الله وخاتم رسل الله سيدنا محمد ﷺ .

وخلال مراحل الدعوة فى مكة والمدينة كان عقل الإنسان وقلبه ميداناً لمعركة ضارية بين جند الرحمن وأتباع الشيطان تعرض الإسلام والمسلمون لشتى أساليب الغزو الفكرى لتضليل العقول وحجب نوره عن البشر ولقد تحدث القرآن الكريم عن دعاوى أعداء الإسلام وأبطل مزاعمهم وفند حججهم وحينما حاصرهم الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن أشعلوا نار الحرب فكانوا أول من احترق بلظاها وانهزم فى ميدانها ولم يمض سوى أقل من نصف قرن إلا والإسلام يجتث الكفر من جذوعه ويزلزل الأرض من تحت أقدام أعتى أمم الكفر دولتى الفرس والروم وينتزع منهما إلى الأبد ممالك فى آسيا وأفريقيا ويعبر إلى أوروبا عبر الاندلس وجزر البحر الابيض المتوسط وتصل الجيوش الإسلامية إلى مشارف روما عام ٢٣١هـ - ٨٤٦م فارتاع البابا واهتزت اوروبا ، ثم عاود المسلمون الكرة عام ٢٥٦هـ - ٨٧٠م واستنجد البابا حنا الثالث بملوك أوروبا واضطر لدفع جزية للمسلمين .

وشعر قياصرة أوروبا وباباواتها أن يد الإسلام تمتد اليهم تطوق عنق النصرانية التى امتزجت بالوثنية الرومانية فاجتمعت تحت راية الصليب فى حرب صليبية حاقدة استمرت قرنين من الزمان دارت الدائرة على المسلمين بسبب تفرقهم وصراعهم فيما بينهم فاحتلت جيوش الكفر بيت المقدس وتكونت عدة إمارات صليبية فى ديار المسلمين ولكن هذا لم يلبث طويلاً فلقد توحد المسلمون تحت قيادة القائد المسلم صلاح الدين الأيوبى - رحمه الله الذى هزم الصليبين فى موقعة حطين واسترد بيت المقدس ورجعت جيوش أوروبا تضمد جراحها وتعيد حساباتها لجولة جديدة . وبدأت

تلك الجولة على أسنة رماح الخلافة العثمانية التى انتزعت من الدولة الرومانية ما تبقى لها من ممالك فى آسيا وأفريقيا ثم تعقبت الروم حتى قلب القارة الأوربية ففتحت القسطنطينية عاصمة دولة الروم البيزنطية عام ٨٥٧ م - ١٤٥٣ هـ وكان لسقوطها فى أيدى المسلمين دوى هائل فى العالم ترك آثاراً دامية وحقداً دفيناً وغلا أسوداً ينفث تآمراً وعدواناً مستمراً على الإسلام والمسلمين وما أحداث البوسنة والهرسك فى هذه الأيام وملاحقة الإسلام فى كل مكان إلا صورة من صور حقد أوروبا على الإسلام والمسلمين .

ولقد استقر فى وجدان أوروبا أنه لا طاقة لها بديار المسلمين ما داموا يعتصمون بدينهم عقيدة وشريعة وأخلاقاً ومعاملة وأن عقيدة الإسلام هى السبب الرئيسى فى انتصاراتهم وأن الصيحة فى سبيل الله تدفع المسلمين إلى إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة .

ومن ثم اتجه أعداء الإسلام إلى هدمه فى عقائده وعباداته ونظمه وتجزئة المسلمين واشعال نار الفتنة بينهم بأثارة النعرات القومية والوطنية وتشويه صورة الإسلام بربطة بكل صور التخلف وايهام المسلمين أن الخير كل الخير فى التعلق بالحضارة الغربية .

وأقتباس نظمها وشرائعها ولقد كانت الأداة التى ساعدت أوروبا على ذلك هى الغزو الثقافى من خلال :

: الثقافة - الفن - الصناعة - الاقتصاد - الإعلام .

حيث تضافرت هذه الأمور لانتزاع المسلم من دينه والقائه تحت اقدام الحضارة

وطويت أمام فرسان النهار ورهبان الليل امبراطوريتى الفرس والروم ، وصور الكيد بالإسلام فى كل عصر تشهر سلاحاً جديداً بلغ ذروته وتفاقم خطره مع سائل الإعلام الحديثة التى تعمدت التشويه المنظم والتحريف المستمر مستخدمة أحدث وسائل العصر للإساءة للإسلام والمسلمين حتى غدت الصورة العامة التى تنطبع فى ذهن المستمع والمشاهد عن العرب الإسلام هى :[1].

١- إظهار العرب فى صورة المتناقضين دينياً مع الغربيين فهم غير مسيحيين ومتطرفون يناهضون الصليبين .

٢- اظهار العرب المسلمين فى صورة أبطال الروايات الغرامية لألف ليلة وليلة الذين لا يهمهم إلا النساء والشراب والجنس .

٣- اظهار العرب بأنهم مصدر المتاعب والإرهاب والعنف .

٤- اظهار العرب بأنهم السبب فى الخطر المفاجئ للنفط عن الغرب .

هذا مع التركيز على تشويه صورة الإسلام بوصفه دنيا بدائياً لا يمتلك مقومات الحضارة وفى النيل من معتنقى الإسلام بوصفهم متخلفين ومتطرفين دينياً وسلوكياً وربط الأحداث والأزمات والتطورات التى تحدث بين الغرب المسيحى والشرق الإسلامى بالإسلام .

مستخدمة فى ذلك كافة الوسائل من الكتاب ، والصحافة والإذاعة المسموعة والمرئية والمسموعة والقصة والشعر ومن خلال جميع الأشكال الإعلامية »

(١) صورة الإسلام فى الإعلام الغربى ، د . عبد القادر كاش ، ص ٦٧ .

ويقول أحد المتخصصين الذين درسوا صور هذا التشوية فى الإعلام الأمريكى وهو جاك شاهين

«أنــه إنصـــــرف منذ عشرين عاماً إلى تاريخ الصورة السائدة فى الثقافة الشعبية الأمريكية ودرس ما يزيد على ٢٥٠ كتاباً هزليا ظهر خلال ٥٠ عاماً بدءاً من دونالدماك وحى سوبرمان كما حلل مئات البرامج والرسوم الكاريكاتورية وأفلام ورسوم متحركة يفوق عددها ٤٥٠ فليماً أولها رقصة فاطمة عام ١٨٩٣ وآخرها علاء الدين الذى قدمته مؤسسة والت ديزنى عام ١٩٩٢ ويضيف جاك شاهين أن هوليوود مدينة السنما الأمريكية قدمت منذ حرب الخليج مايزيد على ٤٠ فيلماً غالت معظم هذه الأفلام فى تشوية سمعة العرب إذ عرضت شريطاً لا ينتهى من الصور التى يبدو فيها العرب أشبة بشعوب منقرضة لشدة تخلفهم ويمثلون فى الوقت ذاته خطر رهيباً يتهدد الآخرين »[1].

إذا كان هذا السيل المتدفق من التشويه وقلب الحقائق قد صاغ العقل الأوروبى على كره الإسلام فما هو الحال حينما نفتح الباب على مصراعيه ليتدفق هذا الانتاج الإعلامى إلى العالم الإسلامى وتنتقل صور هذا التشويه إلى عقل المسلم وفكره لاشك أن هذا سيضع حاجزاً بين المسلم ودينه وتترك آثاراً من الشك والريبة يدفعان المسلم للضيق من الإسلام والانصراف عن تعاليمه ولايريد أعداء الإسلام أكثر من هذا ولقد عرض الدكتور عبد القادر طاش فى كتابة صورة الإسلام فى الإعلام الغربى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٦٧ .

نماذج عدة لما تعرضه دور النشر ودوائر المعارف الغربية عن الإسلام ويسوق المؤلف صوراً عديدة للتشويه الغربي المتعمد والإساءة البالغة في الأعمال التلفزيونية فليراجع .[1]

هذا ولقد بدأت تتضح خطورة البث المباشر واساءته للإسلام وذلك من خلال ما حدث أثناء انعقاد المؤتمر العالمي للسكان والتنمية بالقاهرة عام ١٩٩٤ حينما استطاعت صحيفة تتبع إحدى الوكالات الأجنبية من التحايل على أسرة مسلمة جاهلة لإجراء عملية ختان لإحدى بناتها يقوم بها بعض الحلاقين وصورت هذه العملية بالفيديو وتم بثها عبر الأقمار الصناعية للإساءة للإسلام وإثارة الرأى العام ضد ختان الأنثى الذى تقره الشريعة الإسلامية وفق ضوابط دقيقة أشارت إليها النصوص الشرعية وأقرها الأطباء المسلمون موضحين فوائدها .

ولقد تلقف دعاة العلمانية والتغريب وأعداء الإسلام هذا الفيلم للتشهير بالإسلام ويتم الآن على صفحات الصحف وعبر أجهزة الإعلام تهيئة العقول وتخدير المسلمين لإصدار قانون يمنع ختان الأنثى كما حدث لمسألة النقاب والحجاب الإسلامي حينما واجه حملة إعلامية شرسة مهدت لإصدار وزير التعليم قرارا يحظر الحجاب أو النقاب إلا بإقرار من ولى الأمر .

---

(١) صفحات ٩٠ إلى ١٠٨ .

ثالثاً : تشويه عقيدة التوحيد

لقد جاء عيسى عليه السلام بالدين الذي يقوم على عقيدة التوحيد كغيره من الرسالات السماوية السابقة غير أنها لم تمكث سوى زمن يسير بعد رفع عيسى عليه السلام حتى انحرف بها اليهودي شاول أو شاؤل الذي تسمى « بولس الرسول » عن طريقها المستقيم ومزج بين النصرانية والوثنية الرومانية واتجهت الكنيسة اتجاهاً مغايراً تماماً لما جاء به عيسى عليه السلام حيث تحول التوحيد إلى التثليث وابتدعت في النصرانية بدع كثيرة كالرهبانية ، والاعتراف ، وصكوك الغفران والعشاء المقدس والصلب ، ومارست الكنيسة طغياناً روحياً وعقلياً على رعاياها وتسلل الفساد الأخلاقي إلى الأديرة ودور العبادة وتحالفت مع الاقطاع لنهب الأمم التي كانت تخضع للرومان حتى جاء الإسلام بعقيدة التوحيد التي تقوم على افراد الحق سبحانه وتعالى بالربوبية وتفرده بالوحدانية واخلاص العبادة له سبحانه وحده وانتزاع الإنسان من كل مظاهر الشرك والوثنية ، ولقد كشف الإسلام سوأة الكنيسة وعرى معتقداتها الباطلة وزلزل الأرض من تحت أقدامها فولت الأدبار هاربة مذعورة أمام المد الإسلامي الذي ظل يلاحقها من مكان إلى مكان حتى حاصرها في روما كما سبق ثم أطبق عليها في القسطنطينية حتى وصل إلى قلب أوروبا .

وعبر المعارك في ساحات الوغى أو ميادين الفكر استقر في وجدان أوروبا ومن يدور في فلكها أن عقيدة التوحيد هي القاعدة الصلبة والحصن الحصين التي يتحصن المسلون بها وينطلقون إلى الجهاد في سبيل الله تحت رايتها وأنه عبر التاريخ الإسلامي كان ارتباط النصر بالتمسك بعقيدة التوحيد وأن هزائم المسلمين

كان سببها ضعف العقيدة .

ومن هنا وقر في أذهان دول الكفر أن يحولوا بين المسلمين وعقيدتهم الإسلامية وأن يثيروا من حولها الشبهات ويرجو الاباطيل وعملوا جاهدين على الفصل بين العقيدة والشريعة يتابعهم في ذلك ويناصرهم بعض أبناء المسلمين الذين تربوا على موائدهم وتثقفوا بثقافتهم ولا شك أن الغزو الإعلامي المباشر سيوجه سهاماً قاتلة إلى العقيدة الإسلامية يذكر تقرير صدر من هيئة اليونسكو عن البث الإعلامي : « إن إدخال وسائل إعلام جديدة وخاصة التلفزيون في المجتمعات التقليدية أدى إلى زعزعة عادات ترجع إلى مئات السنين وممارسات حضارية كرسها الزمن »[(١)].

كما أن استمرار عرض الحياة الغربية والتركيز على مشاهير الغرب من رجال الفن والسياسة والكرة يضعف عقيدة الولاء والبراء في الإسلام وهي أصل من أصوله وركيزة من ركائزه حتى اصبح منطلق السياسة العربية والإسلامية لايمثل المفهوم الإسلامي في الحب لله والكره لله ولكن من منطلق المصلحة القومية والاعتبارات الاقتصادية والعلاقات الشخصية حتى رأينا ساسة العالم الإسلامي يمنحون الأوسمة الغربية ويتقلدون شارة الصليب في فرح وزهو بما حصلوا عليه ناهيك عما يعلق في قلب المسلم ووجدانه من عادات وتقاليد تتصادم مع العقيدة الإسلامية كرسم شارة الصليب في المسلسلات الأجنبية أو الانحناء بالركوع تحية جمهور المسرح أو

---

(١) البث المباشر ، د . ناصر العمر ، ص ٥١ .

،الاشارة بالسبابة والوسطى كعلامة النصر كما أن الافلام التى تقوم على السحر وعالم الخيال ولاسيما افلام الاطفال تضعف البناء العقائدى لدى المسلم خاصة وأن برامج التعليم فى المدارس الإسلامية لاتعمل على اعداد مسلم صحيح العقيدة .

كما يكمن خطر البث المباشر حينما تنقل على الهواء مباشرة الطقوس النصرانية أو اليهودية أو الوثنية أو الاحتفالات كأعياد الميلاد مما يتصادم مع عقيدة الإسلام حيث تستقر فى ذهن المسلم فيتقبلها وقد يزين له الشيطان فيستحسنها تحت دعاوى حرية العقيده والانفتاح على العادات والتقاليد وتفاعل الاديان والتقارب بينها وهذه كلها دعاوى خطيرة وخبيثة يروج لها الآن بعقد المؤتمرات وتوقيع المعاهدات والدعاية الإعلامية النشطة يروج لها بعض أبناء المسلمين وغيرهم من أتباع الأديان الأخرى الذين تحركهم الصهيونية العالمية بأجهزتها ووسائلها لتدمير العقائد وافساد الأخلاق متسلحة بالتقنية العلمية الحديثة .

رابعاً : تمثيل الأنبياء والرسل والافتراء عليهم

إن من رحمة الله بعباده كلما انحرفوا عن الفطرة ونأوا عن الصراط المستقيم أرسل لهم الانبياء والمرسلين قال تعالى :[(١)]

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾

---

(١) سورة النساء ، آية ١٦٥ .

وقد اصطفى الله الرسل واختارهم من خيرة خلقة وكلأهم بعنايته ، قال تعالى :[1] ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير﴾ وقال تعالى :[2] ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ وقال تعالى : ﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾

فالآيات القرآنية تشير إلى اصطفاء الانبياء والمرسلين وانتقائهم من خير الأصلاب وأطهر الأرحام .

وعرف النبي في الاصطلاح :[3]

إنسان ذكر من بني آدم سليم عن منفر طبعاً أوحي اليه بشرع يعمل به وأن لم يؤمر بتبليغه أما الرسول فيعرف بما ذكر مع التقييد بالقول (وأمر بتبليغه)

وقد صان الله حياتهم وحفظ سيرتهم . غير أن اليهود - قاتلهم الله - ومن دار في فلكهم - لهم جرأة عجيبة على قتل الانبياء أو التطاول عليهم والصاق العيوب بهم قال تعالى :[4]

﴿ لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلاً كلما

---

(١) سورة الحج ، آية ٧٥ .

(٢) سورة النمل ، آية ٥٩ .

(٣) جوهرة التوحيد : ص ٨ الشيخ إبراهيم اللقاني .

(٤) سورة المائدة ، آية ٧٠ .

جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ﴾

ولقد سجل التاريخ الإنسانى امتداد أيديهم بالقتل لعدد من الأنبياء وتطاول ألسنتهم بالسوء والصاق التهم بهم كما هو مذكور ومدون فى كتبهم لتى يعتبرونها مقدسة : والقداسة منها براء وما من نبى عبر تاريخ الانبياء الا وتعرض لفرية منهم ولم يسلم من حدة لسانهم حتى رب العالمين وكذلك رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى :[1]

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ... ﴾ الآية

هذا وقد استخدم اليهود التقنية العلمية والتقدم التكنولوجى فى وسائل الإعلام لتمثيل الانبياء وابراز صورهم فى السينما والمسرح والتلفاز ولقد صدرت فى الغرب أفلام كثيرة كان من أشهرها فليم « حياة وآلام السيد المسيح » ولقد سار على منوالهم بعض أبناء المسلمين الذين تربوا على موائدهم وتشربوا ثقافتهم فأخرجوا العديد من القصص ومن أشهرها مسلسل « محمد رسول الله الذى عرضه التلفاز فى مصر الاقطار العربية والذى آثار ضجة حول جواز تمثيل الأنبياء وقد قال الأزهر الشريف ودار الافتاء القول الفصل فى هذا الموضوع فلقد أصدر الأزهر فى « هذا بيان للناس »[2] تحت عنوان « تمثيل الانبياء » فمما جاء فيه :

(١) سورة المائدة .

(٢) الجزء الثانى ، ص ٣٣٩ .

« لتمثيل بوجه عام وسيلة من وسائل التثقيف والترفيه وليس هو الوسيلة الوحيدة لذلك .... وتمثيل الشخصيات التاريخية تصويراً لحياتهم وحكاية لتاريخهم بالقول والفعل أى بالكلمة والحركة فإن كان صادقاً شكلاً وموضوعاً ويستهدف غرضاً شريفاً أعطى حكم الخبر الصادق وهو الجواز وإن كان كاذباً فى شكله كيفا وكما أوفى موضوعه قولاً وفعلا أعطى حكم الخبر الكاذب وهو المنع ولايستباح هذا الكذب حتى ولو كان الغرض صحيحاً ....

هذا كله فى الشخصيات العادية . أما الشخصيات التى لها قداسة واحترام كالانبياء الذين جعلهم الله للناس أسوة ومثلهم الخلفاء الراشدون الذين أمرنا الرسول باتباع سننهم فأن الكذب عليهم تضليل للناس.. ومن المقرر شرعاً أن الكذب على رسول الله كبيرة من الكبائر . ففى الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم ، قال ﷺ : « **من كذب على متعمداً فليبوأ مقعده من النار** »

والكذب عليه عام فى كل ما ينسب اليه من قول أو فعل أو وصف أو تقرير حتى ولو كان التمثيل لشخصية بصورة هى فى نظر الممثل أحسن من الحقيقة فهى أيضاً كذب وذلك لأهمية الأسوة بقول النبى ﷺ : [1] « **لا تطرونى - تمدحونى - كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله** » ، ويقول ﷺ : « **الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً فمن أحبهم** فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن أذاهم فقد أذانى ومن

(١) رواه الترمذى .

أذانى فقد أذى الله فيوشك أن يأخذه »[1]

ويقول الله فى الايذاء العام :

﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثما مبيناً ﴾[2]

فهل يمكن لأحد مهما بلغت قدرته فى التمثيل أن يتحرى الصدق فى تمثيل الشخصيات العامة فضلاً عن الشخصيات المحترمة ؟ إن ذلك أمر دونه خرق القتاد كما شهد بذلك خبراء التمثيل الذى أخرجوا أفلاماً عن بعض الانبياء ولقد عضد الازهر بيانه بفتوى دار الافتاء الصادرة عام ١٩٨٠ [3] ومما جاء في هذه الفتوى :

« عصمة الله لأنبيائه ورسله من أن يتمثل بهم شيطان مانعة من أن يمثل شخصياتهم إنسان ويمتد ذلك إلى أصولهم وفروعهم وزوجاتهم وصحابة الرسول ﷺ » .

وقد ساقت الفتوى الدليل على حرمة تمثيل الانبياء وهو قول الرسول ﷺ الذى رواه أنس رضى الله عنه

« من رآنى فى المنام فقد رآنى فإن الشيطان لا يتمثل بى »

(١) رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه .

(٢) سورة الأحزاب ، آية ٥٨ .

(٣) الفتاوى الإسلامية ، المجلد العاشر ، ص ٣٥٣٤ .

وفى روايه أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة أو لكأنما فى اليقظة ولايتمثل الشيطان بى » متفق على صحته .

وهذا واضح الدلالة فى أن الشيطان لا يظهر فى صورة النبى ﷺ عياناً أو مناماً صونا من الله لرسله وعصمة لسيرتهم بعد أن عصم ذواتهم ونفوسهم . وإذا كان هذا الحديث الشريف يقودنا إلى أن الله قد عصم خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام من أن يتقمص صورته شيطان فأن فقه هذا المعنى أنه يحرم على أى إنسان أن يتقمص شخصيته ويقوم بدوره وإذا كان هذا هو الحكم والفقه فى جانب الرسولة الخاتم فإنه أيضاً الحكم بالنسبة لمن سبق من الرسل لأن القرآن الكريم جعلهم فى مرتبة واحدة من حيث التكريم والعصمة فإذا امتنعوا بعصمة من الله أن يتمثلهم شيطان امتدت هذه العصمة إلى بنى الإنسان فلا يجوز لهم أن يمثلوا شخصيات الرسل » .

هذا وقد أقر المؤتمر الثامن لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد فى ذى العقدة عام ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧م ما أقره المجمع من عدم انتاج فيلم يتناول بالتمثيل صاحب الرسالة أو أحد أصحابه الكرام ولا يجوز السماح بعرضه صيانة لشخصية الرسول الكريم وأصحابه الأجلاء من التعرض لما لا يليق بمنزلتهم المصونة ويطالب المؤتمر بمراقبة الأفلام السينمائية والتمثليات والتقليات قبل عرضها ومنع ما يتعارض فيها مع تعاليم الدين الحنيف » .

ورغم وضوح أدلة التحريم ووقوف الأزهر ودار الافتاء بحزم ضد تمثيل الانبياء والمرسلين فإن اعتراضاتهم واحتجاجاتهم تذهب أدراج الرياح ولا يلتفت إليها ولا يعبأ بها بل أن هناك تحد صارخ لاخراج مزيد من الأفلام والمسلسلات التى تتناول حياة الانبياء مما حدا بالأزهر أن يلجأ للقضاء لوقف عرض فيلم « المهاجر » الذى يصور حياة نبى الله يوسف عليه السلام وإخوته .

وكانت إدارة الأزهر قد تقدمت بمذكرة إلى القضاء تفيد أنه قد سبق الاعتراض على هذا الفيلم والذى كان يحمل عنوان « يوسف الصديق » لاحتوائه على كثير من العبارات الهابطة والخارجة عن آداب وتقاليد المجتمع ومخالفته للقواعد التى تقضى بعدم ظهور الأنبياء كما بالمذكرة أن إدارة البحوث والتأليف الإسلامية بالأزهر أرسلت صورة إلى إدارة الرقابة على المصنفات الفنية ١٩٩٤/٢/٢٧ وأخرى إلى مساعد وزير الداخلية لمباحث أمن الدولة بتاريخ ٢/٢٥ /١٩٩٤ بمنع تصوير الفيلم لنفس السبب وعلى الرغم من صدور القرار الوزارى رقم ٢٢ لعام ٧٦ الذى ينص على :

« وجوب ولزوم عدم عرض الأفلام التى تمس الدين وأنبياء الله والصحابة والخلفاء الراشدين وآل البيت » فما زالت محاولات عرض الأفلام مستمراً إذا كان هذا هو الحال للبث غير المباشر أو للسينما التى تخضع للرقابة أحياناً ومع صوت علماء الإسلام الذين ينادون بوقف هذا الهراء والعبث فما الآثار والنتائج للبث المباشر عبر الأقمار الصناعية لا شك أنها أخطار ماثلة للأعين حينما تعرض حياة الانبياء والمرسلين باخراج يهودى ماكر يلمز الانبياء وينال من سيرتهم كما هى

طبيعتهم عبر التاريخ توازهم النصرانية الأوروبية التى أسلمت نفسها لليهود منذ « بولس الرسول » حتى أن الصيهونية العالمية أرغمت الفاتيكان على استصدار قرار يبرئ اليهود من دم عيسى عليه السلام كما كان يزعم النصارى خلال تاريخهم ...

ووسط تهليل إعلامى عربى وإسلامى بما يبث أو يذاع دون التفات لعقيدة الأمة الإسلامية وهويتها الثقافية ومن خلال الأمية الدينية بين المسلمين التى لا تميز بين الغث والثمين وليس لديها الحصانة الدينية ولا الحصانة العقلية لكى تعى وسائل حتفها وهلاكها حيث يندفع الجميع لاستقبال البث المباشر غير عابئين بأخطاره ومن أعظم هذه الاخطار عرض حياة الأنبياء والمرسلين حيث يقوم بالتمثيل أشخاص يتقمصون شخصايتهم ويفترون عليهم بالقول والفعل وما صدر منهم صلوات الله عليهم شئ من هذا على الإطلاق .

خامساً : التعود على رؤية المنكرات وعدم إنكارها

لقد استطاع القرآن الكريم أن يصنع أمة على يد رسول الله ﷺ ذات حس مرهف وشعور صادق وقلب يقظ يحب الفضائل ويسمو بها إلى عنان السماء ويمقت الرزائل ويتجنبها ويستقبحها وقد وضع الإسلام الأسس والقواعد التى تحمى الفضيلة وتحافظ على الأعراض ، وشرع الحدود والتعزيرات صيانة للأخلاق فأمر المسلمين والمسلمات بغض النظر وعدم تتبع العورات قال تعالى :[(١)]

(١) سورة النور ، آية ٣٠ ، ٣١ .

﴿ وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضض من أبصارهن ويحفظن فروجهم ولا يبدين زينتهن الإما ظهر منها... ﴾ الآية .

كما حددت سورة النور أيضاً آداب الاستئذان قبل الدخول للمنزل وآداب الاستئذان داخل المنزل . كما أرسى ﷺ قواعد المرور وآداب السير فقال : «(1) لأصحابه : ايا كم والجلوس فى الطرقات قالوا يارسول الله ليس لنا من مجالسنا بد فقال ﷺ فأن أبيتم الا الجلوس فى الطرقات فاعطوا الطريق حقه قالوا وما حق الطريق يارسول الله قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف و النهى عن المنكر »

وعن عبد الله بن ابى بريده عن أبيه قال : (2)

قال رسول الله ﷺ لعلى : « ياعلى لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة »

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ

« كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة فزنا العينين

---

(1) رواه البخارى فى كتاب الاستئذان ومسلم فى باب النهى عن الجلوس فى الطرقات .

(2) سنن أبى دواود ، كتاب النكاح ، باب ما جاء فى نظر الفجاءة .

النظر وزنا اللسان النطق وزنا الأذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه » .

هذه بعض من نصوص كثيرة خلقت فى المسلم حبا للفضيلة ونفوراً من الرزيلة وإذا ما حدث للمسلم ذلة فى تتبع عورة أو نظرة مريبة فأنه ما يلبث أن يرجع سريعاً إلى واحة الايمان يستظل بظلالها الوارفة ، قال تعالى :[1] ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ .

وقد أقسم الله تعالى بالنفس اللوامة التى تلوم صاحبها على المنكرات ، قال تعالى :[2]

﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾

ولقد عاش المجتمع المسلم عبر تاريخه حارساً للفضائل محارباً للرذائل وقد قاتل الرسول صلى الله عليه وسلم يهود بنى قينقاع وأجلاهم عن ديارهم لتعرضهم لما خدش حياء امرأة مسلمة .

غير أن ما يعرض على الشاشة الصغيرة من أفلام الجنس ومشاهد العرى وطرح عبارات الهوى والغزل والعناق والقبلات الحارة وحركات أثارة الشهوة فى بث

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٣٥ .

(٢) سورة القيامة ، آية ١ ، ٢ .

مستمر أثناء الليل وأطراف النهار أدى إلى الأخطار التالية :

١- شيوع الرذيلة وسهولة ارتكابها حتى أصبحت أمرا عادياً بين الناس .

٢- تفجير الغرائز والبحث عن سبل غير شرعية لتصريفها

٣- تعويد الناس على وسائل محرمة كالخلوة والاختلاط والمغازلة .

هذه المشاهد المثيرة قتلت الحياء في وجدان المسلم والمسلمة ووأدت الفضيلة بين ربوع الأسر وغدا المسلم لايغار على أهل بيته فهو يجلس بينهم يشاهد فتى يقبل فتاة في مثل سن بناته أو رجل يعانق إمرأة ، والمرأة هي الآخرى تشاهد ملاحقة الرجال وغزواتهم . فيتبلد الشعور ويفقد الإنسان أهم صفة من صفاته التي يتميز بها عن الحيوان وهي الغيرة والذود عن العرض .

ولقد أثبت الباحثون أن القبل والحب والمغازلة والإثارة الجنسية يتعلمها المراهقون والمراهقات من خلال السينما والتلفاز ولقد كان لظهور المرأة بصورة فاتنة ومغرية أثار ضارة على سلوك الأمة حيث نشأ جيل لا يرى المرء فيها الأنثى إلا من خلال صورتها الفاتنة والمثيرة وقد نوقشت رسالة ماجستير بعنوان « صورة المرأة في إعلان التلفزيون اعتمد الباحث فيها على ما يلي :[1]

١- تحليل مضمون ٣٥٦ اعلاناً تلفزيونياً بلغ اجمالي تكرارها ٣٤٠٩ خلال ٩٠ يوماً .

---

(١) البث المباشر حقائق وأرقام ، ص ٧٢ .

٢- استخدمت صورة المرأة وصورتها في ٣٠٠ إعلان من ٣٥٦ كررت قرابة ٣٠٠٠ مرة في ٩٠ يوماً

٣- ٤٢٪ من الإعلانات التي ظهرت فيها المرأة لا تخص المرأة

٤- سن النساء اللاتي خرجت في الدعاية ١٥ - ٣٠ سنة فقط

٥- ٧٦٪ من الإعلانات اعتمدت على مواصفات خاصة في المرأة كالجمال والجاذبية ، ٥١٪ على حركة جسد المرأة ، ١٢,٥ ٪ من هذه الإعلانات استخدمت فيها ألفاظ جنسية .

وقد قام أحد الباحثين بدراسة مجموعة من الأفلام التي تعرض على الأطفال عالمياً فوجد أن : ٦, / ٢٩ تتناول موضوعات جنسية ، ٤,٦٪ ٢٧ تتناول الجريمة ، ١٥٪ تدور حول الحب بمعناه الشهواني المكشوف .

وأمام هذا السيل الجرار من أفلام الجنس والعرى وعبر الجلوس الدائم للأسر أمام التلفاز تجرأ الشباب على معاكسة الفتيات بل وصل الأمر إلى اعتداء الأخ على أخته كما زكرت بعض الصحف لأن الاثارة المستمرة والضغط الاعلامي الجنسي المتواصل يولد شعوراً واحساساً بالظمأ الجنسي تدفع بالاتيان إلى ارتكاب الرزيلة مع أقرب الناس اليه وسوف تبرز هذه الآثار الضارة وتتفاقم خطورتها عبر البث الاعلامي المباشر والتي بدت أثاره من خلال انعقاد المؤتمرات التي تدعو إلى الحرية الجنسية ، والثقافة الجنسية مع المطالبة برفع سن الزواج وتحريم الختان واباحة الاختلاط مما يترتب عليه موت الضمير الديني وانطفاء جذوة الغيرة في قلب المسلم لفساد حواسه وتبلده أمام المعاصي فلا يحرك ساكنا ولا يبدي اعتراضاً . وهذا ما

يريده أعداء الإسلام من تخدير شعور الأمة لتنام فى سبات عميق حيث تساق إلى حتفها وهى لا تشعر بما يراد لها . بل تهلل وتهش وتبش لمقدم البث الإعلامى عبر الأقمار الصناعية .

سادساً : انتشار الجريمة والعنف والمخدرات

إن نعمة الأمن من أجل النعم التى أنعم الله بها على الإنسان ولن يشعر المرء بهذه النعمة الا بين ظلال الإسلام الذى يحقق الأمن بين الإنسان ونفسه من خلال تطهيرها بالعبادة والطاعة فتصفو من الاكدار والأدران ويتحقق أمن الأسرة عبر تعاليم الإسلام الذى ينظم العلاقة بين أفرادها ثم تتسع دائرة الأمن لتشمل المجتمع كله الذى يتعاون أفرادا وجماعات وفق هدى القرآن الكريم فى قوله تعالى :[1]

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله أن الله شديد العقاب ﴾

ولقد كان تطبيق الحدود فى الإسلام على الجرائم المتعلقة بالنفس والعرض والمال والعقل هى سياج الأمن فى المجتمع المسلم كما كان فى تضافر أبناء الإسلام فى إنكار المنكر وأقرار المعروف يمثل ظاهرة أمنية فريدة انفرد بها الإسلام عن كافة الاديان والتشريعات الأخرى ولقد امتن الله على قريش بنعمتى الاطعام من الجوع

---

(١) سورة المائدة ، آية ٢ .

والأمن من خوف قال تعالى : [(١)] ﴿لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ وهذه خصوصية لقريش قبل إسلامها أما بعد دخول الناس فى دين الله أفواجاً أصبح الأمن سمة بارزة من سمات المجتمع المسلم قال تعالى : [(٢)] ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾

هذا وعلى الرغم مما يشهده العالم المعاصر من التفوق العلمى والتقدم المادى وزهوه وغروره بما توصل إليه . فأن عواصف الخوف تعصف به وعوامل القلق النفسى والتوتر العصبى تقلق مضجعه والحروب الدامية التى تكتوى بلظاها الشعوب تثير الخوف والذعر حتى تحولت الكرة الأرضية إلى مساحة للحروب الدامية والفتن الهوج يزكى أوراها ويضرم لهيبها الدول الكبرى لتستنزف خيرات الشعوب النامية ولتحيلها إلى سوق للسلاح وحقل لتجارب للأسلحة الفتاكة ولكى تتقبل الشعوب هذا الصراع الدامى المخيف وتتسابق اليه ، فلقد عمدت أجهزة الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة للترويج للعنف والدعوة غير المباشرة اليه عبر الأفلام البوليسية التى تبرز المجرم فى صورة بطل مقاتل شجاع والضحية انسان برئ ساذج أو من خلال الأفلام التى تعتمد

---

(١) سورة قريش .

(٢) سورة الأنعام ، آية ٨٢ .

على الخيال فتبرز من يقاتل الأسود أو يصرع العديد من الرجال بالبطولة والشهامة ولا تخلو هذه الأفلام من احتساء الخمور أو تدخين المخدرات .

وفى إمكان القارئ الفاضل : أن يقلب صفحات الجرائد المصرية ليقع بصره على إعلانات الأفلام مثل : [1]

المطاردة الشيطانية ، وادى الموت ، المهاجر ، منزل الرعب المجسم ، أجازة مع ميت ، الانتقام ، الحسناوات الشرسات ، الفرقة الانتحارية ، الطاغية ، كلاب جهنم ، الحوت صديقى ، الطيب والشرس والجميلة ، المعبد الملعون ، شياطين فى المدينة ، الباطنية ، الشرس . وهذه قطرات من سيل جارف وحمم متدفقة من أفلام العنف والجنس والمخدرات وإذا كان هذا يعرض فى دور السينما حيث يذهب الناس اليها . فما بالنا حينما تعرض هذه الأفلام عبر البث الإعلامى المباشر وتقتحم كل منزل دون رقيب حتى أصبح العنف لا يخلو من برامج التلفاز يقول الاستاذ أحمد بهجت [2]

« أن العنف فى المسلسلات والأفلام قد أثر على سلوك المواطن حتى صار أسهل الحلول وأقلها تكلفة هو العنف » .

ويرى الدكتور ابراهيم أمام :

« احتمال أن جميع الأطفال قد يتعلمون نماذج سلوكية معادية للمجتمع من وسائل الإعلام ويقوم الأطفال بتقليد السلوك الإجرامى فى الظروف التى تكون فيها

---

(١) الأهرام ، ص ٢ ، عدد الجمعة ٤ نوفمبر ١٩٩٤ .

(٢) الأهرام ٣٠ / ١٠ / ١٩٨٤ .

المعايير الاجتماعية ضعيفة أو غير عاملة »[1].

ولما عرض فيلم عنيف على مجموعة من الأطفال ثم قدمت لهم دمى تشبه تلك التى عرضت فى الفيلم فعاملوها كما عاملها الممثلون فمزقوها إرباً إرباً وأعطيت نسخ أخرى من هذه الدمى لأطفال لم يشاهدوا الفيلم فلم يعاملوها بعنف »[2]

وفى الولايات المتحدة أكدت دراسة قام بها معهد جالوب عام ١٩٥٤ « أن ٧٠٪ من الاباء يلقون باللوم على قصص الجريمة وبرامج العنف فى الاذاعة والتلفاز ولقد اتضح من خلال الدراسات الميدانية وجود علاقة حتمية بين العنف كما يشاهده الطفل على الشاشة الصغيرة وبين السلوك العدوانى الموجه نحو المجتمع ، ويرى رجال القضاء ورجال الصحة النفسية ورجال التربية فى الغرب أن أفلام العنف كانت السبب فى وجود العديد من الأفراد خلف القضبان الحديدية أو نزلاء مستشفيات الامراض العقلية هنا وقد نشرت وسائل الاعلام العديد من الجرائم نفذها مرتكبوها وفق ما شاهدوه

هذا وإذا كانت المجتمعات الأوروبية والولايات المتحدة تموج فى بحار من العنف وعصابات المافيا حتى أنه فى أمريكا ترتكب جريمة عنف كل عدة دقائق . فأن الشعوب النامية تسبح فى بحار من الدماء بسبب الحروب الأهلية والفتن الطائفية أو الصراع للوصول لكرسى الحكم . فحينما ينقل هذا كله عبر الأقمار الصناعية

---

(١) الإعلام الإذاعى والتلفزيونى ، د . ابراهيم إمام ، ص ١٣٤

(٢) الإنسان حيوان تلفزيونى ، محسن محمد ، ص ٣١٥ .

لينحرف بالسلوك ويعصف بكل مشاعر الحب الاجتماعى والتعاون والترابط الذى أحكم الإسلام نسيجه عبر أربعة عشر قرنا من الزمان لاشك أن الخطر سيكون جسيماً والعواقب - لاقدر الله - لا تحمد عقباها .. بسبب المبث المباشر

قال الطبيب النفسى (ستيفن يانا) الاستاذ بجامعة كولومبيا :

« إذا كان السجن هو جامعة الجريمة فأن التلفزيون هو المدرسة الإعدادية للانحراف وتدل الاحصائيات الأخيرة التى أجريت فى أسبانيا أن ٣٩٪ من الاحداث المنحرفين قد اقتبسوا أفكار العنف من مشاهدة الأفلام والمسلسلات والبرامج العدوانية .

وفى دراسة لسلبيات التلفزيون العربى ذكر باحث أن ٤١٪ ممن أجرى عليهم الاستبيان يرون أن التلفزيون يؤدي إلى انتشار الجريمة و ٤٧٪ يرون أنه يؤدى إلى النصب والاحتيال .

وذكر الدكتور حمود البدر : أنه من خلال احدى الدراسات التى أجريت على ٥٠٠ فيلم طويل تبين أن موضوع الحب والجريمة والجنس بشكل ٧٢٪ وتبين من دراسة أخرى حول الجريمة والعنف فى مائة فيلم وجود ١٦٨ مشهد جريمة أو محاولة قتل بل أنه وجد فى ١٣ فيلماً فقط ٧٣ مشهداً للجريمة .

وقد قام درنشار بدراسة مجموعة من الأفلام التى تعرض على الأطفال عالمياً فوجد أن ٢٧,٤ فيها تناول الجريمة[1]

---

(١) البث المباشر حقائق وأرقام ، ص ٧٢ .

فإذا كان الأطفال يقضون ما بين ١٢ ساعة إلى ٢٤ ساعة أسبوعياً أمام التلفاز فماذا سيكون حالهم خلال الغزو الاعلامى المباشر ؟ وكيف يكون وقع أفلام الجنس ومسلسلات الرعب وحلقات الملاكمة والمصارعة على عقولهم الصغيرة ؟ وما الاثار التى تنعكس من خلال هذا التدمير الإعلامى على الفرد والأسرة والمتجمع

لاشك أن انعدام الحس الدينى وفقدان الذوق الاخلاقى واصابة الغيرة والحمية فى مقتل والاستهانة بالعرض والشرف هى سمات بارزة وآثار خطيرة للعنف عبر الأقمار الصناعية .

سابعاً : فقد الهوية الإسلامية وصبغ المجتمعات الإسلامية بالصبغة الأوروبية

لقد صاغ الإسلام أمة ذات طابع خاص ونمط معين فى العقيدة والشريعة والأخلاق وهى تحمل على عاتقها هداية الأمم إلى دين الفطرة وقيادة الشعوب بمنهج واضح وفكر مستقل .

أمة ترفض التفكير وتأبى التبعية وهى كماء النهر العذب الفرات حينما يتلقى بماء البحر المالح الاجاج . فيستمر النهر فى مسيرته لا يأبه بالأمواج المالحة العاتية التى تحوطه من كل جانب .

هذا ولقد كان اختيار مكة المكرمة مهبطاً للوحى وبدءاً للدعوة والمدينة المنورة قاعدة لبناء دولة الدعوة الإسلامية بعيداً عن الحضارات المعاصرة ولاسيما دولتى الفرس والروم حتى لا يزعم زاعم أن الإسلام تأثر بأى منهما . ولقد تفرد الإسلام وتميز فى شعائره وعباداته وتقاليده وعاداته على غيره من الاديان والملل والنحل

المعاصرة . ولقد كانت شخصية المسلم التى صاغها القرآن الكريم وهدى الرسول ﷺ هى الملاذ الآمن والقلعة الشامخة والحصن الحصين الذى تكسرت عليه رماح الأعداء عبر التاريخ وما من معركة من المعارك التى خاضها المسلمون عبر تاريخهم وهم متوشحون بشخصيتهم ومعتصمون بعقيدتهم الا كان النصر حليفهم وما عرفوا الهزائم فى ساحات الوغى أو ميادين الحياة الا حينما فقدوا هويتهم وذابت شخصيتهم ولقد حدد القرآن حدد القرآن الكريم معالم استقلال شخصية المسلم وعدم ذوبانها وتبعيتها لدين أو حضارة منافية للإسلام فقال الحق سبحانه وتعالى : [(١)]

﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين﴾

فالعبادة فى اللغة : [(٢)]

الطاعة مع الخضوع ومنه طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء وعابدون : أى دائنون وكل من دان الملك فهو عابد له وأن سبب نزول سورة الكافرون مازال قائماً حينما يتزعم دعاة التغريب الدعوة إلى الانفتاح على الغرب والأخذ من عاداته وتقاليده تحت ستار الحضارة الإنسانية ، أو تقارب الأديان أو امتزاج الثقافات .

---

(١) سورة الكافرون .

(٢) لسان العرب ، ص ٢٧٧٨ ، ط الشعب .

أما عن سبل التصدى للبث المباشر فهى كما يلى :

أولاً: الاتجاه بوسائل الإعلام الحديثة وجهة اسلامية

الإسلام منهج حياة تتلاءم مع فطرة الله التى فطر الناس عليها وهو عقيدة وشريعة تشمل كل جوانب المجتمع سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وهو ينظم علاقة المسلم بخالقة ثم علاقته بنفسه وبالآخرين مسلمين وغير مسلمين وهو فى هذا كله ينفرد بمنهج واضح وفكر مستقل يرفض التقليد ويأبى التطويع والتبعية يأخذ من الحضارات الإنسانية ما يتلاءم مع عقيدة التوحيد وخلق الإسلام ويوصد الباب فى وجه التيارات المنحرفة والعقائد الباطلة والثقافات والفنون المختلة والمنحلة ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة بملتبسه من غثاء كغثاء السيل لا تحترم الإسلام وشعور المسلمين والقائمون على أمر الإعلام حينما يقدمون العمل الفنى لا يفكرون لحظة واحدة هل هذا العمل يتفق مع الدين أو يخالفه ثم يمضون فى طريقهم يضعون أصابعهم فى أذانهم وأيديهم على عيونهم دون التفات لنصح أو اعتراض على برنامج يجترئ على الدين أو ينال من الاخلاق .

بل أن بعض القائمين على الإعلام فى العالم الإسلامى يستعيدون لمواجهة البث الإعلامى المباشر بمزيد من أفلام الإثارة والجنس وقصص الهوى وأفلام الرعب لتنافس القنوات الفضائية فى فجورها وانحرافها وهكذا يقع المشاهد بين فكى الإرسال الوطنى والإرسال الفضائى يتنقل بينهما فلا يرى إلا مشاهد العرى والقبلات الحارة والعناق الطويل وكؤوس الخمر واحقاقاً للحق لا نغمض ولا نقلل من شأن بعض البرامج الدينية والعلمية والثقافية والترفيهية الهادئة الهادفة التى تحرك الانسان

نحو مشاعر الخير والفضيلة ولكن هذه البرامج تضيع وسط مستنقع آسن يغرق فيه عقل المسلم وقلبه فلا يكاد يشعر ويتأثر بالبرامج الجادة .

ومن ثم فإن أولى خطوات التصدى للإرسال عبر الأقمار الصناعية هى الارتقاء بالبث الإعلامى والاتجاه به وجهة إسلامية وطنية توقظ فى الأمة الطاقات المعطلة التى تعوقها عن التقدم والنهوض ويعرف الإعلام الإسلامى بما يميزه عن غيره فهو : (١).

« استخدام منهج اسلامى بأسلوب فنى إعلامى يقوم به مسلمون عالمون عاملون بدينهم متفهمون لطبيعة الإعلام ووسائله الحديثة وجماهيره المتباينة مستخدمون تلك الوسائل المتطورة لنشر الأفكار المتحضرة والأخبار الحديثة والقيم الأخلاقية والمبادئ والمثل للمسلمين من كل زمان ومكان ».

والأسس التى يقوم عليها الإعلام الإسلامى : (٢)

١- الحقائق التى تدعمها الأرقام والاحصاءات

٢- التجرد من الذاتية والتحلى بالموضوعية فى عرض الحقائق

٣- الصدق والأمانة فى جمع البيانات من مصادرها الأصلية

٤- التعبير الصادق عن الجمهور الذى يتوجه إليه الإعلام .

(١) الأسس العلمية والتطبيقية للإعلام الإسلامى ، د . عبد الوهاب كحيل ، ص ٢٩ .

(٢) الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية ، د . محيى الدين عبد الحليم ، ص ١٧ .

أما مواصفات الإعلام الإسلامى فهى :

١- أن يكون ملتزماً بتطبيق المنهج الإسلامى فى حياته العاملة والخاصة

٢- الصدق فى نشر الخبر وفى كتابة المقال والحديث الذى يذاع فالكذب لا يباح الا فى مواطن محدودة كالحرب أو الصلح بين المتخاصمين .

٣- تحرى الحقيقة : فرجل الإعلام الإسلامى هو الذى يقف موقف الدارس للخبر العارف لأبعاده

٤- قوة الحجة وذلك بالتمرس بأساليب القرآن الكريم . والحديث النبوى الشريف وكلام العرب الفصحاء .

٥- الحكمة فى نشر الخبر حيث يدرس فى أناة أثر نشر الخبر بعد أن يتأكد من صدقه .

٦- فنية الأسلوب . وذلك بتخير الأسلوب الذى يخاطب به المستمعين .

٧- ألا يتهاون فى اتخاذ اللغة العربية الفصحى وسيلة الأداء التى يعبر بها عن أفكاره وآرائه وعن مبادئ الإسلام التى يدعو إليها »(١).

أما من المادة الإعلامية التى تنبثق من هدى الإسلام وتوجيهاته فتوجزها فى الأمور التالية :

١- استخدام البث المباشر فى نشر الدعوة الإسلامية وذلك من خلال إسهام الدول

(١) الإعلام وأثره فى نشر القيم الدينية ، د . محمد ابراهيم نصر ، ص ٣٧

العربية والإسلامية في شراء قمر صناعي واطلاقه .

وهناك تجربة في هذا المضمار من خلال القمر العربي (عرب ستار - الذى يبث ارساله إلى الفضاء غير أنه يساير النهج الأوربي الغربي ولا يتهم بالقضايا الإسلامية ولقد سبق أن أشرنا أن الفاتيكان على وشك أطلاق قمرين فضائيين للدعوة للنصرانية في العالم . وإن اسرائيل تعد لاطلاق أقمار تبث الفكر الصهيوني .

فالواجب على العالم الإسلامي ولاسيما دول البترول أن تتخصص نسبة من مواردها لتوجيهها نحو الدعوة للإسلام عبر الأقمار الصناعية .

٢- **نقل الشعائر الإسلامية إلى انحاء العالم وهذا اتجاه محمود ومفيد** ولقد ظهرت آثاره ونتائجه من خلال نقل شعائر الحج وصلاة التراويح من الأراضي المقدسة حيث ربطت المسلمين في كل أنحاء العالم بهذه المشاعر وياحبذا لو نقلت صلاة الجمعة اسبوعياً عبر الأقمار الصناعية مصحوبة بترجمة فورية لبعض اللغات العالمية .

٣- **عرض عقيدة الإسلام وعباداته وأخلاقه** عرضاً ميسراً بالصورة الصادقة والتصوير المنضبط والتمثيل الجاد والاخراج الجيد مما يساهم في ثقافة المسلم وتفقهه في دينه كما تعرض على غير المسلم فيتعرف على الإسلام فأن لم يهتد فلن يناصبه العداء .

منطقة الاستقبال غير صالحة لاستقبال البث المباشر وهذا أيضاً غير ممكن من الناحية العملية والواقعية لأن ذلك يعنى قطع جميع الاتصالات الهوائية واللاسلكية فى منطقة محطة الاستقبال وهذا يؤثر على استقبال الراديو والتلفزيون واتصالات الأمن والخدمات »[1].

ولقد ذكر أحد المختصين أنه يمكن التشويش بالطريقة التالية :

« إذا بث قمر صناعى قناة تلفزيونية على بلد من البلدان فأنه يمكن التشويش بأن يقوم التلفزيون فى البلد المعنى ببث برامجه على القناه نفسها وهنا سيكون الاستقبال فى جهاز التلفزيون للأقوى فإذا كان القمر يبث على موجة رقمها ١١ مثلاً يقوم التلفزيون بالبث على الموجة نفسها لالغاء البث المباشر وبشرط أن يكون بثه أقوى من بث القمر مع بقاء التلفزيون يبث على موجته السابقة فيصبح يبث على موجتين فإذا أطلق قمر آخر قناة أخرى قام التلفزيون بالبث على موجة ثالثة تزاحم هذه القناة وهكذا »[2]

وبهذا يتضح أن حجب الارسال الفضائى غير ممكن وأنه سيكون مثل الإرسال الإذاعى هذا ولقد صممت أجهزة التلفاز بهوائى داخلى يستقبل البث عبر الأقمار الصناعية مما يزيد فى صعوبة التشويش والمقاومة .

(١) البث المباشر حقائق وأرقام ، د . ناصر العمر ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٠ .

القريب والبعيد أن شاء الله وسوف نضع بين يدى القارئ العزيز :

تصورات العلاج والمقاومة لهذا الغزو المدمر .

وقبل أن نعرض طرق التصدى لبث الأقمار الصناعية . يبرز سؤال هل يمكن التشويش على هذه الأقمار كما كان يحدث فى التشويش على إذاعات الأعداء .

ويجيب على ذلك أحد الخبراء فى الاتصالات عبر الأقمار الصناعية فيقول :

إن التشويش ممكن من الناحية الفنية وغير ممكن من الناحية الواقعية وبيان ذلك أن التشويش يمكن أن يتم بإحدى طريقتين :

١- الطريقة الاولى:

التشويش على القمر وذلك بأن يتم توجيه جهاز مضاد يعطل ارسال القمر ولن هذا غير ممكن من الناحية الواقعية لسببين :

أ- من يستطيع أن يقوم بتعطيل قمر أمريكى أو أوربى ومن يملك الجرأة على ذلك وبخاصة دول العالم الثالث ؟

ب- التكلفة المادية الهائلة لقيمة جهاز التشويش مع عدم ضمان فاعليته إذ أن تركيب أجهزة التشويش صعب جداً لأن كل قناة تلفزيونية تحتاج إلى محطة كاملة للتشويش وذلك مكلف جداً وبخاصة إذا علمنا أن كل قمر يحمل عشرات القنوات .

٢- الطريقة الثانية

التشويش على منطقة الاستقبال دون التعرض للقمر الذي يبث حيث تكون

وتبدو سبل العلاج أمراً صعباً ومرتقى وعراً خاصة في هذه الأيام الذى يخضع العالم لقيادة الولايات المتحدة والدول الأوروبية وتتعرض الشعوب لضغوط اقتصادية واحتكار صناعى بقيد حركتها ويعوقها عن اتخاذ القرارات التى تتلاءم مع عقيدتها وأخلاقها بجانب هذا نشأة أجيال منذ عهد محمد على باشا عام ١٨٠٥م على مائدة الاستشراق والتبشير والاستعمار ورضع لبان الثقافة الغربية حتى تسممت أفكارهم بها ومكن لهم فى الصحافة والإعلام المسموع والمرئى . وتسنموا أزمة قيادة التربية والتعليم فتخرج أناس عرب اللسان أعاجم العقل والقلب يصاحب هذا كله تحديد دور الدعاة وقصرهم على المساجد فحسب مع قلة الموارد وضعف الخريجين وتهميش دور الأزهر وإبعاده عن ممارسة دوره فى حراسة العقيدة والدفاع عن اللغة والدين وعلى الرغم من هذه العوامل مجتمعة فإن المسلم الحق لا يعرف القنوط من علاج ولا يعتريه العجز أمام أمر من الأمور .

كما أنه من خصائص الإسلام المعجزة كلما تكالب عليه الأعداء وتناولته السهام من كل جانب مع عجز أبنائه وتقاعسهم عن نصرته إذ به يدفع هذا كله ناشرا لواءه رافعاً رايته . محطماً القيود والأغلال التى توهم البعض أنها عاقته ومنعته من الحركة والدليل على ذلك الجمهوريات الإسلامية التى خرجت من كهف الشيوعية المظلم زهاء سبعين عاماً وكذلك الصحوة الإسلامية فى أقطار العالم الإسلامى والذى يعمل الغرب لها ألف حسابات ويضع الخطط لمواجهتها والاجهاز عليها هذا كله يدفع المسلم إلى الأمل والتوثب والنهوض لمواجهة البث الإعلامى المباشر وغيره والأمر يتوقف على صدق النية وأخلاص العقيدة لله وعقد العزم وبدء المعالجة على المدى

فى القنوات الوطنية حفظاً لماء وجه القائمين على الإعلام ولكيلا يتهموا بخلو برامج الإعلام من الإسلام وحتى البرامج الدينية فإن توجهها سياسى اكثر منه دينى بمعنى أنها تحترم التوجه السياسى الوطنى أو الدولى بغض النظر عن موافقته للإسلام أم مخالفته .

وهكذا تبدو أجهزة الإعلام سواء منها المباشر وغير المباشر ظاهرها البريق وباطنها الحريق .

طرق مقاومة البث الإعلامى المباشر :

لقد وضح أخطار البث الإعلامى المباشر على المجتمعات الإسلامية وهو الآن يتسلل إلى البيوت ويغزو العقول فى هجمة إعلامية غربية شرسة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً وعبر حالة من اللاوعى وعدم الاحساس بخطره بل على العكس من ذلك فإن هناك لدى الكثير شعور بالفرحة لاستقباله وتهيئ واستعداد لبرامجه يصاحب هذا ضجة اعلامية فى العالم الإسلامى تمهد له وتتبارى معه فى عرض ما يتنافى مع الإسلام عقيدة وسلوكاً .

ومن ثم فإن التصدى لما تبثه الأقمار الصناعية ليس أمراً سهلاً ولا شيئاً هيناً إن الأمر لجد خطير ويحتاج إلى تضافر الجهود وتوفر الامكانات المادية وامتلاك زمام التقنية العلمية وهذه أمور لا تتواجد لدى الافراد والجامعات ولكنها تحتاج إلى قدرات الدول وقرارات الحكام ولاسيما فى دول العالم الثالث التى تقوم نظمها الإدارية على المركزية وتنبثق سياستها من توجيهات الرؤساء .

١- تعزيز النزعات المادية لدى الانسان والتوجه نحو شهوتى البطن والفرج

٢- الترويج للإباحية والاختلاط والسفور .

٣- تشجيع المرأة المسلمة على تقليد المرأة الأوروبية فى كل مظاهر حياتها

٤- تعود المسلم على ظاهرة عدم احترام الوقت

٥- إثارة دوافع الاستهلاك الترفى من خلال الاعلانات التجارية

٦- نشر مفردات لغوية أجنبية بين أبناء المجتمع لتحل محل اللغة العربية

٧- تعميق الشعور بالتخلف لدى المسلم ودفعة لليأس بسبب ما يشاهد من تقدم فى كل جوانب الحياة المادية لدى الغرب .

٨- الترويج للسلوك العدوانى والعنف وبخاصة لدى الأطفال

٩- الأسهام فى هبوط مستوى التعليم بسبب الانشغال بمشاهدة التلفاز

١٠- اهتزاز القيم والاخلاق كاحترام المدرس أو عالم الدين وطاعة الأباء بسبب ما يعرض من البرامج الترفيهية التى تنال من هؤلاء (كمدرسة المشاغبين) أو التهكم على عالم الدين والتمرد وعلى الأباء بدعوى الحرية الشخصية .

مما سبق يتضح جوانب الخطر بسبب البث عبر الأقمار الصناعية ومع هذا فأنه توجد بعض الفوائد بسبب البث المباشر وغير المباشر كبعض البرامج الثقافية والعلمية والاستطلاعية للكون ومتابعة أحداث العالم وعرض نماذج للسلوك السوى وغير السوى من خلال بعض المسلسلات غير أن التوجه الدينى لهذه البرامج يكاد يكون ضيعفاً وما يعرض وفق تعاليم الإسلام وآداب الشرع نسبة لا تتجاوز ٣٪ وضعت

هذا بجانب ما تشاهده الأسرة من عرض مثير لأحدث الأزياء وأفخم الأساس والمفروشات والسيارات الفارهة وصور الحياة المترفه فى المآكل والمشرب والدعاية المثيرة والجذابة لهذا كله مما يحدث تمزقاً بسبب واقع الأسرة الاقتصادى المؤلم وأعباء الحياة اليومية المرهقة وبين يشاهد مما يزيد حدة الحقد بين أفراد المجتمع الواحد وتشتعل نار العداوة والبغضاء وتبذر بذور الكراهية مما ينذر بالاضطرابات والثورات التى تعصف بالآمنين وتحطم البناء الاجتماعى وتمزقه وهذا ما يهدف اليه أعداء الإسلام ولقد وجدوا ضالتهم المنشودة خلال البث بالأقمار الصناعية . الذى يجد الآن مناخاً صالحاً لاستقباله وتشوقاً من فئات كثيرة لإرساله ويتلهفون لالتقاط القنوات الفضائية والأمة لاتدرى أنها تحفر قبوراً للترابط الاجتماعى والأمن الوطنى والاستقرار السياسى ، قال تعالى : (1)

﴿الم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾

هذه عزيزى القارئ بعض أخطار البث الإعلامى المباشر وما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر فهناك أخطار أخرى تتربص بالمجتمع المسلم وتعصف بكل جوانبه مثال :

(1) سورة إبراهيم ، آية ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

الاجتماعية من خلال الدعوة إلى . الاستئناس بزيارات الأهل والأصدقاء ووضع ضوابطها كما جاء في سورة النور حتى غدا المجتمع المسلم نسيجاً محكماً طوال التاريخ هذا وإن من أخطر مظاهر البث الإعلامي سواء كان مباشراً أو غير مباشر .تفكك الأسرة وانفراط عقدها حتى ولو كان يضمها منزل واحد . فإن أفراد الأسرة تختلف ثقافتهم وتتنوع ميولهم فلكل فرد برنامج يشاهده أو مسلسل يتابعه أو مباريات رياضية يحرص عليها ويمكث الأفراد الساعات الطوال أمام الشاشة الصغيرة مشدودين إليها مسحورين بها فلا تشعر الزوجة بحاجة زوجها العائد من عمله إلى الهدوء والراحة ، كما لا يلتفت رب البيت إلى مشاكل أولاده في المدرسة إذ بمجرد أن يعود من عمله يلقي بجسمه على مقعد أمام التلفاز يتابع ما انقطع من المسلسلات والأولاد أيضاً تتوزع رغباتهم ما بين المذاكرة والمشاهدة . وهكذا تضعف رابطة الأسرة التي يضمها سقف واحد . ثم تستمر عوامل التمزق تحكم قبضتها لتلقي بظلال التمزق على ذوي الأرحام والأصدقاء وبذلك يفقد المجتمع المسلم أهم مقوماته وهو الترابط الاجتماعي ، قال تعالى :[(1)]

﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾

---

(1) سورة محمد ، آية ٢٢ - ٢٤ .

ثامناً : التجزؤ الأسرى وتعميق التفاوت الاجتماعى

المجتمع الإسلامى يقوم على الروابط الأسرية . وذلك بإحكام وتوثيق العلاقة بين الآباء والأبناء كما قال تعالى :[1]

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا .....﴾ الآيات

ثم اتسعت دائرة المودة والرحمة لتشمل ذوى الأرحام والجيران قال تعالى :[2]

﴿ واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ﴾

كما احكمت السنة النبوية الشريفة المجتمع كله برباط وثيق وتعاون مستمر ورحمة متبادلة كما جاء فى الحديث الصحيح :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »

ولم يكن هذا توجيهاً نظرياً فقط بل أحكم ذلك بمنهج عملى دقيق يحكم صياغة المجتمع المسلم حتى يصعب تمزيقه والنيل منه كما شرع الإسلام الميراث ، والزكاة ، وحبب إلى نفس المسلم الانفاق فى السراء والضراء كما وطد العلاقات

---

(١) سورة الإسراء ، آية ٢٣ .

(٢) سورة النساء ، آية ٣٦ .

الإسلام عبر بث إعلامى مثير ومؤثر يقتحم البيوت ويحتلها أثناء الليل وأطراف النهار .

ولقد عبر الاستاذ فهمى هويدى عن هذا الخطر حينما بدأ البث المباشر فى تونس وهى أول دولة عربية سارعت لاستقباله قال : (١)

« خرج الاستعمار الفرنسى من شوارع تونس عام ١٩٥٦م ولكنه رجع إلينا عام ١٩٨٩م لم يرجع إلى الأسواق فقط ولكنه رجع ليشاركنا السكن فى بيوتنا والخلوة فى غرفتنا والمبيت فى أسرة نومنا رجع ليقضى على الدين واللغة والاخلاق كان يقيم بيننا بالكره ولكنه جع لنستقبله بالحب والترحاب ، كنا ننظر إليه فنمقته أما الآن فنتلذذ بمشاه ى معه أنه الاستعمار الجديد لا كاستعمار الأرض وانما استعمار القلوب ،ن الخط لاجيال الحاضرة والقادمة يهدد الشباب والشابات والكهول والعفيف والاباء والأمهات » أن النمط الغربى فى التبرج والسفور والاختلاط قد أدى إلى انفراط عقد ... ر من القيود الدينية والاج عدم الاكتراث

الاسطورة سواء كان سي يا أو رياضياً أو ممثلاً كل هذ فى جرعات مكثفة وض اعلامى مؤثر يأخذ بالعقول ويسحر النفوس مما ينتج عنه فقدان الذات الإسلام وضياع معالمها الشخصية وحينذاك تقع فريسة للدول الغربية تسير فى ركابها وتأتمر بأمرها وتصبغ حياتها بصبغة الحضارة المادية الغربية وتفقد أهم مقومات وجودها وهو تميزها وتفردها واستقلالها " .

---

(١) جريدة الأهرام ، ٢٧ / ٩ / ١٩٨٩م .

فقد ذكر ابن اسحاق وغيره عن ابن عباس.[1]

« أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود ابن عبد المطلب وأمية بن خلف لقوا رسول الله ﷺ فقالوا يامحمد هلم فنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك نحن وأنت فى أمرنا كله فإن كان الذى جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شاركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وأن كان الذى بأيدينا خيراً مما بيدك كنت قد أشركتنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فأنزل الله تعالى :

﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾

فتذويب الشخصية الإسلامية وطمس معالمها من أهداف الكافرين منذ فجر الإسلام وحتى الآن .« قال شهيد الإسلام الاستاذ سيد قطب فى ظلال القرآن :[2]

« لكم دينم ولى دين » .

« أنا هنا وأنتم هناك ولا معبر ولاجسر ولا طريق مفاصلة كاملة شاملة وتميز واضح دقيق ... أن التوحيد منهج والشرك منهج ولا يلتقيان » .

هذا وإن من الآثار المدمرة للغزو الإعلامى فقدان الهوية الإسلامية وضياع معالم الشخصية الإسلامية وذلك من خلال ما يذاع أو يبث من نقل الحياة الأوروبية والنظم الاجتماعية والسلوك الاخلاقى وفرض العادات والتقاليد التى تتنافى وعقيدة

(١) تفسير القرطبى ، ص ٧٣١٥ ، ط الشعب .

(٢) فى ظلال القرآن ، جـ ٣٠ ، ص ٢٧٣ ، ط الأولى .

٤- **عرض القصص القرآنى ومواقف الرسول ﷺ** خلال مراحل الدعوة وكذلك تاريخ الصحابة فهذه مادة إعلامية ضخمة وكنز من العطاء الإنسانى فريد أن أحسن إعداده وإخراجه إخراجاً يتلاءم مع عقيدة الإسلام فلا يقوم أحد بتمثيل نبى من الأنبياء أو تعرض فى صورة ارتجالية كما يشاهد فى بعض الأفلام الدينية والتاريخية حيث لا تتحرى الصدق وتختلق مواقف ومشاهد لم يروها التاريخ وتحاول أن تقحم المرأة فى القصة إقحاماً يكون نشازاً فى معظم الأحيان .

٥- **تصحيح المفاهيم الخاطئة التى ينشرها أعداء الإسلام من البشرين والمستشرقين ودعاة العلمانية والتغريب والتى تغلغلت فى وجدان العالم الغربى حقداً أسوداً وغلا دفيناً ضد الإسلام منذ المواجهة بين الإسلام والكفر وحتى الآن .**

٦- **الارتقاء بالذوق من خلال الكلمة الطيبة واللحن الجيد** أن الكلمة سواء كانت أداءً أو غناءً تميل اليها النفس ويرهف الإنسان لها السمع ولقد شهدت ساحة الإعلام سيلا جارفاً من الغناء الهابط والكلمات الساقطة التى تحرك الشهوة وتدفع للرزيلة فى عبارات تخدش الحياء وحركات مثيرة تشجع على الفاحشة مما أفسد الذوق العام وانحط به ولا سيما حينما يستغل صوت المرأة وجسدها للإثارة حتى غدت الصورة التى تبدو من خلالها ليست صورة الأم الحانية أو

الزوجة الصالحة أو الفتاة المهذبة المؤدبة ولكن صورة الفتاة العابثة المستهترة التى تصاحب العشاق دون مراعاة لدين وأدب وكذلك الشباب لا يعرض عليهم ما يشجع على الفتوة والشهامة أو ما يحرص على النافع المفيد ولكن يعرض الاستهتار واللامبالاة ، والثورة على الدين والاخلاق وتقليد الغرب فى الحياة والسلوك ومحاكاة الممثلين ونجوم الكرة هذا كله أصاب المجتمع بفقدان الضمير الدينى والاخلاقى وأفسد العلاقات الأسرية والاجتماعية كما أفقد الكلمة الهادفة واللحن الجيد أثارهما وسوف يزداد فساد الفروق مع الارسال عبر الأقمار الصناعية.

ولهذا فإنه من الواجب على القائمين بأمر الإعلام أو من يتطلعون شوقاً لدرء خطر البث المباشر أن يرتقوا بالكلمة ويسموا باللحن ويراعو الله فى الأداء وأن يخرجوا من دائر الحب للمرأة - والجنس - إلى دائرة أوسع وأشمل وأشعار العرب فى الجاهلية والإسلام ثروة ضخمة من الفضائل والحكم والانطلاق بكلمة الحب - التى ظلمت الآن - إلى أفاق أرحب ودائرة أوسع فهناك الحب لله ورسوله ، حب الانسان لأخيه الانسان ، حب الفضائل . تعميق الحب بين الأسرة تأصيل الحب فى علاقة الانسان بالكون المحيط به من اشجار وأنهار وطيور .... الخ وحب الانسان لوطنه ليس حب كلمات طنانه وعبارات جوفاء . ولكنه حب العمل والانتاج والجهد والعرق حب العلم والتزدد بما يفيد ويدفع هذا كله يعبر عنه باللحن الجيد والصوت الحسن من الرجال دون النساء أو من خلال الصورة التى تسمو بالذوق وترتقى بالاحساس

وترعى الدين والاخلاق فى سهولة ويسر ورحابة صدر وتفان فى عرض الإسلام عرضاً يتسم بالاخلاص والحب والوفاء والولاء .

وهذا لن يتسنى إلا بتدريب العاملين فى الحقل الإعلامي سواء في مجال التشغيل والصيانة أو فى مجال التمثيل والاخراج والانتاج لتحقيق مستوى من الانتاج الفنى قادر على مزاحمة ومنافسة ما يبث عبر الأثير .

يجب على الإعلام فى الدول الإسلامية أن يستعد من الآن المزاحمة ومنافسة الأقمار الصناعية ليس بمجاراتها فى الاغراء المحرم ولكن بالعرض الجيد المنضبط بقواعد الشرع وأخلاق الإسلام وهذا بإذن الله أن صدقت النية وصحت العزيمة سيكون فتحاً اسلامياً مبينا بين أقطار العالم ...

٧- تخصيص بعض القنوات للدعوة للإسلام

كان لمصر دور رائد فى تخصيص إذاعة للقرآن الكريم وحذت حذوها بعض الأقطار الإسلامية وكان ذلك تطويعاً للإرسال الإذاعى لخدمة القرآن الكريم والسنة وتبصير السامع بفقه العبادات وإن من محاولات التصدى للغزو الفكرى عبر الأقمار الصناعية تخصيص بعض القنوات للبث الدينى كما هو الشأن فى إذاعة القرآن الكريم وتكون هذه القناة نافذة لعرض الإسلام عرضاً صحيحاً كما تساهم فى تصحيح بعض القضايا التى تجنح بالشباب نحو التطرف والمغالاه وتكفير المجتمع كما تعرض التاريخ الإسلامى عرضاً دقيقاً وصادقاً بعيداً عن المبالغة والخيال وبإمكان هذه القناة الدينية أن تعالج

الجوانب السلبية فى المجتمع كالرشوة ، ووسائل الكسب غير المشروع والتواكل والسلبية واللامبالاة ، كما تخلق شعوراً فياضاً بالانتماء الدينى والوطنى يبدد القنوط واليأس وتحدث صحوة دينية راشدة تحت سمع وبصر الدولة وهذا خير مما يحدث الآن من تعدد القنوات وكلها تتجه للترفيه المحرم وضياع وقت الأمة فى هراء الافائدة منه ولا طائل تحته وحجب الثقافة الدينية أو تهميشها مما يدفع الشباب للالتجاء إلى تنظيمات تعمل سراً وتبث فكراً ينأى عن الإسلام الحق وقد أدى عدم انضباط الإعلام دينياً إلى تلك الفجوة بين بعض الجماعات والدولة وأدت إلى حودات مؤسفة غريبة عن مصر وشعبها . وتحمل الإسلام المظلوم تبعات هذا كله وهو من ذلك برئ .

٨- التنسيق والتكامل بين الهيئات الدينية والتربية والتعليم ووسائل الإعلام

إن ما يحدث على ساحة الدعوة الإسلامية الآن من التفكك وعدم التنسيق بعضها أولاً ثم بين وزارة التربية والتعليم ثم بين أجهزة الإعلامى يمثل فوضى فكرية وعبثاً تربوياً فوزارة التربية والتعليم تجعل مادة التربية الدينية فى مراحل التعليم الابتدائى والإعدادى والثانوى مادة ثانوية تتساوى بالتدبير المنزلى والتربية الموسيقية بل أصبحت وزارة التربية والتعليم تلعب دوراً خطيراً للاتجاه بالتربية الدينية نحو الجوانب الاجتماعية دون تربية العقيدة الإسلامية الصادقة ولعل ما قام به وزير التعليم من مسألة النقاب والحجاب لدليل على توجيه الدين وجهة تمليها الظروف السياسية وسياسة الوفاق الدولى . أما عن

مكان الثقافة الدينية فى الجامعات المصرية فلا يوجد برنامج لها على الاطلاق وقد بح صوت مجلس الشعب والمجالس القومية المتخصصة على تدريس الثقافة الإسلامية لطلاب الجامعة غير أن الاتجاه العلمانى يقف لهذا بالمرصاد وقد سبق أن وضحنا دور الإعلام المسموع والمرئى . لهذا التمزق الإعلامى والتشتت العقلى أدى إلى تفرق وجدان الأمة وتوزع ثقافاتها وتشعبها مما تنتج عنه فراغاً دينياً تجنى الدولة الآن ثماره عنفاً وإرهاباً .

والمخرج من هذا الكهف المظلم وتلك النيران المشتعلة والتى يسكب عليها أعداء الإسلام ودعاة العلمانية والتغريب البترول لتزداد اشتعالاً ونهيباً يكتوى بلظاها شعب مصر وغيره هو التنسيق والتكامل بين أجهزة الدعوة الإسلامية والتربية والتعليم والإعلام وأن تشعر الأمة بهذا التناسق والتوافق والتكامل الذى يتجمع فى اتجاه واحد لتحقيق الهدف من الإعلام وهو :

١- ابلاغ ٢- تثقيف ٣- توجيه ٤- توعية .

عزيزى القارئ هذه بعض الآراء والمقترحات التى نراها كفيلة بالتصدى للبث الإعلامى المباشر عبر القنوات الفضائية ،

